بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة المقتدر بالله (٥٧)

وبويع جعفر بن المعتضد بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

﴿ذكر ما جرى في ذلك﴾

لما ثقل المكتفي في علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة وترجح رأيه[1] وكان يركب من داره الى دار السلطان ويسايره واحد من الاربعة الذين يتولون الدواوين وهم أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح وأبو الحسن محمد[2] بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وأبو الحسن علي بن عيسى فركب معه محمد بن داود فشاوره العباس فأشار بأبي العباس عبد الله بن المعتز فقرظه ووصفه . ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فشاوره فقال له[3] هذا شيء ماجرت به عادتي .

---

(١) يريد لم يستقر رأيه (٢) وردت ترجمته في كتاب ارشاد الاريب لياقوت الحموي ٥ : ٢٧٧ (٣) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء لهلال الصابي ١١٤ * وأما الوزير فقال جمال الدين علي بن ظافر في كتابه الدول المنقطعة انه العباس بن الحسن بن أحمد بن القاسم ابن عبدالله بن أيوب من سواد جرجرايا . ذكره الهمذاني في عيون السير من تصنيفه

(٥٨) واستعفاه وقال : انما أشاور في العمال . فأظهر العباس غضباً وقال : هذه محاجزة وليس يخفى عليك [الصحيح] (١) . وألحّ عليه فقال له . ان كان رأى الوزير قد تقرر على انسان بعينه فليستخر الله ويمضي عزمه. قال ابن الفرات فعلم انى قد عنيت ابن المعتز لاشتهار الخبر به فقال لى . ليس أريد منك الا أن تمحضنى النصيحة . فقلت له : اذا أراد الوزير ذلك فانى أقول « اتق الله ولا تنصب فى هذا الامر من قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن لقى الناس ولقوه وعرف الامور وتحنك وحسب حساب نعم الناس » (قال) فاستعاد ذلك مني الوزير دفعات ثم قال : فبمن تشير فقلت بجعفر بن المعتضد فقال ويحك جعفر صبي قلت الا انه ابن المعتضد ولِمَ تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف مالنا وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى انه مستقل ولمَ لا تسلم هذا الامرَ الى من يدعك تدبّره أنت

ثم شاور أبا الحسن على بن عيسى فى اليوم الثالث واجتهد به ان يُسمّي له أحداً فامتنع وقال : أنا لا أشير بأحد ولكن ينبغى ان يتقى الله وينظر للدين (٢)

فمالت نفس العباس بن الحسن الى رأى أبى الحسن بن الفرات (٥٩) ووافق ذلك ما كان المكتفى عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة. فلما مات المكتفى آخر نهار يوم السبت الثانى عشر من ذي القعدة نصب الوزير العباس جعفراً فى الخلافة على كراهية منه لصغر سنه . ومضى صافي الحُرمى فحدره من دار ابن طاهر فلما اجتازت الحراقة التى حدر فيها وانتهت الى [دار] العباس بن الحسن صاح غلمان العباس بالملاح أن ادخل . فوقع لصافى الحرمى ان العباس انما يريد ان يدخله الى داره ليتغبّر رأيه فيه وأشفق أن يعدل عنه الى غيره فمنع

(١) هذه الكلمة زدناها ﴿٢﴾ راجع كتاب الوزراء ١٢٧

الملاح من الدخول وجرّد سيفه وقال للملاح : ان دخلت رميت برأسك. فانحدر وجهاً واحداً الى دار السلطان [١]

فتم أمر جعفر ولقب المقتدر بالله وأطلق السلطان يد العباس فأخرج المال للبيعة . وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ان القاضي أبا عُمر محمد بن يوسف حدّثه ان العباس بعد اتمامه أمر المقتدر استصباه وكثر كلام الناس فعمل على أن يحلّ أمره ويقلّد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله . وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذاهب فوسّط الوزير أمره بينه وبينه القاضي أبا عُمر . وسامهُ اليمين فقال [٦٠] ابن المعتمد : ان لم تصحّ نيّتهُ لم تغن فيه اليمين وان صحت استغنى عنها . ولله الله راع وكفيل على انى لا أغدر به ولا أنكبه . [٢]

وكان العباس ينتظر بامره قدوم بارس الحاجب غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان فانه كان ورد كتابه وقدّر انه يستظهر به وبمن معه على غلمان المعتضد ، فتمادت الايام بقدوم بارس . ووقع بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يومئذٍ في مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطابٌ ، فاربى [٣] عليه ابن عمرويه في الكلام ولم يكن علم بما رشّح له ولم يمكن أبا عبد الله ان ينتصف منه لمحله فاغتاظ غيظاً شديداً كظَمهُ ففشى عليه وفُلج [٤] في المجلس فاستدعى العباس

(١) راجع صلة عريب ٢٢ (٢) راجع صلة عريب ٢٠ (٣) راجع البيان للجاحظ ٢ : ٣٦

(٤) في الاصل: مفلح . وهو تصحيف من الناسخ لان مفلح الخادم وان كان من المقربين لدى الخليفة ومن ملازمي مجلسه كما يأتي ذكره في سنة ٣١١ و ٣١٥ ولكن المناسب في هذا المقام و « فالج » كما يفهم من صلة عريب حيث قال وعرض لمحمد بن المعتمد في شهر رمضان فالج في مجلس العباس من غيظ أصابه في مناظرة كانت بينه وبين ابن عمرويه الخ ولذلك وضعنا الصواب في المتن

عمّارية وأمر بحمله فيها الى داره فحُمل ولم يلبث ان مات، فعمل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد المتوكل على الله مكانه فمات أيضا، وتمّ أمر المقتدر ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتز

(ذكر الخبر عن ذلك)

كان التدبير يقع بين محمد بن داود بن الجرّاح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر [٦١] بالله ونصب عبدالله بن المعتزّ مكانه، وواطأ على ذلك جماعة من القوّاد والكُتّاب والقُضاة. فركب يوماً العباس بن الحسن يريد بُستانه المعروف ببستان الورد فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاه بالسيف وقتله [١] وكان الى جانبه فاتك المعتضديّ يُساره فصاح بالحسين منكراً عليه فعطف عليه الحسين وقتله. واضطرب الناس وركض الحسين بن حمدان قاصداً الى الحلبة مُقدّراً ان المقتدر هناك يضرب بالصوالجة فيقتله، فلما سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول الى داره وغلقت الابواب دون الحسين. فانصرف الى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخرم وبعث الى عبد الله ابن المعتزّ يُعرفه تمام التدبير، فنزل عبد الله من داره التي على الصّراة وعبر الى المخرّم. وحضر القواد والجند وأصحاب الدواوين ومنهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر [٢] فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة وانعقد له الامر ولقب المرتضي بالله واستوزر أبا عبدالله محمد بن داود بن

(١) صلة عريب ٢٦ وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تكملة تاريخ الطبري انه كان للوزير ابن كنيته أبو جعفر واسمه محمد فمضى بعد قتل أبيه الى بخارا وأقام عند ملوك السامانية (٢) راجع ماقال ابن المعتز فيه وفي علي بن عيسى : كتاب الوزراء ١٣٧

الجرّاح . وقلد علي بن عيسى الدواوين[٦٢] والاصول ومحمد بن عبدون دواوين الأزمة ونفذت الكتب الى الامصار كلها عن عبد الله بن المعتز ووجه الى المقتدر بالله يأمره بالانصراف الى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو الى دار الخلافة فأجيب بالسمع والطاعة .

وعاد الحسين بن حمدان من غدٍ الى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم ومن كان هناك من الرجّالة من وراء السور ودفعوه عن الدار فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحرمه وولده وسار بالليل الى الموصل . ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القوّاد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال والحاشية فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالانصراف الى دار ابن طاهر قالت هذه الجماعة بعضها لبعض : ياقوم نسلّم الامر هكذا ؟ لمَ لا نجرّد أنفسنا في دفع ماقد أظلنا فلعل الله أن يكشفه عنّا . فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذا آت ومعهم جماعة ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخُوَذ والسلاح وصاروا الى دار المخرّم . فلما قربوا منها ورآهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا : شذا آت مصعدة من دار السلطان . ووقع الرعب في قلوبهم فتطايروا[٦٣] على وجوههم قبل أن تجرى بينهم حرب وقبل وصول الشذا آت الى الدار . وخرج عبد الله بن المعتز ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يُمْن . وقد شهر يُمْن سيفه وهو ينادي معشر العامة ادعوا الله لخليفتكم . وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم ان يتبعهم الجيش ويصيروا الى سُرَّ مَن رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد . فلما رأى محمد بن داود نزل عن دابته لما حاذى داره ودخلها واستتر ونزل أبو عبد الله بن المعتز في موضع آخر ومشى الى دجلة وانحدر الى دار

أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار به . فقرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد . وكان محمد بن عَمْرَويه صاحب الشُّرطة فركب وقاتله العامة لانه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه . وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن[1]

وكان خرج في الوقت الذي خرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن علي ابن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبدالله بن المعتز واستترا في منزل رجل يبيع البقل . ونذر بهما العامة فكبسوهما وأخرجوهما وسلّموهما الى بعض خدم المقتدر[٦٤] المجتازين في الطرق فاركبهما جميعاً على بغل أكّاف كان معه ولحقهما في الطريق من العامة أذى شديد حتى حصلا في الدار ووكل بهما .

وقبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش[2] ويُمن وفاتك وجماعة ممن كان حاضراً دار ابن المعتز وفيهم القاضي أبو عمر محمد ابن يوسف والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلّموا الى مونس الخازن ثم أمر بقتلهم أجمعين فقتلهم تلك الليلة سوى علي بن عيسى ومحمد بن عبدون والقاضي أبي عمر والقاضي محمد بن خلف فان هؤلاء سلّموا

وأنفذ المقتدر مونساً الخازن الى دار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العطش بعد ان أعطاه خاتمه وأعلمه انه يريد أن يستوزره . وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره فلم يظهر له . فأعيد اليه مرّة أخرى فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يستوزر فظهر له وقت العصر من

(١) وفي صلة عريب : الخادم . ولكن الراجح انه الخازن (٢) في الوزراء ٢٣٥ : خطارمش

ذلك اليوم وصار به الى دار السلطان ووصل الى المقتدر وقلّده وزارته ودواوينه وعاد الى داره بسوق العطش . وبكّر يوم الاثنين وهو غد ذلك [٦٥] اليوم فخُلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه القوّاد بأسرهم . وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلُّده الشرطة . وأطلق ابن الفرات للجند مالاً لصلة ثانية وجدّد البيعة للمقتدر

﴿ ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز ﴾

صار خادمٌ لأبي عبد الله بن الجصّاص يعرف بسوسن الي صافي الحرمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر في دار مولاه فانفذ المقتدر بالله صافياً الحرمي في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبدالله ابن المعتز فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص الى دار السلطان . ثم صودر ابن الجصاص على مال بذلهُ وأطلقه الى منزله بعد ان تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات

وسُلم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون الى أبي الحسن ابن الفرات وناظرهما بمراسلة وصادرهما وخفف عن علي بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر : لم يكن لهذين في أمر ابن المعتز صنع وتكفل بهما وبالقاضي محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم . ثم نفى محمد ابن عبدون الى الاهواز وأمر بتسليمه الى محمد بن جعفر البَرتاي ونفى علي بن عيسى الى واسط بعد ان افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها [٦٦] الى سُوسَن الحاجب واستكفّه بها عنه فانه كان يغري به ويقول : كان مطابقاً لعمّه . وظهر موت عبد الله بن المعتز في دار السلطان ودفع الى أهله ملفوفاً في زلّي بردون . وتم ما كان في سابق علم الله عز وجل وحكم به من

ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم في ازالته [١]

فأما محمد بن داود فحكى أبو على محمد بن على بن مقلة قال : كنا بحضرة الوزير أبى الحسن في يوم هو فيه متخلٍ ودخل اليه بعض غلمانه فسارّه فظهر منه غم شديد . واذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال : كان مع عداوته لى رجلا عاقلا كثير المحاسن يجمع الى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والفقه والادب والشعر وكان كريما سخيا وقد جرى عليه من القتل أمر عظيم . ثم لعن على بن الحسين القُنّاى [٢] النصرانى وقال . هو غرّ هذا الرجل فان ما كان بينه وبينه من المودّة مشهور فخلّص نفسه وقتل صديقه

(ذكر ماعمله القُنّاى في أمر محمد بن داود [٣])

كان سوسن عدوًّا لمحمد بن داود وكذلك صاف الحرمى فاغريا المقتدر بالله وقالا له [٦٧] : ان على بن الحسين القنائى يعرف موضعه . فقبض عليه وهدّد بالقتل فحلف انه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه محمد بن داود وانما تأتيه رقاعه بيد امرأة تجىء الى امرأة نصرانية تجيئه بها وضمن انه يحتال في انارته فأطلق . وكاتب محمد بن داود وأعلمه انه قد سفر له مع سوسن في أمر يكون به خلاصه وان ما جرى فى ذلك لا يحتمله المكاتبة وان الوجه ان يأذن له في المصير اليه في الموضع الذي هو فيه مستتر فان لم يأذن فى ذلك صاحب

(١) لراجع قول الطبري فيه ؛ صلة عريب ٢٨ (٢) « القنائى » فى صلة عريب ١٢٥

(٣) وأما محمد بن داود بن الجراح فقال الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات . ومن تصانيفه كتاب الورقة سماه بذلك لانه فى أخبار الشعراء ولا يزيد فى خبر الشاعر على ورقة . ولهذا سمي الصولى كتابه فى أخبار الخلفاء بالاوراق لانه أطال في أخبار كل واحد أوراقا . وفى أمر محمد بن داود لراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٢٦

داره خرج مُتنكّراً وصار اليه فكتب اليه محمد بن داود انه يصير اليه في ليلة ذكرها . فمضى على بن الحسين برقعته الى سُوسَن وصاف فاقرأهُما اياها فترصّدا تلك الليلة وأمرا صاحب الشرطة أن يتقدّم الى أصحاب الارباع وأصحاب المسالح بترصُّده فلما خرج تلك الليلة ظُفر به وسُلّم الى مونس الخازن فقتله ثم طرحهُ على الطريق حتى أخذه أهلهُ فدفنوهُ

وحكى أبو على ابن مُقلة وأبو عبد الله زنجي الكاتب أن محمد بن داود كتب الى ابن الفرات رُقعةً وصلت اليه فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطّه وقال لِمُوصلها وكان ثقةً عنده : تقرأ عليه السلام وتقول له « ليس جُرمك يسيرا[٦٨] والعهد به قريبٌ والاستتار صناعة » فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك ثم دعني والتدبير في أمرك فاني باذن الله اسفر بعد هذه المدة في صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطه . وأقول « انه دخل فيما دخل فيه القوّاد وكُتّابهم وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم ولهذا بهم أسوة وأشير عليه بما يصلح أمرك » فلم يصبر محمد بن داود فجرى ما حكيتهُ .

وحكى أيضا ابن زنجى[١] أنه كان بحضرة أبي الحسن بن الفرات اذ كتب اليه صاحب الخبر بان متنصحا حضر وذكر أن عنده نصيحة لا يذكرها الا للوزير فتقدم الوزير الى حاجبه أن يخرج اليه ويسأله عنها فخرج وسأله فابى أن يخبره بها وقال : أريد أن أشافه بها الوزير قال : وكنا بين يديه جماعة فأومأ الينا فقمنا وخلا به ثم دعا بحاجبه العباس الفرغاني وقال له : اجمع الرجال الذين برسم الدار . ثم دعا أبا بشر بن فرجويه وقال له سرا : ان هذا الرجل تنصّح الىّ فى أمر محمد بن داود وذكر أنه يعرف موضعه وأنه

(١) وزراه ٢٥

بات البارحة عنده والتمس أن أنفذ معه من يسلمه اليه وقد بذلت على ذلك الف دينار ان كان صحيحا أو نيله بالعقوبة ان كان باطلا فصبر على ذلك فكتب[٦٩] اليه الساعة أن ينتقل عن موضعه فاني أبعث الى مكانه من يكبسه ويلتمسه . ولم يزل يستعجل الحاجب في جمع الرجال فيقول « قد فرّقت النقباء في طلبهم فمنهم في اطراف البلد منهم من ينزل في قصر عيسى ومنهم من ينزل بباب الشماسية » ولم يزل يدافع بالامر الى أن عاد الجواب الى أبي بشر بشكره وانه قد انتقل من موضعه الى غيره . فتقدم حينئذ الى المتنصح أن يمضي الى الموضع مع القوم وتقدم بالاحتياط عليه وعلى مايلية وكبسه بعد ذلك وحمله فان لم يجده فتش الدور التي تلي الموضع وأن يستظهر بحفظ أفواه الدروب حتى لا تفوته الحرم[١] ويأخذ معه السلاليم . فمضى العباس الحاجب والمتنصح والرجال ووكل بافواه الدروب والدور المجاورة للموضع . ودخل الدار التي ذكرها المتنصح فلم يجده فقال المتنصح : في هذا الموضع والله العظيم خلفته وههنا كان باثتا . وأقبل يسير الى موضع موضع وماعده فيه . ثم التمسه في الدار المجاورة فلم يجده وعاد به الى حضرة الوزير فانكر على المتنصح سعايته بالباطل وأمر بحمله الى باب العامة وضربه مائتي مقرعة وان يشهر على جمل وينادى عليه « هذا جزاء من يسعى بالباطل »[٧٠] وكتب الى المقتدر وعرّفه الصورة وانه كبس على محمد بن داود عدة دور فلم يجده فاوقع العقوبة بالساعي حتى لا يقدم نُظراؤه على السعاية بالباطل . فلما عاد الساعي الى داره تقدم بان يحمل اليه مائتي دينار وأن يُجدر الى البصرة وقال لنا : قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولولم أفعل مافعلته لم آمن أن يمضي الى دار

(١) كذا الأصل لعله لا تفوته الحرم أو لا يفوته الحزم

السلطان . وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الجرّاح وعرّف الوزير موضعه فكتمهُ الوزير ولم يظهره . وهـذا مما لا ينكر من أبي الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل افعاله [1]

﴿ وفيها قبض على محمد بن عبدون وسوسن الحاجب وقتلا ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تدبيره وظن أنه يقرره علي الحجبة فلما عدل عنه الى يمن استوحش وصار الى دار السلطان [2] وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير بحضرة المقتدر بالله فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة تفرد بالتدبير دون سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسن [71] ابن الفرات لاجل ذلك . وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الفتك بابن الفرات بمواطاة عـدة من الغلمان الحجرية على ذلك . ودبر أن يكون الوزير محمد بن عبـدون وأشار بذلك على المقتدر بالله وبذل على ذلك مالا عظيما . وأنفـذ بُنَيّ بن نفيس الى الاهواز لاحضار محمد بن عبدون بغير مواقفة ابن الفرات وأظهر بنى أنه انما أنفذ لاخذ أموال كانت مودعة للعباس بن الحسن بالبصرة . ولم يصل محمد بن عبـدون الى واسط حتى ظهر الخبر لابن الفرات فقرر ابن الفرات في نفس المقتدر أن سوسنا عمل على الايقاع به أولا ثم به وأنه كان من اكبر اعضاد عبد الله بن المعتز وانمـا خالفه اخيرا لمّا علم أنه قد استحجب غيره فوافق المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه . وكان المتولى لذلك تكين الخاصة وكان تكين هذا مرشّحا للحجبة ومدبرا لها [3]

(١) وردت هذه الرواية في كتاب الوزراء ٢٥ (٢) راجع ما في صلة تاريخ الطبري ٢٧ (٣) راجع وزراء ١٣٨

ثم أنفذ الوزير الى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجددة ثم سلم الى مونس الخازن فقتله. وقلق أبو الحسن علي بن عيسى لذلك وهو بواسط فكتب الى الوزير كتابا يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون الا أنه لا يدع الصدق من فعله وأن محمد بن عبدون لم يكن ليسعى على[٧٢] دم نفسه بتضمنه الوزارة بل كان راضيا بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز وانه وسنا عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته. وسأل في أمر نفسه أن يبعده الى مكة ليسلم من الظنة وليسى السلطان ذكره. فاجابه ابن الفرات الى ذلك وأخرجه من واسط الى مكة على حال جميلة فشخص اليها على طريق البصرة. وكتب علي بن عيسى هذا الكتاب مقدرا أن يخلص به محمد بن عبدون من القتل ويسلم هو فوفاه الله في نفسه بجميل نيته وحضر أجل محمد بن عبدون فلم ينفعه اجتهاد علي بن عيسى في خلاصه[١]

ولما استقر أمر المقتدر بالله في الخلافة فوّض الأمور الى أبي الحسن ابن الفرات فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء. وتفرد المقتدر على لذاته متوفرا واحتشم الرجال واطّرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحُرم والخدم فما زال أبو الحسن ينفق الاموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيرا مفرطا الى أن أتلفها. ومن محاسن ابن الفرات أنه افتتح أمره باخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمال في جميع النواحي بافاضة العدل في الرعية وازالة الرسوم الجائرة عنهم وإخراج أمره لجماعة[٧٣] بني هاشم بجار ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز والحاقهم في الصلة بمن لم تكن له جناية.

(١) وزراء ٢٧—٢٦

وتلطّف في أمر الحسين بن حمدان وابراهيم بن كيغلغ حتى رضى المقتدر عنهما وقلدهما الأعمال وفعل ذلك بابن عمرويه

﴿ ذكر التدبير الصواب فى ذلك ﴾

أنه عرّف المقتدر بالله أنه متى عاقب جميع من دخل فى أمر ابن المعتز فسدت النيات وكثر الخوارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل للخلاص بافساد المملكة . وأشار باحراق جميع الجرائد التى وجد فيها أسماء المتابعين لابن المعتز فاستجاب الى ذلك وأمر ابن الفرات بتغريق الجرائد في دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون [١]

﴿ ذكر ما جرى فى أمر القاضى أبي عمر ﴾

كان القاضي يوسف بن يعقوب [٢] شيخا كبير السن يلزم ابن الفرات ويبكي بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبي عمر من القتل فيذكر له أبو الحسن أنه لا يتمكن من ذلك إلا باطماع المقتدر بالله في مال جليل من جهته فبذل أبوه أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة . فسأل [٧٤] ابن الفرات المقتدر بالله الصفح عنه وأطمعه في ماله ومال ولده فسلمه المقتدر اليه فصادره على مائة ألف دينار واعتقله في ديوان بيت المال ليؤدى المال فأدى أكثره . ودخل فيما أداه وديعة قيل أنها كانت عنده للعباس بن الحسن مبلغها خمسة وأربعون ألف دينار فلما أدّى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات باطلاقه الى منزله وترك له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله وألا يخرج منه [٣]

---

(١) راجع كتاب الوزراء ١١٩ (٢) كان قلد قضاء الجانب الشرقى سنة ٢٨٢ بعد ابن عمه اسمعيل بن اسحق :ارشاد الأريب ٢ : ٢٦١ — ٢٦٠ (٣) راجع الفرج بعد الشدة ١ : ١٢٢ — ١٢٠

﴿ ذكر خيانة واتفاق سيء اتفق فيها ﴾

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحققا بأبي الحسن ابن الفرات ومدلا[1] بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن الفرات وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات ووجد أبو الحسن كتبا في البيعة لعبدالله بن المعتز بخط سليمان لتحققه كان بمحمد بن داود بن الجراح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره . ونوه باسم سليمان وقلده مجلس العامة رياسة . ثم أن سليمان جنى على نفسه بالسعي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالحميد في الوزارة[2] وعمل في ذلك نسخة بخطه من نفسه الى المقتدر بالله (٧٥) يسعى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه . وكانت الرقعة في كمه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات فسقطت الرقعة من كمه وظفر بها الصقر بن محمد الكاتب لأنه كان يصلي الى جنبه فأقبل بها مبادراً الى الوزير من وقته فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق الى واسط ووكل به وصودر . وجرى على طبعه وشاكلته فأحسن اليه وقلده[3]

وفيها كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومحاربته وأمد بالقاسم بن سيما في أربعة آلاف فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر ابراهيم بن حمدان لاصلاح أمر أخيه الحسين فأجيب الى ما التمس وكوتب للحسين أمان وصار الى الحضرة . ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان وقلد أعمال الحرب بقم وحملت اليه الخلع فلبسها

(١) يريد مدليا (٢) فاباها كذا في صلة عريب ٧٩ (٣) راجع كتاب الوزراء ١٠٢،٢٨ : والفرج بعد الشدة ١٢٤:١

ونفذ الى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو [١]

وفيها قدم بارس غلام اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان فى أربعة آلاف غلام أتراك وغيرهم وصار الى بغداد مستأمناً . وكان مولاه اتبعه الى الري مظهرا الاستيحاش من قبول السلطان غلامه فكاتبه [٧٦] ابن الفرات بما سكن منه حتى عاد الى خراسان وقلد بارس ديار ربيعة فانفذه اليها

وقلد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وآذربيجان وعقد له عليها وضمنه اياها بثمانية ألف وعشرين الف دينار فى كل سنة محمولة الى بيت مال العامة بالحضرة فسار من الدينور اليها

﴿ ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين ﴾

وفيها أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قبة على بغل وقد كشف جلالها وهما بين يدى أبى الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي كاتب سُبكرى المتقلد فارس ووصل الى حضرة المقتدر ووصلا معه بعد أن حلت قيودهما ووقع على عبد الرحمن بن جعفر ورتب في الفوج الاول وركب عبد الرحمن في الخلع وأنزل في دار فى مربعة الخُرَمى [٢] وحبس طاهر ويعقوب في دار السلطان

وكان سُبكرى متغلبا على فارس فلما قدم عبد الرحمن كاتبه فورد أمر سبكرى مع السلطان على شيء يحمله عن فارس ثم عاد الى صاحبه فورد الخبر بعد ذلك بان الليث بن على خرج من سجستان وقصد فارس فدخلها

(١) راجع الطبرى ٣ : ٢٢٨٤ (٢) يعنى صالح الخرمى وهو من أولاد ملوك خراسان من أهل بلخ وكان يسمى صاحب المصلى لان المنصور كان وهبه حصيراً للصلاة أخذه من خزائن عبد الله بن على بشرط أن يحمله في الاعياد حتى يصلى عليه . كذا فى المنتظم لابن الجوزى فى ترجمة على بن صالح سنة ٢٢٩ (وفي صلة عريب فى مربعة الحرشي)

وخرج سبكرى . فندب مونس الخادم للشخوص الى فارس وخلع عليه وسار فوجد سبكرى برامهرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره . وسار الليث الى أرجان ليلقى مونسا

(ذكر عجلة واتفاق سيئ)

ثم أنه بلغ ليثاً أن الحسين بن حمدان قد سار من قم الى البيضاء فخاف أن توخذ منه شيراز فوجه أخاه مع قطعة من جيشه الى شيراز ليحفظها وأخذ هو دليلا يدله على طريق مختصر قريب الى البيضاء ليوقع بالحسين بن حمدان . فأخذ به الدليل فى طريق الرّجالة وهو طريق صعب ضيق لايحمل الجيوش فلق فى طريقه مشقة عظيمة حتى تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل الدليل وعدل عن الطريق فخرج الى خوابذان وقد وصل اليها مونس . فلما أشرف الليث على عسكر مونس قدر أنه عسكر أخيه الذى أنفذه الى شيراز فكبر أصحابه فخرج اليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً . فلما حصل في يده أشار عليه قواده بالقبض على سبكري فلم يفعل . وألح عليه أصحابه فأظهر القبول منهم وقال : اذا صار الينا في غد قبضنا عليه . وكان سبكرى كل يوم يركب من مضربه الى مونس فيسلم (٧٨) عليه فوجه اليه مونس سراً وعرفه ما أشار عليه قواده وأشار عليه بالمسير الى شيراز والاسراع ففعل سبكري بما أشار به فلما أصبح وتعالى النهار قال : ياقوم ما جاءنا سبكرى اليوم فوجهوا اليه وتعرفوا خبره . وعاد الرسول وعرّفه أن سبكرى قد سار الى شيراز من أول الليل . فعاد باللوم على قُوّاده وقال لهم : من جهتكم شاع الخبر وبلغه فاستوحش . وسار مونس ومعه الليث راجعاً الى مدينة السلام وانصرف الحسين الى قُمْ

﴿ ذكر تدبير فاسد وما آل اليه ﴾

لما حصل سبكرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتّال فضرّبه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه فى جنبة السلطان وأنه قد أحلف تُرّاده كلهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم وليس يتعذّر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه . ففزع سبكرى من هذه الحال وقبض على عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانَهُ رجلاً يعرف باسمعيل بن ابراهيم التيمي فحمله اسمعيل هذا على الخلاف وقال له : قد انصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود اليك سريعاً فاربح ما كنت تحمله الى السلطان واصلح أمورك[٧٩] وأرض جندك ثم تنظر.

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب الى ابن الفرات يخبره وما جرى عليه وبخلاف سبكرى على السلطان فكتب ابن الفرات الى مونس (وقد صار الى واسط) كتاباً يقول فيه : إن كنت فتحت فقد أغنقتَ وان كنتَ قد أسرت فقد أطلقت ولابدّ من أن تعود تُحارب سبكرى . فعاد مونس الى الأهواز واخذ سبكرى فى مُلاطفة مونس ومُهادَاته ومسئلته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مُقاطعا عليه القاسم بن عبيد الله فى أيام المكتفى بالله فانه كان مقاطعا على أربعة الاف الف ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف الف . فلم يرضَ بذلك ابن الفرات فلم يزل يزيد ألف ألف حتى بلغ تسعة آلاف ألف خالصة للحمل وذكر أن باقى الارتفاع يحتاج اليه سبكرى لاعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هُناك فأقام ابن الفرات على أنه لا يقنع الاّ بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سبكرى بأن يقارب السلطان

والوزير فابى سبكري أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئا فاغتاظ الوزير من تمانُن سبكرى واتهم مونساً بالميل اليه

(ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين)

(٨٠) (ذكر ماجرى على سبكرى من الأسر)

ثم أنه عدل الى إنفاذ وصيف كامَه مع عِدَّةٍ قُوّاد من مدينة السلام وإنفاذ محمد بن جعفر العبرتاي معهم وعوّل عليه فى فتح فارس. وكتب الى مونس أنه لا يثق باحد سواه فى حفظ الليث وأن سبيلَهُ أن يوافى به الى مدينة السلام ويدع أكثر قُوّاده وأصحابه مع محمد بن جعفر بالقرب من نواحى فارس لئلا ينجذبوا باسرهم الى بغداد قبل أن يتقرّر الأمر مع سبكري فى مال المفارقة فيطمع سبكرى فى السلطان

فخرج مونس عن الاهواز وكتب الوزير حينئذ الى محمد بن جعفر العبرتاى والقُوّاد بالمبادرة الى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القُوّاد وانضمّ اليه وصيف كامَه ثم أمدّه بسيما الخزرى وفاتك المعتضدى ويمن الطولونى. فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار الى سبكرى وواقعه على باب شيراز فانهزم سبكرى الى بمّ وتحصّنَ بها وتبعه الى هُناك فهزمَه أيضاً ودخل مفازة خراسان وأسر القتّال. وورد الكتاب بالفتح فخلع السلطان على الوزير عند ذلك وقلد محمد بن جعفر العبرتاي فُتيحاً خادم الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان وكان يميل الى فُتيح (٨١) لحسن وجهه

وفيها ورد كتاب أحمد بن اسمعيل صاحب خراسان بفتحه سجستان وأسره محمد بن على بن الليث ثم ورد كتابه بأسره سبكرى فكتب الى احمد بن اسمعيل يحمل سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى الحضرة.

فلما كان فى شوال من هذه السنة أدخل سبكرى ومحمد بن على بن الليث مشهرين على فيلين خلع على الوزير ابن الفرات ثم على المرزبانى خليفة صاحب خراسان وحمل مع الرسل الذين حملوا سبكرى ومحمد بن على بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر الى صاحب خراسان [١]

وفيها ورد الخبر بوفاة العبرتاي ثم بوفاة فتيح وقلد عبد الله بن ابراهيم المسمعى أعمال المعاون بفارس

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة فى طيارها تحت الجسر فى يوم ريح عاصف وكانت زوّجت ابنتيها من بُنَيّ بن نفيس وقيصر فحضرا جنازتها وحضرها خلق من القوّاد والقضاة .وجعلت السيدة مكانها أمّ موسى الهاشميّة قهرمانة فكانت تؤدى رسائلها ورسائل المقتدر الى ابن الفرات

(ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين)

وفيها قبض على الوزير ابن الفرات ووُكّل بداره وهتك حرمه أقبح هتك ونهبت داره [٨٢] ودُور كُتّابه واسبابه وافتتنت بغداد ونهب الناس وكان مونس الخازن [٢] يلى شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل فكان يركب اذا اشتدّت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبة له فاذا نزل من ركوبه عادت الحال الى ما كانت عليه . فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيام بلياليها ثم سكنت الفتنة

فكانت مدة وزارة أبى الحسن ابن الفرات هذه الاولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما . وقلّد أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى بن

---

(١) راجع فيه حكاية الصولى فى صلة عريب ٣٥ (٢) المعروف بالفحل : كذا فى تكملة تاريخ الطبرى

خاقان الوزارة وذلك فى ذى الحجة سنة ٢٩٩ فقلّد أصحاب الدواوين ورتّبهم فى مجالسهم . وردّ مُناظرة أبى الحسن ابن الفرات وأسبابه وكُتّابه الى أبى الحسن أحمد بن يحيى بن أبى البَغْل . وقلّده[1] ديوان المصادرين وديوان الضياع العبّاسيّة وديوان زمام الفُراتيّة . واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو على محمد بن على بن مقلة وأبو الطيب الكاوازى وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه وقبض على الباقين ونهبت دُورهم وهُدمت واعتقل هؤلاء الباقون وناظرهم احمد بن أبى البغل وعذّبهم وناظر ابن الفرات غير انه[٨٣] لم يُمكن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبى البغل وانعكاسه عليه ﴾

كان أبو الحسين بن أبى البَغْل مبعداً فى أيام ابن الفرات بأصبهان فلما افتتنت بغداد وقلّد أخوه مُناظرة ابن الفرات وأسبابه سفر له[2] أخوه لما تمكّن من ملاقاة أمّ موسى فى الوزارة وبذل فيها مالا جليلا يثيره ويوفّره فاطمع المقتدر فى ذلك فأرجف له بها وكاتبَهُ اخوه بالاسراع الى الحضرة ونفذ اليه أبو بكر أخو أمّ موسى . فخاطبه قومٌ بالوزارة فى طريقه وتلقّاه القوّاد وغيرهم عند وروده بغداد

فركب أبو على الخاقانى فى عشية من العشايا الى دار السلطان والتمس الاذن فى الوصول فأذن له واُوصل الى المقتدر بالله . فوصف له ان الامور قد اضطربت والاموال قد تأخّرت والدنيا قد خربت بكثرة الاراجيف به لان ابن أبى البغل يذكر انه قد استحضر للوزارة فخاطبه المقتدر بجميل وأذن له فى إبعاد ابن أبى البغل وأخيه عن الحضرة فقبض عليهما وأبعدهما

(١) يعنى قلد المقتدر الخاقانى : راجع كتاب الوزراء ٢٦٠ـ٢٦١ (٢) لم يوجد لفظ (له) بالاصل

وتنكّرت أم موسى القهرمانة للوزير أبي على الخاقاني نخافها وأشفق أن تفسد عليه أمرهُ فأرضاها بان قلد أبا الحسين منهما [٨٤] أعمال الخراج والضياع باصبهان وقلد أبا الحسن أخاه أعمال الصلح والمبارك [١]

وكتب الوزير باطلاق أبي الهيثم العباس بن ثوابة وكان معتقلا بالموصل وكان ابن الفرات نقلهُ اليها فى نكبة محمد ابن عبدون لقرابة بينهما . وكان ابن ثوابة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشر [٢] فورد بغداد فى سنة ٣٠٠ وقلده الوزير أبو على الخاقانى ديوان المصادرين والضياع العباسيّة والفراتيّة وردّ اليه مُناظرة أبي الحسن بن الفرات وأسبابه وكتّابه فاسرف ابن ثوابة فى إيقاع المكروه بهم وعذّبهم بأنواع العذاب فجرت بينه وبين أبي الحسن بن الفرات مُناظرات هائر فى بعضها ابنَ الفرات وشتمه بحضرة أم موسى فردّ عليه ابنُ الفرات أقبح ردّ وشتمه أغلظ شتيمة ونسبه فى نفسه الى كل حالٍ قبيحة فراسل ابن ثوابة المقتدر بان ابن الفرات لم يقدم على هذا الا لشدّة بطره وكثرة أمواله واستأذن فى مُعاقبته . فبسط يده عليه فقيّده وغلّه وألبسه جُبّة صوف وأقامه فى الشمس مدة أربع ساعات وكاد يتلف (٣) فانهى بدر الحُرمى فى حاله الى المقتدر فانكرها وأمر بنقله الى بعض الحُجر التى فى يد زيدان [٨٥] القهرمانة للحُرم الخواصّ واحسن اليه ورفّهه وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بانه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاعٌ فاخرٌ الا وقد أقرّ به وقت مناظرة ابن أبي البغل ،

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٧٢ ـ ٢٦٨ (٢) راجع ماذكره فيحقه الفرغاني ؛ ارشاد الاريب :٢٩٨ وفى كتاب الوزراء ٢٦٢ وفي صلة عريب : ٥٩ انه مات سنة ٣٠٣
(٣) ذكرهذا فيما بعد وراجع أيضا كتاب الوزراء ١٠٥ ـ ١٠٣

فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابن ثوابة من مناظرته

ثم صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات فى الامور ويقربه رفاع الوزراء اليه ويجيبهم عنها برأيه ثم كثرت السعايات بابى على الخاقانى وتمكن أبو القاسم ابن الحوارى

ذكر فساد تدبير الخاقانى لامر الوزارة

كان أبو على الخاقانى متشاغلا بخدمة السلطان ومراعاة أعدائه لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة واعتمد على ابنه أبى القاسم عبدالله وقلده مع العرض على الخليفة خلافته على الاعمال والتنفيذ للأمور .

وكان ابنه هذا متشاغلا بالشراب انما يراعى أمر القواد والجيوش والولايات للعمال ويدع ما سوى ذلك . وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد ولقراءة الكتب النافذة أبا عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى . وكانت لابى على الخاقانى وابنه الجوامع بما يرد وينفذ فلا يقرأها أحد منهم (٨٦) الا بعد فوت الامر الذى وردت فيه الكتب وتبقى الكتب بالحمول والسفاتج فى خزانتهما لا تفض ولا يعرف حال ما فيها فقسدت الامور بولاية أبى على الخاقانى وضاعت .

وكان يقلد فى أسبوع واحد الكورة عدة من العمال حتى قيل انه قد قلد اعمال ماد الكوفة فى مدة عشرين يوما سبعة من العمال واجتمعوا فى خان بحلوان وقلد اعمال قردى وبزيذي خمسة من العمال اجتمعوا فى خان بعكبرا فى يوم واحد وسبب ذلك ارتفاق أولاده وكتابه من العمال الذين يواونهم فسطرت الاحاديث وحفظت له النوادر

وأطلق يده بالتوقيعات وفى الزيادات والنقل والاثبات يوقع بذلك هو

وابناه وبنان ويحيى بن ابراهيم المالكى وأحمد ومحمد ابنا سعيد

وكان أبو على الخاقانى يتقرّب الى قلوب الخاصّة والعامّة فمنع خدم السلطان ووجوه القوّاد ان يترجموا رقاعهم بالتعبّد ويتقرّب الى العامّة بان يصلّي معهم فى المساجد التى على الطّرُق . فكان اذا رأى جمعا من الملاّحين أو غيرهم من العامّة يصلّون فى مسجد على الشطّ قدّم طيّارة وصعد وصلّى معهم فاتضعت الوزارة بافعاله وذلّت (١)

وكان (٨٧) اذا سأله انسان حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة : فسُمّي « دقّ صدره » وضاقت الاموال فقصّر فى إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقوّاد القُدَماء ومن يجرى مجراهم فشغبوا عليه وقصدوا المُصلّى فاقاموا فيه وأخرجوا معهم أكثر القوّاد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم. فامره المقتدر باطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الاموال ونقصان الارتفاع وذكر ان الاموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت فى بيت مال الخاصّة وانه ليس ينفذ له صاحب بيت مال الخاصة أمراً فيها . فامر باخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق فى الجند المشغبين

وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشّرط شفيع اللؤلؤىّ .

فلما رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرّب الى المقتدر برقاع أوصلتها أمّ موسى يذكر فيها انه يستخرج من العُمّال أموالا جليلة أهملها الخاقانى وذكر انه يستخرج من محمد بن على الماذرائى وأخيه ابراهيم وحدهما سبعمائة ألف دينار (٢) فخرج الامر الى الخاقانى بتقوية يد ابن ثوابة ففعل

(١) وزراء : ٢٦٣ : ٢٧٨ (٢) راجع صلة عريب ٣٩ — ٣٨

ذلك [٨٨] واستخرج أموالا بالعسف وتغلب على الامور وكان يصرف عمّال الوزير ويولّى من يرى وتوصّل الاشرارُ الى كتب الرقاع على يد أم موسى الى المقتدر بخطوط الاعمال ويتضمّنون الاموال فخرج الامر الى الخاقانى بتقليدهم ذلك فانتشر أمره وشاركه الاشرار فى النظر واستخرجوا الاموال من كل وجه بكل عسف

وكان حامد بن العباس قد تضمّن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل الكُتّاب له عملاً وحصّلوا عليه فى كل سنة مائتى وأربعين ألف دينار وألفى وأربعمائة كُرّ بالمدّل شعيراً للكراع فى كل سنة يستوفى منه مع المال الذى ذكرنا مبلغهُ . وانما كان حامد ضمن على عبرة السنة المتقدّمة وزيادة يسيرة وكان التقصير والاضاعة والتخليط يقع من الخاقانى وذلك ان الخاقانى كان يتقلد فى أيام عبيد الله بن سليمان (ومابعدها الى وقت استتاره فى أيام وزارة ابن الفرات الاولى) اعمال البريد والمظالم والخرائط بماسبذان فلما ولى الوزارة تحير لِقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالاعمال فشرع مونس فى تقليد على ابن عيسى

﴿ ودخلت سنة ثلثمائة ﴾

[٨٩] ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الامور وفساد التدبير وانتقاض المملكة شاور مؤنسا الخادم وعرّفه ان الصورة تقود الى ردّ أبى الحسن بن الفرات وتقليده الوزارة . وكان مونس مستوحشا من ابن الفرات لامور حكينا بعضها فى حكاية أمره مع سبكري وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه . فقال مونس للمقتدر بالله انه يقبح ان يعلم أصحاب الاطراف ان السلطان صرف وزيراً ثم اضطرّ اليه وردّه بعد شهور من صرفه ثم

لاينسبون ذلك الا الى المطمع فى ماله فقط وقال : ان كُتّاب الدنيا الذين دبروا المملكة[1] دواوينها منذ أيام المعتضد بالله هما ابنا الفرات وأبو العباس منهما قد مات وتقلد الآخر الوزارة الى ان صُرف عنها ومحمد بن داود (٢) ومحمد بن عبدون وقد قُتلا في فتنة ابن المعتز ، وعلي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ولم يبقَ من يصلح لتدبير المملكة غيره ووصفه بالثقة والامانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة فامره المقتدر باتفاذ يلبق اليه ليحمله الى الحضرة وأظهر للخاقاني انه يحضره ليستخلفه لابنه عبدالله على الدواوين . وكان الخاقاني يقول فى مجلسه : انى قد كتبتُ بحمل علي بن عيسى (٩٠) الى الحضرة لِاستخلفهُ لِعبد الله . فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم سنة ٣٠١ ركب الخاقاني الى دار السلطان فقبض عليه وعلى ابنَيه عبد الله وعبدالواحد وأبي الهيثم بن ثوابة ويحيى بن ابراهيم المالكى وأحمد ومحمد ابنى سعيد الحاجبَين وبُنان وسعيد بن عثمان النفّاط واعتقلوا فى يد نذير الحرمى . وكان سعيد بن عثمان النفّاط أحد من سعى للخاقانى فى الوزارة فقضى حقّه بان قلّده أعمالا كثيرة جليلة

وفى هذه السنة صُرف عبد الله بن ابراهيم المسمّى عن أعمال المعاون بفارس وتقلّدها بدر الحمامى وكان بدر يتقلّد أعمال المعاون باصبهان فنقل الى أعمال فارس وكرمان[2] وقُلّد مكانه على ابن وهسوذان الديلمي

﴿ ودخلت سنة احدى وثلثمائة ﴾

وفيها تقلّد أبو الحسن على بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكّة وخلع

---

(١) لعله سقط ونقدوا (٢) وفي الاصل يزداذ وهو غلط (٣) قال صاحب التكملة ان فى صفر سنة ٣١١ مات أبو النجم بدر الحمامى بشيراز ودفن فيها ثم نبش وحمل الى بغداد

عليه وركب من دار السلطان الى داره وركب معه مونس الخادم وغريب الخال وسائر القوّاد والغلمان . وسُلّم اليه فى يوم الخلع محمد بن عبيدالله الخاقانى وابناه وجميع من سمّيتهم [٩١] فيما تقدّم فصادرهم مصادرات قريبة الامر واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه ثم أطلق الخاقانى الى منزله ووكّل به فيه وصان حرمه أتمّ صيانة وأوقع بابى الهيثم بن نوابة مكروهاً . ثم صار ينظر فى أمر الاعمال فى دار الوزارة بالمخرّم ، يبكر اليها فى كلّ يوم ويعمل فيها الى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرف الى داره . وكتب الى كل واحد من العُمّال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين اياه بالخلع وردّ أمر الدواوين والمملكة اليه ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والاجتهاد فى العمارة ويقول فى آخر كتابه : وهذا عُنفُوان السَّنَة وأول الافتتاح ووقت جموم الخراج . واست أعلمُ ما يجب ان أطالبك به فاذكرَهُ وأخاطبك عليه ولكنى آمرُك ان تحمل صدراً من المال يتوفر مقدارُهُ وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابى هذا عند نظرك فيه . وتكتب الى بشرح الحال فى أمور نواحيك وتنفذ مُوافقةً نقف عليها و بها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك فى توفيرها وتعميرها . وتتوقف عن امضاء التسبيبات وما يجرى مجراها الى ان يرد عليك كُتبى وتوقيعاتى فى آستبار رأيك [٩٢] عما يكون عملك عليه وتمكّن فى نفسك انه لا رُخصة عندى ولا هوادة فى حق من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه ولا درهم من ماله أسامحُ فيه ولا تقصير فى شئ من أمور العمل أصبر لقريبٍ أو بعيدٍ عليه . ولا تكون باظهار أثر جميل فى ذلك أشدّ عنايةً منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها فانى أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الاموال وحياطتها

وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه ان شاء الله .

وقلد بعد ذلك الدواوين جماعةً وعزل جماعةً وفعل مثل ذلك بالعُمّال ونظر الى مَن تعود اقتطاع الاموال السلطانية واقامة مُروّات نفسه منها وقصر في العمارة واعتمد غيره فعزل أمثال هؤلاء ثم عمر الثغور والبيمارستانات وادرّ الارزاق لمن ينظر فيها وازاح علل المرضى والقوّام وعمر المساجد الجامعة وكتب الى جميع البلدان بذلك ووقع الى العُمّال به وكتب الى العُمال في أمر المظالم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته ويدعي انه تلف بالآفة من غلّته ان تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك (٩٢) وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه (١) فترفعه وتضع الانصاف موضعه وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه وتستوفي الخراج بعده من غير محاباة للاقوياء ولا حيف على الضعفاء . فاعمل فيما رُسِم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ويكون العدلُ به على الرعيّة كاملاً والانصاف لجميعهم شاملاً انشاء الله

وكتب باسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفي جميع ما يشبه ذلك كُتُباً مشهورة مستحسنة (٢) فساس أبو الحسن علي بن عيسى الدنيا أحسن سياسة ورسم للعُمّال الرسوم الجميلة وأنصف الرعية وأزال السنن الجائرة ودبر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامة وعفاف وتصوّن وديانة ونظر في المظالم وأبطل المكس بمكّة والتكملة بفارس وسوق (٣) بحر بالاهواز

(١) لعله فيريك الظلم الخ (٢) وردت نسخة هذا الكتاب في كتاب الوزراء ص ٣٤٢ (٣) راجع معجم البلدان

وجباية الخور بديار ربيعة فبانت بركتُهُ على الدنيا . وعمر البلاد وتوفر الارتفاع واستقام امر السلطان وعادت هيبة الملك وصلح امر الرعيّة

ثم أسقط علي بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقاني في وزارته في دواوين الجند وأقطاعاتهم وكانت هذه الزيادة قد لحقت القوّاد وسائر أصناف الجند ولحقت الخدم والحاشية[٩٤] وجميع الكُتّاب والمتصرّفين وكانت كثيرة فلما أسقطها عاداهُ أكثر الناس وشنعوا عليه بالضيق والشحّ وقلّة الارزاق وانّما اضطرّ الى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدةً على دخله زيادةً مفرطة تحوج الى هدم بيوت الاموال وصرفها في نفقات يستغنى عنها

وحكى ثابت بن شيبان عن علي بن عيسى انه قال : كنتُ عمات عملاً لارتفاع المملكة وما عليّ من الخرج ، فكان الخرج زائداً على الدخل بشيء كثير فقال لي ابن الفرات يوما بعد صرفه اياي وقد أُخرجتُ اليه في دار السلطان ليناظرني : أبطلتَ الرسوم وهدمتَ الارتفاع . فقلتُ له . أيّ رسم أبطلتُ ؟ قال : المكس بمكة والتكمله بفارس . فقلتُ : وهذا وحده أبطلتُ ؟ قد أبطلتُ أشياء كثيرة فمنها ومنها (وعددتُ أشياء مبلغُ جميعها خمسمائة الف دينار في السنة) ولم أستكثر هذا المقدار في جنب ما حططتهُ عن أمير المؤمنين من الاوزار وغسلتُ به عن دولته من الدّرَن والعار ولكن أنظرْ معما حططتُ وأبطلتُ الى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك . قال ثابت : فقلتُ[٩٥] : فبأيّ شيء أجابك ؟ فقال: خرج الخادم ففرّق بيننا قبل ان يجيب[١]

قال . وحدّثني أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر في أعمال النهروانات

(١) هذه الرواية موجودة في كتاب الوزراء ٣٢٣

قال : مسحنا على الناس غلاّتهم فاذا ببعض النُّسّاء قد ذهب الى باب الوزير علي بن عيسى ونحن لا نعلم فتظلّم انا زدنا عليه في مساحة قراح له . فلم نشعر بشيء الاّ وقد جاءنا عامل يعرف بابن البذّال ومعه فوج من مسّاحي بادوريا وفرسان ورجّالة فلم نشك في انه صارفٌ لنا فقال لي صاحبي . أحبُّ ان تتلقّاه وتتنسّم الخبر . ففعلتُ وتلقيتهُ وعرفتُ خبر المتظلم ، فعرّفتُ صاحبي ذلك فقال لي : لا تدري كيف جرى أمر مساحته . فقلتُ لا. قال : فاخرجْ حتي تواقف وتجتهد . قال : فخرجتُ ومعي مسّاحُ البلد الذين مسحنا بهم واستقصيتُ معهم وما زلتُ الطف الى ان تقرّرت المساحة . وكنا مسحنا القراح بائتين وعشرين جريباً فخرجت مساحتهُ احدى وعشرين جريباً وقفيز . فاحتججتُ بان القراح مُسح وفيه غلة قائمة ومُسح في هذا الوقت بعد الحصاد وليس بمنكر ان يكون بين المساحتَيْن في الحالتين هذا المقدار . وانصرف ابن البذّال [١٦] وورد عليه كتاب علي بن عيسي بالصواعق في الانكار والتوعُّد بأنه ان وقف على ان أحداً من الرعيّة حيف عليه في معاملةٍ أو مساحة فعل وصنع . قال : فما جسرنا أن نستقصي على أحد في معاملة . فلما كان في السنة القابلة زاد الارتفاع في العشرة ثلاثة لان الخبر انتشر بالعدل وقيل « قد رفع الحَيف والظلم » فنشط الناس للازدياد من العمارة [١]

وفعل مثل ذلك في المظالم . وحكى ابن المشرف ان بعض عُمّال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس اهلهُ فصبروا على الحبس فقيدهم فصبروا علي القيد ولم يجسر ان يُوقع بهم خوفاً من علي بن عيسى . فكتب بحضرتهم

(١) وردت الحكاية في كتاب الوزراء ٣٤٦ — ٣٤٥

الى علي بن عيسى يضربه عليهم غاية التضريب ويقول : ان هؤلاء قوم يُدِلّون بالجلد وعليهم اموالٌ وقد ألطّوا وصبروا على الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسّى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه . قال القوم : فجزعنا وخفنا ان يطلق يده فينا فيتلفنا لما كان فى نفسه علينا وهممنا بان نذعن له ثم اجتمع رأينا على التوقف الى ان يرد الجواب . قال : فورد واذا هو قد وقّع بخطّه على ظاهر الرُّقعة : الخراج عافاك الله دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ (١) ذاك الى غيره والسلام. قالوا . ففرّج عنّا وأدّينا الصحيح مما علينا . فلما كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا فى العشرة اثنين وزرعنا حتى (على) السطوح ثقة بالعدل والانصاف (١)

ولما صرف أبو على الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاتُهُ على علىّ بن عيسى فأنكرها وجمعها وأنفذها الى أبى على الخاقاني وقال : أنظر فى هذه التوقيعات وعرّ فنى الصحيح منها والباطل الذى زُوِّر عليك . واتفق ان حضر رسولهُ وأبو على الخاقانى يصلى فوضع الرسول التوقيعات بين يدى أبي القاسم ابنه وادى الرسالة . فأخذ أبو القاسم يميزها وينفرد الصحيح منها . فاومأ اليه أبوه بالتوقف فتوقف فلما فرغ من الصلاة أخذها فتصفحها ثم خلطها ودفعها الى الرسول وقال : تقرأ على الوزير السلام وتعرّفه أن هذه التوقيعات كلها صحيحة ، وأنا أمرتُ بها فما رأيتَ أن تمضيه أمضيتهُ وما رأيتَ أبطالهُ أبطلتهُ . فلما انصرف الرسول قال لابنه . يابنى أردتَ أن تبغضنا الى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط

(١) راجع كتاب الوزراء ٣٤٦

الشوك بيدك نحن قد صرفنا فلمَ لا تتحبب الى الناس بامضاء كل ما زوّر علينا فان أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وان أبطلهُ كان الحمد لنا والذم له فاستحسن الناس هذا الفعل[٩٨] من أبي علي[١] الا ان علي بن عيسى تذمم الى الخلق من الخاصة والعامة والحاشية باسقاطه الزيادات التي صارت عند أصحابها كالاصول واطّراحه النفقات التي تعود بتمزيق الاموال بغير فائدة. فثقلت وطأتهُ وكره الناس أيامهُ وقصدوا التشنيع عليه وثلبوهُ عند المقتدر بالله وسعى قومٌ لابي الحسن ابن الفرات في الوزارة

وفي هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاّج بالسوس وادخل بغداد مشهراً على جملٍ وكان حمل الى علي بن احمد الراسبي فحملهُ علىّ الى الحضرة فصلب وهو حيّ وصاحبهُ وهو خال ولدهِ معه في الجانبين جميعا وحبس الحلاّج وحده في دار السلطان . وظهر عنه بالاهواز وبمدينة السلام انه ادّعى انه الهٌ وانه يقول بحلول اللاهوت في الاشراف من الناس .

وفيها اطلق الوزير ابا علي الخاقاني وازال عنه التوكيل . وفيها مات علي ابن احمد الراسبي بدُور الراسبي وتقدم مونس الخادم بمشورة علي بن عيسى لقبض امواله . وكتب الى الغمر بن عبد الله بالمصير اليه والاجتماع معهُ على ذلك . فكتب انه حصل منها نحو الف الف دينار[٢]

وفيها خلع على الامير أبي العباس بن المقتدر بالله وقُلد أعمال الحرب بمصر والمغرب واستخلف[٩٩] له على مصر مونس الخادم . وقلد الامير علي ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والاحداث والحرب بكور الرىّ

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٨٠ — ٢٧٨　(٢) راجع صلة عريب ٤٥ — ٤٤

ودينَاوَند وقزوين وزنجان وأبهر والطرم

وفيها ورد الخبر بقتل (أحمد بن اسمعيل) بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ نهر بلخ قتله غلمانه وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه فنفذ العهد اليه من المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه

وفيها ورد الخبر بان خادما لابي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المتغلب على هجر قتلهُ . ثم ان ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاهُ فدعا رجلا من رُؤساء اصحابه وقال : السيد يدعوك . فلما دخل قتلهُ وما زال يفعل ذلك بواحدٍ واحدٍ الى أن قتل أربعة من الرؤساء ثم دعا بالخامس فاحسّ الخامس بالقتل فصاح واطلع النساء عليه وصحنَ فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس وقتل الخادمُ وكان صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد الى ابنه سعيد فلم يضطلع بالامر فغلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمن بن الحسن

وقد كان القرامطة وافوا الى باب البصرة فى سنة ٢٩٩ وكان المتقلد لاعمال المعاون بالبصرة محمد بن اسحق بن كنداجيق [١] وكان يوم جمعة والناس فى الصلاة فصاح صائح [١٠٠] « القرامطة القرامطة ! » فخرج اليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدُهما عند الميل فنظر اليه البوّابون جالسا متكيا قد وضع احدى رجليه على الاخرى والاخر بازائهم فصاحوا به وبدر اليه رجل من الخول فطعنه [٢] القرمطى وقتله وتراجعوا فبكي

(١) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٠٤ : وفيها مات محمد بن اسحاق بن كنداجق (كذا) بالدينور وكان متقلداً وصادر علي الوزير ورثته فصالحهم على ستين الف دينار معجلة (٢) الصواب فطعن فانه يظهر ان القرمطي هو المقتول

أخوه فقالوا له . ارجع فجر برجله وخذه لعنكما الله . قالوا : ومن أنتما ؟ قالوا:[1] نحن المؤمنون . ثم تنحى فجا حتى أخذ أخاه ودخلوا فاغلقوا الباب وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار الى الموضع فنظر الديدبان عند صهاريج الحجاج اليهم فقالوا : إنهم نحو ثلاثين فارساً . فخرج اليهم عطارد ابن شهاب العنبرى وخواصه وغلمان من شحنة البصرة والمطوّعة فقتل أكثرهم ولم ينج منهم الاّ من هرب قبل المعاينة وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئا الا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة . ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنهُ الليل فلما أصبح لم يرَ منهم أحداً . فكتب الى ابن الفرات وكان هو الوزير فى الوقت يستنجده ، فامدّه بمحمد بن عبد الله الفارقي فى جيش كثيف وقائد من الرجال يعرف بقوروَيه وجعفر الزرنجي فى نفر من الرجالة معونةً لابن كنداجيق

فلما تقلّد أبو الحسن[١٠١] على بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر فى أمر القرامطة فاشار بمكاتبة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى فتقدّم اليه بمكاتبته وانفاذ الكتاب على يدى من يرى فكتب كتاباً طويلا جداً يُذكّرهم بالله ويدعوهم الى الطاعة ويقول فى آخره : ان أمير المؤمنين جعل هذا ظهيراً[2] عليك وحُجّة من الله بيّنةً فيك وقاطعاً لِعلّك وباباً يعصمك ان صدقتَ عمّا أراده من الخير بك وعظُمت النعمة فيما بذلهُ من العهد لك .

ونفذ الرُسُل فلما وصلوا الى البصرة انتهى اليهم قتل أبى سعيد[3] فتوقفوا

---

(١) الصواب قال (٢) الصواب ظهيرا يعني برهانا (٣) ليراجع رسالة نفذها أبو سعيد هذا الى المعتضد بالله وردت فيما تقدم من الكتاب وهى موجودة أيضا في كتاب الفرج بعد الشده ١ . ١١٠

عن المسير وكاتبوا الوزير على بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه ، فعاد الجواب اليهم بالمسير الى أولاده ومن قام بعده مقامه فتمموا المسير وأوصلوا الكتاب وادّوا الرسالة فأجابوا عن الكتاب. وأطلقوا الاسرى الذين تكلم فيهم الرسل وعاد بهم الرسل الى بغداد

﴿ ودخلت سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

وفيها قبض على أبي عبد الله الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأنفذ الى داره جماعةٌ حتى حملوه الى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ماقيمته أربعة آلاف [١٠٢] وكان هو يدعي أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز فى ذلك عشرين الف الف دينار وأكثر [١]

(١) ومبلغ ما أخذ منه في صلة عريب ص ٤٨ هو ستة آلاف الف دينار وفى كتاب الوزراء ص ٢٢٣ عشرة آلاف الف دينار ووردت فى صلة عريب ص ١٣٠ قصة كيف وجد على بن عيسى بمصر سبحة جوهر أخذت منه وقد سرقت . وقال صاحب التكملة : فى هذه السنة صودر ابن الجصاص قال الصولى : وجد له بداره يسوق يحيى خمسمائة سفط من متاع مصر ووجد فيها جرار خضر وقماقم مدفونة فيها دنانير وأخذ منه الف الف دينار . قال الصولى : وحضرت مجلساً جرى فيه بين ابن الجصاص وابراهيم بن أحمد الماذرائى خلف فقال ابراهيم :مائة ألف دينار من مالى صدقة لقد أبطلت فى الذى حكيته عني . فقال ابن الجصاص : قفيز دنانير من مالى صدقة انني صادق وانك مبطل . فقال ابن الماذرائي : من جهلك انك لا تعلم أن مائة الف أكثر من قفيز فانصرفت الى أبى بكر ابن أبي حامد فاخبرته فقال : نعتبرها . فاحضر كيلجة فملأها دنانير ثم وزنها فكانت أربعة آلاف فنظرنا فاذا القفيز ستة وتسعون الف دينار كما قال الماذرائى . وكان ابن الجصاص قد أنفذ له من مصر مائة عدل خيشاً فى كل عدل الف دينار فأخذت أيام نكبته وتركت بحالها ولما أطلق سأل فيها فردت عليه فاخذ المال منها . وكان اذا ضاق صدره أخرج جوهراً يساوى خمسين الف دينار وتركه فى صينية ذهب ويلعب به فلما قبض عليه وكبست داره كان الجوهر في حجره فرمى به الى البستان فوقع بين شجره فلما أطلق فتش عليه فى البستان وقد جف نبته وشجره وهو بحالة

وفيها خرج الحسين بن على العلوىّ وتغلب على طبرستان ولقب الداعى فوجه اليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوى اليها [١]

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان . وكان مونس الخادم غائباً قد أخرج الى مصر لمحاربة العلوى صاحب المغرب [٢] لما قصد مصر فى نيف وأربعين ألفاً فندب له الوزير على بن عيسى رائقا الكبيرَ وخلع عليه وكتب الى مونس يعرّفه الخبر ويأمره بالسير الى ديار مُضر اذا انصرف من مصر وان يجذب معه أحمد ابن كيغلغ وعلى بن أحمد بن بسطام والعباس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الاختلال ويحفظ الثغور وخاصّة الجزرية منها فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم اياه وسبيهم كلّ من كان فى نواحيه أمرٌ عظيمٌ لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة . ولما صار رائق الى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين فصار رائق الى مونس واتصلت [١٠٣] كُتُب على بن عيسى الوزير الى مونس بالاسراع نحو الحسين فجد مونس فى المسير ولما قرُب من الحسين جاءه هرون كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب كتب بها مونس الى على بن عيسى وذكر ان هرونَ أوصل اليه كتاباً من الحسين يتضمن خطاباً طويلا قد افتتحه و ختمه وكرّر القول فى فصوله : ان السبب فى خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة عدولُ الوزير أيده الله عما كان عليه فى أمره الى ما أوحشهُ وانه لم

(١) هو الأطروش : صلة تاريخ الطبرى ص ٤٧ (٢) هو المهدى أبو القاسم عبيد الله ومعه جاسة بن يوسف الكتامى البربرى : راجع كتاب الولاة لابى عمر الكندى ٢٦٨ والبيان المغرب ١ : ١٧٢

يف له بضمانات ضمنها له وذكر انه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون الف رجل . وانه سأل الرسول عما حمله الحسين من الرسالة اليه فذكر أنه يسئله المقام بحرّان اذ كانت تحمل عسكره وان يكاتب الوزير أعزّه الله فى أمره ويسئله صرفه عما يتقلده من الأعمال وتركه مقيما فى منزله وتقليد أخيه ديار ربيعة . وأنه عرّفهُ ان هذا متعذّر غير ممكن اذ كانت كتب الوزير متصلة اليه بالانجذاب وان مخالفته غير جائز وانه لا يدع الكتاب فيما سأل ولا يثنيه ذلك عما رسمه الوزير أعزّه الله . فان عزم على اللقاء فبالله يستعين على كلّ من خالف السلطان أعزّه الله وجحد نعمته وان انقاد للحق وسلك سبيله وصار (١٠٤) اليه فنزع عما هو عليه كان ذلك أشبه به وان أبى وأقام على حاله من التعزّز والمخرقة لقيه بمضر بأسرها وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطغامه لا لنكول عنه منه لكن لاستهانته بامره وأنه وكل بكاتبه هذا المترسل عنه وأنه لا يأذن له في الانصراف الاّ بعد أن يعرف خبر الحسين .

ثم وردت الأخبار برحيل مونس حتى نزل بازاء جزيرة ابن عمر ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله ثم انفلّ عسكر الحسين وصاروا الى مونس أوّلاً أوّلا . وورد كتاب مونس بأنه قد صار اليه من أمراء الحسين وغلمانه وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس وأنه خلع على أكثرهم ونفّذ ما كان معه من الخِلَع والمال وانه فى احتيال باق ما يحتاج اليه ثم ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبهُ وقبض على أملاك بني حمدان باسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد

فلما كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشمّاسية الى دار السلطان

مصلوباً على نِفْنِق منصوباً بأعلى ظهر فالج وابنُهُ مشهور على جمل آخر والبرانس على رُؤُسهما وسار بين يديه الأمير أبو العباس ابن المقتدر بالله[١٠٥] والوزير أبو الحسن على بن عيسي والاستاذ مونس الخادم وأبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وابراهيم بن حمدان وسائر القُوّاد والجيش والفيلة . فلما وصلوا الى دار السلطان وقف الحسين بين يدى المقتدر بالله ثم أمر بتسليمه الى زيدان القهرمانة وحُبس عندها فى دار السلطان

وشغب الرجّالة الحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان واحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة فى أرزاقهم فزيد بكلّ غلام ثلاثة دنانير فى كل شهر من شهورهم وزيد الرجّالة كلّ واحد نصف ورُبع دينار[١] فى كلّ شهر فسكن الشغب

وقُبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحبسوا فى دار السلطان وكان هرب ابن للحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعةً من أصحابه وحُملت رُؤسهم الى الحضرة وصُلب قوم من أصحاب الحسين بن حمدان[٢]

ودخلت سنة أربع وثلثمائة

وفيها لقى باصبهان غلامٌ لعلى بن وهسوذان الديلمى . وكان يتقلد أعمال المعاون بها أحمد بن سيّاه عامل الخراج بها أنفذه صاحبه اليه فى حاجة

(١) قال صاحب التكملة : خمسة عشر قيراطاً

(٢) يراجع في قصته صلة عريب ص ٥٨ — ٥٦ وقال فيه الحافظ الذهبي فى تاريخ الاسلام انه قدم الشام لقتال الطولونية فى جيش من قبل المكتفى وقدم دمشق لحرب القرامطة أيام المقتدر ثم ولاه ديار ربيعة ففزا وافتتح حصونا وقتل خلقاً من الروم ثم خالف فسجن ثم قتل سنة ٣٠٦

واتفق انه لقيه وهو[١٠٦] راكبٌ فكلّمه فى الحاجة فاشتدّ ذلك على أحمد بن سيّاه وقال له: يا مُؤاجر تخاطبنى فى حاجةٍ على ظهر الطريق ! فانصرف الغلام الى مولاه مُحفظاً وحدّثهُ بما جرى فقال له : صدق فيما قال ولولا أنك مُؤاجر لضربتَ رأسَه بالسيف لما خاطبك بذلك.. فعاد الغلام ووجد أحمد ابن سيّاه مُنصرفاً فعلاه بالسيف وقتله . فانكر السلطان ذلك عليه وصرف على بن وهسوذان لأجل ذلك عن أصبهان بأحمد بن مسرور البلخى . فاستأذن على بن وهسوذان فى الانصراف الى بلد الديلم فأذن له ثم سأل بعد ذلك فى أمره مونس الخادم فرضى عنه وأقام بنواحى الجبل

وفيها قدم محمد بن على بن صُعلوك مدينة السلام وهو ابن عمّ صاحب خراسان مُستأمناً فخلع عليه

وفيها فى فصل الصيف تفرّعت العامّه من حيوان كانوا يُسمّونه الزّبزب ذكروا أنهم يرونه فى الليل على سطوحهم وأنه يأكل أطفالهم قالوا ورُبّما قطع يد الانسان اذا كان نائماً أو ندى المرأة فيأكله . وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعقون ويضربون الطُّسوت والصوانى والهواوين ليفزعوه وارتجّت بغداد لذلك حتى أخذ السلطان حيواناً غريباً ابلق كأنه من كلاب الماء وقال «هو الزبزب» وأنه صيد فصُلب[١٠٧] على نقنق عند الجسر الأعلى وبقى مصلوباً الى أن مات . فلم يغن ذلك الى ان انبسط القمر وتبين للناس أنه لا حقيقة لما توهموه فامسكوا الا أن اللصوص وجدوا فُرصتهم بتشاغُل الناس فى سطوحهم فكثرت النقوب

وفيها تقرّر عند أبى الحسن على بن عيسى الوزير انه قد سعى لابن الفرات فى الوزارة وتحققه فاستعفى منها ولم يُعفه المقتدر . وأظهر فى دار

السلطان ان ابن الفرات عليل شديد العلة واتفق[1] ان مات الشارى الذى كان محبوساً فى دار السلطان[2] والتدبير في أمر الشراة ان يكتم موت من يؤخذ منهم ممن تسميه الشراة اماماً فانه ما دام حياً فليس ينصبون اماماً غيره فان صح عندهم موته نصبوا غيره . فأظهر في دار السلطان ان ابن الفرات مات وكفّن الشارى واخرجت جنازته على انها جنازة ابن الفرات وصلى عليه الوزير على ابن عيسى ثم انصرف الى منزله متوجعاً وقال لخواصّه « اليوم ماتت الكتابة » ثم مضت الايام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعى لابن الفرات وانه حيّ فقال لخواصه : ليس ينبغى للانسان ان يتحدّث بكلّ ما يسمعه

وكان يضجر فى أوقات من سوء[108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات ويستعفى من الوزارة ويخاطب المقتدر في ذلك فينكر عليه استعفاءه الى ان اتفق يوماً ان صارت اليه أمّ موسى القهرمانة فى آخر ذى القعدة من سنة ٣٠٤ لتوافقه على ما يطلق فى عيد الاضحى للحرم والحاشية . وكان على بن عيسى محتجباً فلم يجسر سلامة حاجبه عليه ان يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلا فغضبت من ذلك . وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها فأمر ان تلتمس ويعتذر اليها لترجع فأبت ان تعود وصارت الى المقتدر والسيدة فاثرت به وتخرّصت عليه الاحاديث فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٠٤ عند ركوبه الى دار الخلافة ولم يتعرض لشىء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه ولا لاحد من أولاده واعتقل عند زيدان القهرمانة

(١) وفى كتاب العيون : انه مات بعض الخدم (٢) هو هارون وظفر به الحسين بن حمدان المقدّم ذكره في سنة ٢٨٣ :طبري ٣ : ٢١٤٩

فكانت مدّة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً [١]

﴿ وزارة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات الثانية ﴾

فيها تقلد أبو الحسن الوزارة والدواوين لثمان خلون من ذى الحجة [٢] وخلع عليه وصار [١٠٩] الى داره بالمخرّم التى كان أقطعها فى وزارته الاولى. وكتب الى الاطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته الى الوزارة على

(١) راجع كتاب الوزراء : ٢٨٦—٢٨٣

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وفيها قلد أبو الحسن ابن الفرات ابنه أبا أحمد المحسن على زمام المشرق وجعله خليفته له فيه وقلده أيضاً ديوان البر وقلد ديوان المغرب مكان أبى عبد الله محمد بن أحمد (الخاقانى) بعد أن صرفه عن ديوان المشرق فلم يزل يتقلد ديوان المغرب وديوان البر طول أيام أبيه . وقلد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الفرات ديوان الخراج والضياع العامة وطساسيج السواد وكور الاهواز وفارس وكرمان وسجستان وصار أبو الفتح الى ديوان الزمام . فصادف أبا الحسين على ابن الحسين الماذرائي المتقلد لهذا الديوان في مجلسه لم يعلم بمجيء أبي الفتح فلما علم أبو الحسين ذلك قام من مجلسه وجلس بمكان غيره الى أن وافوا بدابته فركب وانصرف وجلس أبو الفتح مكانه .

وأما الماذرائيين قال أيضاً ان فى هذه السنة تنكر لهم ابن الفرات لان ابرهيم بن أحمد الماذرائى حج فيها فلم يكن ابن الفرات تقلد الوزارة فلما وصل الى مكة كانت أخت ابن الفرات مجاورة فى مكة نازلة فى بعض الدور فقصد ابراهيم بن أحمد الدار للنزول بها وحولها منها تحويلا قبيحاً بعد أن أسمعها مكروهاً وبسطوا ألسنتهم فى ابن الفرات فلما انقضي الحج سارت الى بغداد فوجدت أخاها قد قعد في الوزارة فأخبرته بما نالها من ابراهيم فغلظ ذلك عليه وحقده . فلما وافي ابراهيم بغداد وسار الى دار الوزير لتهنئته بالوزارة فقرعه ووبخه بما كان منه فاعتذر فلم يقبل عذره . ووجد الوزير هذا السبب ذريعة الى مطالبته بمال المصادرة الذى عليه وعلى أقاربه فخاطب الخليفة فى أمر الماذرائيين فبسط يده عليهم .

نسخة أنشأها أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة [1] وفى فصل منه : ولما لم نجد أمير المؤمنين غنىً عنه ولا للملك بداً منه وكان كُتّاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت مابين أخطارهم مقرين برياسته معترفين بكفايته متحاكمين اليه اذا اختلفوا واقفين عند غايته اذا استبقوا مذعنين بانه الحول القلّب المحنك المجرّب العالم بدرّة المال كيف تحلب ووجوهه كيف تطلب انتضاه من غمده فعاد ما عرف من حدّه فنفّذ الأعمال كأن لم يغب عنها ودبّر الامور كأن لم يخل منها . ورأى أمير المؤمنين الآن يدع سببا من أسباب التكرمة كان قديما جعله له الا وفاه اياه ولا نوعا من أنواع المثوبة والجزاء كان أخّره عنه الاّ حباه به وآتاه . نخاطبه بالتسكنية وكان وكان . . . .

وقبض ابن الفرات على أسباب على بن عيسى واخوته وكتابه وجميع عمّاله بالسواد وبالمشرق والمغرب وصادرهم سوى أبى الحسين وأبى الحسن ابنى أبى البغل فانه أقرّهما على ما كانا يتولّيانه من أعمال اصبهان والبصرة لعناية أم موسى [110] بهما وقبض على أبى على الخاقانى وتتبّع أسبابه وألزم جميعهم مُصادَرَةً ثانية أدّوها وطالب العُمّال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدّوها ونصب ديواناً للمرافق وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الجهة كل يوم ألفا وخمسمائة دينار وكانت تنسب الى تلك الخريطة فكان يحملها ولا يمكنه الاخلال بها وكان منها للمقتدر فى كل يوم ألف دينار وللسيدة فى كل يوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلث وللاميرين أبى العباس وهرون ابنى المقتدر في كل يوم مائة وستّ وستّون دينارا وثلثا

وكان ابن الفرات قد اتّسع بما كان استسلفهُ على بن عيسى من الخراج

(٢) وردت ترجمته فى ارشاد الاريب ٦ : ٤٦٣ والكتاب موجود فيها

فانه قد كان جبى قطعةً منه قبل الافتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيام وأعدّ المال في بيت المال لينفقه فى العيد فى اعطاء الحشم والفرسان والاتراك فقويت نفس كاتب[1] ابن الفرات به وانضاف الى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات وأموال سفاتج وردت من فارس واصبهان ونواحى المشرق فى درج كُتب بحمول كتبت على أنها تصل الى على بن عيسي فأطلق جميع ذلك فى الفرسان والحشم والخدم وسهم النفقات

وكان الغالب (١١١) على أمر الدواوين والأعمال فى أيام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتّابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه وكان السبب فى ذلك أنه سلم من النكبة وقت القبض على ابن الفرات فى الدفعة الاولى واستتر مدّة وزارة الخاقانى وعلى بن عيسى . وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة على بن عيسى مكاتبة ابن الفرات على يد عيسى المتطبب وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعه ويرسم له ما يُكاتب به المقتدر عن نفسه فى معايب على بن عيسى وكتّابه وعُمّاله ، وأنه ليس يصادر أحدا من عمّاله ويقول « لا أخوّن عاملاً بعد ان ائتمنته » ويذكر تأخّر أرزاق الولد والحُرم والحشم حتى أنه اقتصر بالولد والحُرم على جارى ثمانية أشهر فى السنة والخدم والحشم بستة أشهر من السنة واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تطلق لهم فى الشهر على خمسين ألف دينار . وكان المقتدر يواقف ابن الفرات على تلك الرقاع فيُعرّفه أن ابن فرجويه خبير بالأمور وأنه صادق فى كلّ ما ذكره فيهمّ المقتدر بصرف على بن عيسى فاذا شاور مونسا فى ذلك أشار عليه أن لا يفعل ووصف على بن عيسى بالديانة والأمانة .

(١) كلمة كاتب كأنها مشطوبة

فلما خرج مونس الى مصر لمحاربة العلوى [١١٢] صاحب المغرب تمكن ابن فرجويه من الجد في السعى على علىّ بن عيسى وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن على بن عيسى لما غاب مونس . فلما تبيّن لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن على بن عيسى كتب رُقعة بخطه الى المقتدر يذكر فيها أنه إن صرف على بن عيسى عن الوزارة وقلّد مكانه على بن محمد بن الفرات أطلق للولد والحرم والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يُطلقه فى أيام وزارته الأولى على التمام والكمال والإدرار وأن يوفّر بعد ذلك من مال مُصادرات العُمّال ومال مرافقهم والاستثبات فى النواحى فى كلّ شهر من شهور الاهلّة خمسة وأربعين ألف دينار فواقف المقتدر ابنَ الفرات على هذه الرقعة فذكر ان جميع ماتضمّنته صحيح وبذل خطّه بضمانه جميع ذلك . فكانت هذه الرقاع من اكبر اسباب التحامل على ابن فرجويه فى وزارته هذه واختصاصه به .

واتفق له مع ذلك ان ابن الفرات اودع على يده عند جماعة من التجار والكتّاب أموالا جليلة ولم يقرّ ابن الفرات بما كان أودعَهُ ابن فرجويه لانه لم يكن يعرف أسماء مَن أودع ذلك عنده فلما عاد الى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعَهُ له من غير [١١٣] أن يذهب له شيء منه

وكان أبو على بن مُقلة مُتعطلاً فى أيام وزارة الخاقانى وعلى بن عيسى مُلازماً منزله واستتر أيام الخاقانى ثم آمنهُ على بن عيسى فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختصّ به لهذه الحال

﴿ ذكر ماجرى من ابن أبى الساج عند تداول الوزارة الأيدى الكثيرة ﴾

لما وقف يوسف بن أبى الساج على الخبر فى صرف على بن عيسى عن الوزارة

وكان مقيماً بآذربيجان ومُتقلّداً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياع العامّة بارمينية وآذربيجان ومُقاطعاً على مال يحمله في كلّ سنة عنها الى بيت المال بالحضرة وكان يُربح العلّة في ذلك المال مدّة أيام وزارة ابن الفرات الأولى . فلما ولى أبو علي الخاقاني الوزارة ثم علي بن عيسى طمع فاخّر أكثر المال الذي كان يقاطع عليه واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان

﴿ ذكر ما دبّره ابن أبي الساج واحتال به ﴾

أظهر ان علي بن عيسى أنفذ اليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب [١١٤] بالريّ وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة وسار مبادراً اليها فلما قرُب منها انصرف عنها محمد بن علي صعلوك وهرب الى نواحي خراسان وكان محمد بن علي هذا متغلّبا على هذه النواحي ثم قاطع عن الضياع والخراج مُقاطعةً خفيفةً ولم يف بذلك أيضاً . فلما وقف ابن الفرات على ما فعلهُ ابن أبي الساج أنهى ذلك الى المقتدر ثم ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيام يمتدّ فيه بما فعله من إخراج محمد بن علي صعلوك عن الريّ وما يليها ويبشّر السلطان بفتحه هذه النواحيَ ويصف انه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة علي بن عيسى سار اليها فرزقه الله الفتح والنصر فاغتاظ المقتدر بالله من ذلك وتقدّم الى ابن الفرات بمواقفة علي بن عيسى على ما كتب به ابن أبي الساج [١] فأخرجه من محبسه ورفق به وخاطبهُ بجميل وقال له : قد يجوز ان تكون دبّرت بهذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر . فحلف انه ماولاّه ولا أنفذ اليه لواءً ولا عهداً وقال : لا بدّ للواء

(١) راجع صلة عريب : ٦٧

والعهد ان ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قوّاده وهؤلاء الخدم والقوّاد بين أيديكم سلوهم عن ذلك ولديوان الرسائل [١١٥] كاتبٌ يتقلّده بكتب العهود والولايات سلوهُ هل كتب بشيء فأخذ منه ابن الفرات خطاً بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه الى ابن أبي الساج في هذا المعنى أغلظ كتب وتوعّده وأنفذ اليه من الحضرة لمحاربته خاقان المفلحي وضم اليه الرجال وأنفذ بعده عدة من القواد مدداً له وأنفق الاموال فيهم وكان فيهم مثل محمد بن سرور البلخي وسيما الخزري ونحرير الصغير وجماعة أمثالهم فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه وأدخلهم مشهرين الى الريّ. وقدم مونس الخادم من الثغر فندب لحرب ابن أبي الساج وشخص اليه وكتب الى جميع القوّاد في طريقه بالانضمام اليه واستأمن اليه أحمد ابن علي صعلوك فأحسن قبوله وصرف خاقان المفلحي عما كان اليه من أعمال الجبل وقلد مكانه نحرير الصغير.

واتصلت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضا عنه ويبذل سبعمائة الف دينار عن أعمال الخراج والضياع بكورة الري وما يليها خالصةً سوى أرزاق الاولياء في تلك الاعمال وسوى النفقات [١١٦] الراتبة فلم يجبه المقتدر بالله الى ما التمسه فكتب يبذل أن يقيم بالريّ متقلداً أعمال المعاون والحرب بها فقط حتى ينفذ السلطان الى تلك النواحي من يتقلد أعمال الصلاة والخراج والضياع والاحكام والبريد والخبر والخرائط والصدقات فأقام المقتدر على انه لو بذل كلّ بذل لما أقرّه على الريّ يوماً واحداً لاقدامه على ان سار اليها بغير أمر فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الريّ وأعمالها

بعد أن أخربها وجبى مالها السنة ٣٠٤ في مدة قريبة وقلد مونس الرى وقزوين وصيفاً البكتمرى . ورضى ابن أبي الساج بأن يجدد له العهد والولاية للاعمال التي كانت اليه أولاً وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال الى بيت المال يحسن موقعها فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحوارى وقالوا : لايجوز أن يقر على أرمينية وآذربيجان الا بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط . ونسبوا ابن الفرات الى مواطاته . فاقام المقتدر على أنه لابد من محاربته أو يرد الحضرة وكتب الى مونس بالتعجيل اليه لمحاربته (١١٧)

فلما رأى ابن أبي الساج أن دمه على خطر حارب مونساً بسراة من بلد آذربيجان فانهزم مونس الى زنجان وقتل من قواد السلطان سيما واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قواد مونس فيهم هلال بن بدر وأدخلهم الى أردبيل مشهرين . وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف وهو مع ذلك يكاتبه ويراسله وابن أبي الساج يلتمس منه الصلح ومونس لايقبل منه الا المصير الى الحضرة . وكان ابن أبي الساج أبقى على مونس لما انهزم حتى سلم فى ثلثمائة غلام ولو أراد ابن أبي الساج لاسره فكان مونس يشكر ابن أبي الساج على هذه الحال (١)

(١) راجع صلة عريب ص ٧٧ * وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٠٦ : وفيها رحل مونس من همذان متوجهاً الى أبهر يحارب ابن أبي الساج وورد علية خبره أنه شديد الاضطراب وانه عزم على الرحيل من الموضع الذى كان فيه وان اخوته قد تهاربوا عنه فرحل مونس وقصد أبهر وقصد ابن أبي الساج أردبيل واتبعه مونس الى أن أدركه وصف مونس أصحابه وصف ابن أبي الساج أصحابه واقتتلوا فانهزم مونس فوقف على الموضع الذى فيه المال فانحاز بين يديه واتبعه يوسف إتباعاً رفيقاً وسار مونس من

فلما كان فى المحرّم بعد ذلك فى أيام وزارة حامد بن العباس واقع مونس يوسفَ بن أبى الساج الوقعة الاخرى باردبيل فأسر يوسفَ وبه

بين يديه حتى صعد العقبة ولحق أواخر العسكر أصحاب سبك غلام ابن أبى الساج فوضع فيهم السيف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة وأفلت من صعد العقبة ونهب عسكر مونس وأخذوا من الجمال والبغال ما لا يقع عليه إحصاء

وأتى مونس زنجان ولحقه الناس وأقام مونس بزنجان خمسة أيام وسار منها الى قزوين وأقام بها شهرين . ووافت الاخبار بالقبض على ابن الفرات وكان يتهم فى تحريش ابن أبى الساج ووافى الى مونس من مدينة السلام المال والكراع والهدايا والآلة والفرش والجمال وجرّد اليه العساكر مع أمراء البلدان ثم لقيه ابن حمدان مستأمنا وسرّ الاستاذ وخلع عليه . وتكاثرت العساكر بزنجان تكاثراً ضاقت بهم أرضها وعظم الشتاء وكثر الثلج وفرق مونس العساكر فى البلدان وأقام هو بزنجان ووافى المال من بغداد مع ماهر الخادم ومبلغه مائة ألف دينار عيناً فسر مونس بوروده .

وقال أيضا فى ترجمة سنة ٣٠٧ : وفيها جد مونس السير الى ابن أبى الساج الى ان وصل العقبة فلما كان ذلك اليوم وافت البشارة بمجئ جوامرد غلام ابن أبى الساج في الأمان فركب وتقدم مونس الى غلامه يلبق ان يتلقاه وأخذ مونس بالحزم وركب العسكر وعلوا رؤوس الجبال ووافى رسول يلبق بصحة الخبر وانه اتى جوامرد معه ثلاثة نفر فقط وكان مونس قد أنهمه فلحق بعسكر مونس فاستبشر الناس بمجيئه وأيقنوا بالظفر وانحلال أمر يوسف وخلع عليه مونس وعلى أصحابه خلعا سلطانية وحمل اليه عشرات آلاف دينار وفروشا . ولم يقف يوسف على خبره الى بعد صلاة العصر من اليوم الذي هرب فيه عرّفه بعض حواشيه بوصوله عسكر مونس فعظم ذلك عليه . وضرب مونس المصاف مع ابن أبى الساج فكسره وانهزم نحو أردبيل وأحرق مضربه ومضى أبو الهيجاء بن حمدان فى الطلب وأحمد بن على أخو صعلوك والفارقى ووصيف وسراج ورجع من مضى فى الطلب وذكروا ان ابن أبي الساج سار الى باب أردبيل وعدل عن المدينة نحو طريق ورثان ورحل مونس نحو أردبيل فوافاه أعرابى يركض وبيده سيف حليته ذهب وهو يطلب الاستاذ فأرشد اليه فاخبر أنه وجماعة من عشيرته كانوا في طلب يوسف الى أن انتصف وكلت دوابهم حتى أدركوا يوسف وقد تقنطر به فرسه فسقط الى الارض سقطة أوهنته

ضربات وانصرف به مونس الى بغداد فلما كان سنة ٣٠٧ حمل يوسف بن أبي

ومعه نفر يسير فلما أدركه تفرق من كان معه ولحقه اعرابي فضربه على رأسه فلما ضربه قال : أنا يوسف وعندى غناك وغنى عقبك . فاخذ سيفه ومنطقه وخاتمين ياقوتا من يده وأخذ فرسه وسلبه وهو ابن عمه وحمله على بغل كانا أخذاه في طريقهما ورجعا نحو عسكر مونس فتلقاه أخو صعلوك فلما رأى يوسف ترجل وقال : السلام عليك أيها الامير . فقال له يوسف : أنت الاميراليوم ياأبا العباس . فاخذه وأقبل الى الاستاذ فشكر لله وحده . وكان الاعرابى الذي أخذه يقال دعيجة بغل (ليراجع كتاب الاغاني ١١ :٩٧) وبه ثلاث جراحات فادخله الى مونس فكلمه باجمل كلام ووعده أحسن وعد وقال : أنا استوهب من أمير المؤمنين ذنبك واجعلك صاحبي وعمدتي . ودعا ماء ورد فغسله به بيده ثم أخرج الى خيمة قد أعدت له وأدخل عليه الاطباء فداووا جراحاته فقال يوسف لبليق : حاجتي أن لا يدخل الىّ غير الطبيب لعلاج جراحاتي وغلام صغير يخدمني. ففعل ذلك

وتوجه مونس الى بغداد ومعه يوسف فتلقاه أبو القاسم بن الحوارى بحلوان ومعه بشر الخادم خليفة مونس وابراهيم بن حمدان وسار حتى وصل المصلى العتيق واستقبله الوزير وارباب الدولة . وكان قد استعد مايشهر به عجل ليحمل عليها واسعة المقعد وعلى أن يلبس المصبغات والبرانس ويشهر بطبل يجعل فى عنقه ويجلس معه المخنثون في العجل يطبلون ويرزون وبلغ ذلك مونس فانكره وكتب فيه كتاباً الى المقتدر يسأله ان لا يشهر بركوب الفيل والعجل فأجيب الى ماسأل . فزينت المدينة وخرج الرجال والنساء فى باب خراسان والى دار المقتدر فى الشارع ودخل مونس وبين يديه يوسف على جمل وعليه الدراعة التي كانت على عمرو بن الليث والبرانس وهو مطرق الى الارض لا ينظر الى أحد وفي رجله خف أسود فرق الناس له ودعوا بأن يعطف الله قلب المقتدر عليه فوصل الى دار المقتدر وأنزل فى الفوج الأول في مرتبة لم ينزلها قبله أحد من نظرائه ثم عدل به الى الدهليز الثالث الذى منه يصل الى المقتدر الى حجرة هناك .

ودخل مونس الى الخليفة بعد أن جلس على سرير ملكه وأبو العباس ابنه عن يمينه والباقون من ولده عن يساره والوزير حامد واقف بين يديه وعلى بن عيسى دونه والناس على مراتبهم فتقدم مونس فقبل يده ورجله والبساط والسرير وتقدم بعده هلال ابن بدر وبعده عبد الله بن حمدان والناس بعدهم ثم وقف ابن أبي الساج فلما وقف بين

الساج على جمل من باب الشماسية وادخل بغداد مشهراً[1] على رأسه برنس وبين يديه الجيش الى أن وصل الى دار السلطان ووقف بين يدى المقتدر ثم حبس فى دار السلطان فى يد زيدان القهرمانة ووسع عليه ثم خلع على مونس وطوق وسوار[118] وخلع على جماعة من قواده وزيد الرجالة نصف دينار لكل واحد فى الشهر

ولما بعد مونس من آذربيجان وأنكفأ راجعاً الى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداذ غلب سبك غلام يوسف عليها . فانفذ مونس اليه محمد ابن عبد الله الفارقى وقلده البلد وكان فى حدود أرمينية فسار الى سبك وحاربه فانهزم الفارقى وصار الى بغداد وتمكن سبك من البلد . ثم كتب الى السلطان يسئل ان يقاطع عن الناحية فأجيب وفورق على أن يحمل فى كل سنة مائتين وعشرين ألف دينار وانفذت اليه الخلع والعقد ولم يف بما ووقف عليه وكان مونس لما ظفر بيوسف بن أبي الساج وقبل انصرافه عن آذربيجان قلد على بن وهسوذان أعمال الحرب بالرى ودينارند وقزوين وزنجان وأبهر وسلمها اليه وجعل أموالها له ولرجاله وقلد أحمد بن على صعلوك

يدى المقتدر رمى بنفسه ليقبل البساط فمنع من ذلك فما زال واقفا ساعة والمقتدر يتأمله ثم يجيء من بين يديه وسلم الى بدر الحرمى . وقد كان مونس وحامد قد تنحوا من بين يدي المقتدر وجلسوا في صفة فجيء بابن أبي الساج اليهم فقال له الوزير حامد : طب نفسا وقر عينا فان مولانا أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وليس يرى الا ماتحب . ثم مضى مونس فخلع عليه وقلد سيفا وعلى هلال بن بدر بعده وعلى أبي الهيجاء بن حمدان بعده والناس على طبقاتهم وأخذ المستأمنة مثل جوامرد وغيره أياما ثم خلع عليهم بعد ذلك فكان جميع من خلع عليه ثلثمائة وخمسة وعشرين رجلا .

(١) قال صاحب التكملة : وشهر على الفالج وهو جمل له سنامان يشهر عليه الخوارج على السلطان

أعمال المعاون باصبهان وقم وجعل مال الخراج والضياع بقم وساوة له ولرجاله مبلغه فى كل سنة أكثر من مائتي الف دينار

ثم وثب أحمد بن مُسافر صاحب الطرم على ابن أخيه على بن وهسوذان وهو معه مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه [١١٩] وهرب فى الوقت الى بلده وكان أحمد بن على أخو صعلوك مقيما بقُمّ فسار منها الى الريّ ودخلها فانكر عليه السلطان فعله وقلّد وصيف البكتمرى أعمال على ابن وهسوذان وقلّد محمد بن سليمان [١] صاحب الجيش أعمال الخراج والضياع وكوتب أحمد ابن على بالانصراف الى قُمّ ففعل ثم جرت بينه وبين محمد بن بهاسليمان وحشة فاظهر الخلاف وصرف عمّال الخراج والضياع عن قمّ وأخذ في الاستعداد للمسير الى الريّ وكوتب نحرير الصغير وهو متقلد همذان بالمسير الى الريّ والاجتماع مع وصيف البكتمري ومحمد بن سليمان على دفع أحمد بن

(١) هو محمد بن سليمان بن المنفق أبو على الكاتب الذي فتح مصر على الطولونية . راجع الطبري . (٣ . ٢٢٥٢) وكتاب الولاة للكندى (٢٤٨) وفى المقفا للمقريزى فى ترجمته انه أخرج معه من مصر القاضى أبا زرعة محمد بن عثمان والقاضي أبا عبيد محمد بن عبدة (وذكر هذا أيضا في القضاة) للكندى ص ٥٢٢ س ٢٣) وموسى بن طونيق وسائر من بقي بمصر من الطولونية. وقدر ان الذى حمله من مصر معه مما أخذه من سائر الناس ألف ألف دينار وأنفذ الى المكتفى من أموال بني طولون وذخائرهم وحليهم وفرشهم ونعمهم أربعة وعشرين ألف حمل ومن العين ألف ألف دينار . وأخذ لنفسه شيأ عظيما جليل المقدار سوى ما أخذ قواد عسكره وسار الى حلب فوافى كتاب المكتفى الى وصيف مولى المعتضد وكان معه ان يوكل به و يشخصه الى الحضرة ففعل ذلك فاخذه المكتفى وقيده واعتقله وطالبه بالاموال التى أخفاها فلم يزل معتقلا الى ان تقلد على بن محمد بن الفرات الوزارة للمقتدر بالله في سنة ٢٩٦ فأخرجه الى قزوين وزنجان واليا على الضياع والاعشار بها. وراجع قصة محمد بن سليمان مع أحمد بن طولون فى الفرج بعد الشدة (١ ، ١٨٠)

على وسار أحمد بن على الى باب الرىّ فواقعوه وانهزم وصيف ونحرير الى همذان وقتل محمد بن سليمان فى الوقعة وحصلت الرىّ فى يد أحمد بن على فشرع في إصلاح مابينه وبين السلطان وعنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالرىّ ودينا وند وقزوين وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كل سنة الى الحضرة وقُلّد الناحية وقُلّد محمد بن خلف النيرمانى الضياع بهذه النواحي وأخرج أحمد بن على عن قُمّ وقلّد من نظر فيها (ونعود الى حديث ابن الفرات)[١٢٠]

لما تبين الوزير أبو الحسن بن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبى القاسم ابن الحوارى وشفيع اللؤلؤى ونسبهم اياه الى مُواطأة ابن أبى الساج على العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصرا وشفيعا عن أكثر أعمالهم . وكان ابن الفرات قلّد أباعلى ابن مُقلة كتابة نصر الحاجب ثم استوحش أبو على ابن مقلة من ابن الفرات لاجل استخدامه سعيد بن ابراهيم التسترى فذكر لنصر ان ابن الفرات قد استخرج من ودائعه التى سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد ان حلف فى وقت نكبته انه مابقيت له وديعة لم يُقربها فذكر نصر للمقتدر ذلك ليُغيظه على ابن الفرات وغرّ نصرٌ وابن الحوارى أبا على ابن مقلة واطمعاه فى الوزارة ليستخرجا ما عنده من أخبار ابن الفرات التى يُضرّ بون بها المقتدر عليه حتى ظهر الامر فى ذلك واشتهر وكثرت به الارجيف فذهب أبو الخطّاب ابن أبي العباس بن الفرات الى عمّه فشرح له مايتحدث به الناس فقال له : ان شككت في أبى على ابن مقلة مع تربيتى له ودفعى منه شككت في ولدى وفيك.[١] ثم تبين ابن الفرات بعد ذلك صحّة ما نُسب

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٢٠ ـ ١١٩ : ٢١٥

الى ابن مقلة واطلع [١٢١] أبا على ابن مقلة على بعض ما وقع اليه من الخوض فى أمره على طريق التعجب ليصرفه عما شرع فيه فاستوحش أبو على منه وخاف معاجلته اياه بالنكبة فجدّ فى السعى عليه واعتصم بنصر الحاجب

﴿ودخلت سنة خمس وثلاثمائة﴾

وفيها ورد رسولان لملك الروم الى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة والطاف كثيرة يلتمسان الهدنة وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرّم فانزلا فى دار صاعد بن مخلد وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بان يُفرش لهما ويُعَدّ فيه كلّ ما يحتاجان اليه من الآلات والاوانى وجميع الاصناف وان يقام لهما ولِمَن معهما الانزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة حتى يتّسع بذلك كلّ مَن معهما. والتمسا الوصول الى المقتدر بالله ليبلّغاه الرسالة التى معهما فاعلما ان ذلك متعذرٌ صعبٌ لايجوز الابعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصد(١) اليه وتقرير الامر معه والرغبة اليه فى تسهيل الاذن على الخليفة [١٢٢] والمشورة عليه بالاجابة الى ما التمسا. فسأل أبو عمر عدى بن عبد الباقى الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الاذنَ لهما فى الوصول اليه فوعده بذلك فى يوم ذكره له

وتقدّم الوزير بان يكون الجيش مُصطفًا من دار صاعد الى الدار التى أُقطعها بالمُخرّم وان يكون غلمانه وحدَهُ (٢) وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار الى موضع مجلسه وبُسط له فى مجلس عظيم مُذهّب السقوف فى دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب وعُلّقت الستور التى تشبه الفرش واستزاد فى الفرش والبسط والستور ما بلغ ثمنه

(١) لعله قصدا (٢) لعله وجنده

ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تُجمَّل به الدار ويُفخَّم به الأمر الاّ فُعِل وجلس على مصلّى عظيم من وراءه مسندٌ عالٍ والخدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله والقوّاد والاولياء قد ملأوا الصحن ودخل اليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما .

ولما دخلا دار العامة أجلسهما الحاجب في رواقها والرجال قد امتلأت بهم الدار ثم أخذ بهما في ممرٍّ طويلٍ من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما الى صحن البستان ثم عدل بهما الى المجلس الذي كان (١٢٣) الوزير جالسا فيه فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذي فيه وكثرة الجمع منظرًا عجيباً جليلاً . وكان معهما أبو عمر ابن عبد الباقي يترجم عنهما ولهما وحضر نزار بن محمد صاحب الشرطة في جميع رجاله فاقيما بين يدي الوزير أبي الحسن ابن الفرات فسلما وترجم لهما ابن عبد الباقي ماقالا فاجابهما بما ترجمه لهما . ورغبا اليه في ايقاع الفداء ومسألة المقتدر بالله الاجابة اليه فاعلمهما انه يحتاج الى مخاطبته فيما ذكراه ثم العمل فيه بما يرسمهُ والتمسا منه ايصالهما اليه فوعدهما به . وأخرجا من بين يديه وأُخذ بهما في الطريق الذي دخلا منه وعادا الى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زيٍّ وأكمل هيأة . وكان زيهما دراريع ديباج ملكية وقبايات وفوق القبايات قلانس ديباج محدودة الرؤس .

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله في ايصالهما اليه وواقفه على ما يجيبهما به وتقدّم الى سائر الاولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب الى دار السلطان وان يكونوا منتظمين للظهر من دار صاعد الى دار السلطان فركبوا ووقفوا في الطريق على هذا الترتيب (١٢٤) في الزي الحسن والسلاح التامّ وتقدّم بان تُشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح وان

يفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك حتى فرغ من جميعه ثم أنفذ الى الرسولين بالحضور فركبا الى الدار على الظهر وشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرته وحسن زيّه وتكامل عُدّته أمراً عظيما . ولما وصلا الى الدار أُخذ بهما فى ممرّ ينتهى الى صحن من تلك الصحون ثم عدل بهما الى ممرّ آخر وأخرجا منه الى صحن أوسع من الاول ولم تزل الحجاب يخترقون بهما فى الصحون والممرات حتى كلا من المشى وانبهرا . وكانت تلك الصحون والممرّات محشوة بالغلمان والخدم الى ان قربا من المجلس الذى فيه المقتدر بالله والاولياء وقوفٌ على مراتبهم والمقتدر جالسٌ على سرير مُلكه وأبو الحسن ابن الفرات واقفٌ بالقرب منه ومونس الخادم ومن دونه من الخدم وقوفٌ عن يمينه ويساره . فلما دخلا الى المجلس قبّلا الارض ووقفا حيث استوقفهما نصر الحاجب وادّيا اليه رسالة صاحبهما فى الفداء ورغبا اليه فى إيقاعه . فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمةً للمسلمين ورغبةً فى فكهم وإيثارا لطاعة الله عزّ وجلّ (١٢٥) خلاصهم وانه ينفذ مونساً لحضور ذلك

ولما خرجا من حضرته خُلع عليهما مطارف خزّ مذهبة وعمائم خزّ وخُلع على أبى عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء. فتأهّب لذلك وابتيع من التمس الرُّسل ابتياعهُ من الروم المطلوبين واطلق له وللقوّاد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف دينار . وكتب الى العُمّال فى طريقه بإزاحة علّته فيما يلتمسهُ وحُمل الى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلةً لهما وخرجا مع مونس ومعهما أبو عُمر . وتمّ الفداء فى هذه السنة على يد مونس

وفيها أُطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان واخوته من الحبس فى دار

السلطان وخلع عليهم خلعة الرضا

وفيها مات العباس بن عمرو الغنوى وكان متقلداً أعمال الحرب والمعاون بديار مضر فقلد مكانه وصيف البكتمرى . فلم يضبط العمل فقلد مكانه جنى الصفوانى فضبطه أحسن ضبط [1]

﴿ ودخلت سنة ست وثلمائة ﴾

وفيها قبض على الوزير أبى الحسن بن الفرات وكانت مدة وزارته هذه الثانية سنة واحدة [126] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾ [2]

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية انه أخر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القواد واحتج بضيق الاموال لاجل ما احتيج اليه من صرفها الى محاربة ابن أبى الساج وأيضاً لاجل نقصان الارتفاع بأخذ يوسف مال الرى . فشغب الفرسان فى أول سنة ٣٠٦ شغباً عظيما وخرجوا الى المصلى والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصة ليضيف اليها مائتى ألف دينار ينفق فى الفرسان فغاظ ذلك على المقتدر وراسله بأنه قد كان ضمن له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الأولى ويحمل ما ضمن حمله الى حضرته مفردا وانه لم يظن انه يقدم عليه بطلب مال . فاحتج ابن الفرات بما ذكرته فلم يسمع حجته وتنكر له

(١) زاد صاحب التكملة : فيها مات سبكرى بعد اطلاقه من الحبس . وفيها مات غريب الخال وعقد لابنه مكانه وحضر ابن الفرات جنازته بداره بالنجمى . وفيها قلد أبو عمر قضاء الحرمين (٢) راجع صلة عريب : ٧٢

وكان عبد الله بن جُبَير لما أقام فى وزارة على بن عيسى بواسط وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفضل على الضمان شرح ذلك لابن الفرات [١٢٧] وبيَّنَ له وجوهه لما عاد الى بغداد وعند عوده الى مجلس الاصل فى ديوان السواد . فعظم ذلك فى نفس ابن الفرات فلما أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جُبير ابنَ الفرات في انْ يكاتب حامداً فى بعض ما كان أنهاه اليه من ضمان حامدٍ فأذن له فيه اذنا ضعيفاً . فكتب من مجلسهِ (وهو مجلس الاصل فى ديوان الخراج) الى حامد وأجاب حامد وتردّدت بينهُما مُكاتبات فى هذا المعنى . وتبع ذلك كتب بشر بن على (وهو خليفة حامدٍ) يعتب على ابن جُبير لما كان يتكلم به فى مجلسه . فاستوحش حامد من ذلك وتخوّف ان يكون ما يظهرهُ ابنُ جبير عن مواطاة الوزير ابن الفرات ولشىء قد عرفه من نيّتهِ فأنفذ من يسفر له فى الوزارة ويُخاطب له نصراً الحاجب . فسعى له فى ذلك وعرّف نصراً سمَة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليلة من جهة ابن الفرات وأسبابه وراسل أيضاً السيِّدة فى هذا الباب

ووافق ماسعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر فى ابن الفرات وتخوُّفه منه والاضاقة التى عرضت فى الوقت حتى طلب ماطلب فتمّ لحامد ماقدّره بما اجتمع من هذه الاحوال . فرُوسل حامد بالخروج الى الحضرة من واسط [١٢٨] وان يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير . فلما وقف عليه المقتدر أنفذ نصرا الحاجب وشفيعا المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه المُحسِّن وموسى بن خلف وعيسى بن جُبير وسعيد بن ابراهيم

التُستَرِي وأم ولد له وابنها منه [1] وحملوا الى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وحده في يد زيدان القهرمانة واعتقل الباقون في يد نصر . ووصل حامد الى مدينة السلام وأقام ليلته فى دار الحجبة من دار السلطان وتحقق به أبو القاسم ابن الحوارى .

وجلس حامد يتحدث فبان للقواد وجميع خواص المقتدر حدته وقلة خبرته بامر الوزارة وحُدِّث المقتدر بذلك فاستدعى أبا القاسم ابن الحوارى وعاتبه على مشورته به . فوصفه ابن الحوارى باليسار العظيم وباستخراج الاموال وهيبته عند العُمّال ونُبل النفس وكثرة الغلمان . وكان مع حامد لما قدم أربعمائة غلام يحملون السلاح فيهم عُدّة يجرون مجرى وجوه القواد وأكابر أصحاب السلطان . وأشار ابن الحوارى على المقتدر فى عرض كلامه باطلاق على بن عيسى وتقليده الدواوين باسرها ليخلف حامداً عليها فامتنع المقتدر من ذلك الا بعد أن يلتمسه حامدٌ [١٢٩] منه فاحال ابن الحوارى على حامد وقال له : التمس ذلك من المقتدر اذا وصلت الى حضرته وعظّم عليه أمرَ الاعمال والدواوين وحوائج الحاشية وخوّفه من سوء أدبهم . وصوّر لحامد انه ان لم يفعل ذلك فُعل مراغمةً له وحلف انه ناصحٌ له . فلما وصل حامد الى المقتدر بالله وتقلد وزارته قبّل الارض بين يديه وبعقب ذلك سأله إطلاق على بن عيسى والأذن له فى استخلافه على الدواوين والاعمال فقال له المقتدر بالله : ما أحسب على بن عيسى يجيب الى ذلك ولا يرضى ان يكون تابعا بعد ان كان متبوعا رئيساً . فقال حامد بحضرة الناس : لِمَ لا يستجيب الى ذلك ؟ وانما مثل الكاتب مثل الخياط يخيط ثوباً قيمته الف دينار ويخيط

(١) يعنى دولة وابنها وهو الحسن، كذا فى كتاب الوزراء : ٣٣

ثوباً بعشرة دراهم . فضحك الناس منه

ولما خلع على حامد خلع الوزارة صار الى دار الوزارة بالمخرّم فنزلها وجلس فيها للتهنئة . ولم يقرّر شيئا من الدواوين فتركها مختومةً ذلك اليوم وتحقق به أبو على ابن مقلة واختصّ به واستحضر حامداً أبا عبد الله زنجى الكاتب فألزمه داره ورد اليه مكاتبة العمال عنه على رسمه مع ابن الفرات . وتحقق بجميع الامور ابن الحوارى [١٣٠] وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله . وكتب عن المقتدر الى جميع أصحاب الاطراف وعمال المعاون بخبر تقليده حامداً الوزارة أنشأ ذلك أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة . ثم قرر حامد وعلى بن عيسى أمر الدواوين على إتفاق منهما جميعا ثم ابتدأ بعد ذلك يغير مارأى تغييرَهُ

وكان على بن عيسى فى أوّل أيام وزراة حامد بن العباس يحضر دار حامد فى كل يوم دفعتين مدّة شهرين ثم صار يحضر فى كلّ أسبوع دفعةً واحدة . ثم سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أول سنة ٣٠٧ وتبيّن هو وخواصّهُ أنه لا فائدة فى الاعتماد عليه فى شئ من الأمور . فتفرّد حينئذ أبو الحسن على بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة وأبطل حامداً فصار لا يأمر فى شئ بتّةً حتى قيل فيه

هذا وزير بلا سواد وذا سوادٌ بلا وزير

فلما رأى حامد بن العباس نفسَهُ لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب فى أيام المواكب الى دار السلطان فاذا حضر لم يُدخله المقتدر فى شئ من التدبير وكان الخطاب كلّه مع على بن عيسى شرع فى تضمّن أعمال الخراج والضياع [١٣١] والخاصّة والعامّة المستحدثة والعبّاسية

والفراتيّة بالسواد والأهواز واصبهان وتردّدت بينه وبين علي بن عيسى في ذلك بحضرة المقتدر مُناظرات الى أن تضمن هذه الاعمال . فضمّن حامد أبا علي أحمد بن محمد بن رُستَم اصبهان بزيادة مائة ألف دينار في كل سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبي البغل ويد أحمد بن سيّاه ولما زال ضمان حامد عقد علي بن عيسى على أبي علي ابن رستم اصبهان بهذه الزيادة ثم شرح أبو الحسين ابن أبي البغل عظيمَ ما يرتكب أبو علي بن رستم من الظلم لأهل اصبهان فبحث عنه علي بن عيسى حتى تحققه فاستشار ابن ابي البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبَين له كانا يتولّيان له باصبهان مدّة تقلّده اياها وهُما أبو مسلم محمد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد[1] فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الالف عشرين الفا ليكون في ذلك ترفيه للرعيّة وسلّم اليهما ابن رستم

ولما تبيّن حامد إتّضاع حاله عند المقتدر ورأى أنه لا يأمر ولا ينهى في شيء من أمر المملكة استأذن في العود الى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأول فأذن له (١٣٢) المقتدر في ذلك وأقام بواسط وله اسم الوزارة فقط

﴿ ذكر ما عامل به حامد بن العباس عليّ بن محمد بن الفرات وأسبابه ﴾

ركب حامد بن العباس وعلي بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة الى المقتدر ووصل الناس ودخلا اليه . والتمس حامد الأذن لرجُل من الجند وذكر أنه وجده قبل تقلّده الوزارة وأقرّ له بأنه كان رسول ابن الفرات الى يوسف بن أبي الساج في العصيان فأحضره كتاباً منسوبا الى ابن أبي الساج من ابن الفرات . فغاظ ذلك على المقتدر واغتاظ على ابن الفرات

(١) راجع ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ١٢٩

وأقبل على أبي عُمر القاضي وقال له ما عندك فى هذا الفعل من ابن الفرات؟ قال له : ياأمير المؤمنين لئن صحّ أنه أقدم على هذا الفعل لقد سعى فى إفساد أمر المملكة . ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له : ما عندك فى هذا ؟ قال له : عندى أن الله عزّ وجلّ قد أمر بالتثبّت ونهى عن قبول قول الفاسق . ثم ناظر ابن البهلول الرجل مُناظرة [١] أدت الى أنه كذبٌ فأقرّ الرجل بالكذب فيما ادّعاه . فسلّم الرجل الى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوطٍ فضُرب [١٣٣] وحُبس فى المطبق ثم نُفى الى مصر

ثم ان حامداً وعلى بن عيسى أحضرا أباعلى الحسين بن أحمد المادرائى [٢] مناظرة بن الفرات فى دار السلطان فكاشف الحسين بن أحمد المادرائى ابنَ الفرات بانه حمل اليه فى وزارته الأولى أربعمائة ألف دينار من مال المرافق باجناد الشام وان أبا العباس ابن بسطام [٣] وأبا القاسم ابنه بعده حملا اليه ثمانمائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً فى كل سنة مائتى ألف دينار . وحضر المناظرة القضاةُ والكُتّابُ وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجرى ولا يراهُ أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال : ان هذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام فى أيام وزارة على بن عيسى وقد اعترف بأن هذه اموال واجبٌ استخراجها وادّعى انه حمل بعضها الىّ حيث كان متقلدا أعمال أجناد الشام وان ابنى بسطام حملا الىّ ماذكره . وقد ولى

---

(١) راجع كتاب الوزراء : ١٠١ — ١٠٠ وارشاد الاريب : ١ : ٩١ — ٨٩

(٢) المعروف بأبى زنبور . راجع كتاب الوزراء ص ٩٢ (٣) هو أحمد بن محمد وله قصة مع الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب رواها أبو الحسن على ابن الفتح المطوق في كتابه مناقب الوزراء وهى موجودة فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٢ وكذا في كتاب الولاة والقضاة لابى عمر الكندى ص ٥٢٥

على بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من ان يكون حمل الى على بن عيسى فهو واجبٌ عليه أولم يحمل فهو واجبٌ على هذا العامل فى نفسه . ثم قداعترف أنه قدجبى فى أيام وزارتى الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [١٣٤] وادّعى حملها الىّ فصار مُقرًّا على نفسه ومدّعيًا علىّ . وأنا أقول انه كاذبٌ فى ادّعائه علىّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروفٌ فى أمثاله . فأسمعهُ حامدُ ما يكره وشتمهُ شتماً قبيحاً فقال له ابن الفرات : أنتَ على بساط السلطان وفى دار المملكة وليس هذا الموضع مما تعرفه من بيدر تقسمهُ ولا هو مثل أكار تشتمهُ ولا عامل تلاكمهُ . ثم اقبل على شفيع اللؤلؤى وقال له : يجب ان تكتب عنى بما أقوله الى مولانا أيده الله ان حامداً انما حملهُ على الدخول فى الوزارة وليس من أهلها انى أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجددتُ فى مطالبته بها فقدّر بدخوله فى الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يُحصّله مُستأنفاً وقد كان ينبغى له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتى يتبيّن أمُربحٌ هوأم مُخسرٌ فيديرهُ أبو الحسن على بن عيسى فانه لايشك أحدٌ فى بُعد ما بينه وبين حامد فى الصناعة والاحتياط . فأما وهو وزير وهو ضامنٌ فهذا أوّل خيانته واقتطاعه . فأمر حامد بن العباس أن ينتف لحيته فلم يمتثل أحدٌ أمره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته

وكان [١٣٥] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائي خطّه بخمسمائة ألف دينار ان سُلم اليه ابن الفرات وكان ذلك قبل شتيمة حامد له ومدّ يده الى لحيته وكان حامد أحضر أبا على ابن مُقلة وواقفهُ على ان يواجه ابن الفرات بأنه قداستخرج من ودائعه التى كتمها فى وزارته خمسمائة

ألف دينار فلم يبرز أبو على صفحته لابن الفرات وراسله حامد فى المجلس ان يفى بوعده ويواقفه فى وجهه فقال أبو على : أنا أكتب خطى بذلك فأما ان أواجه ابن الفرات فلا أفعل. فغاظ ذلك على حامد وتنكر لابن مقلة منذ هذا اليوم.[1]

وكان على بن عيسى لا يزيد على أن يكلم ابن الفرات في مواضع الحجة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفه والشتم وكان ابن الحوارى يرى ابن الفرات أنه متوسط بينه وبين حامد وتبين في خطابه انه متحامل على ابن الفرات ولما سمع المقتدر شتم حامد لابن الفرات ووقف على مدّ يده الى لحيته أنفذ خادماً أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه الى محبسه. فقال على ابن عيسى وابن الحوارى لحامد : قد جنيت علينا بما فعلته بابن الفرات . وكان الحسين ابن أحمد المادرائى بعد مكاشفته لابن الفرات قال له[2] : ان تأدّى الى المصادرة (١٣٦) تحملت عنك خمسين ألف دينار . فلما خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعلى بن عيسى وابن الحوارى : دخلت لتناظر الرجل فلم تبرح حتى بذلت له مرفقاً وصانعته . فقال لهم : أدخلتمونى الى رجل قال لى بعضكم لما دخلت اليه « انظر لمن تخاطب » وقال آخر « أنظر بين يديك » وقال آخر « الله الله فى نفسك » فلم أجد شيئا أقرب الى الصواب مما فعلت بعد ان سمعت كلامه . فمن جميل ما عمله ابن الفرات انه لما تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد المادرائى وهو أكبر أولاده فأخذ خطه بخمس وعشرين ألف دينار كانت واجبة عليه من مال السلطان ولم يطالبه بها واعتقله الى ان وافى

(١) وزراء : ٩٧ — ٩٦ (٢) وزراء ٩٦

أبوه من الشام . فذكّره ابن الفرات ما كان بذله من الخمسين الألف الدينار التي تحمّلها عنه وقال له : قد كنتَ مُخيّراً ان تفعل وان لا تفعل وانما وعدتَ وعدا وهذه رُقعة بخطّ ابنك بخمسة وعشرين الف دينار وهي واجبة عليه حاصلة قِبَله ولا حجة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافاة لك على ما بذلتَ

وقد كان أنفذ أبو أحمد بن حماد لمُناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع اللؤلؤي وغيره فافتتح ابن حماد الخطاب بأن قال : ان (١٣٧) الوزير والرئيس أدام الله عزّهما يقولان لك « أصدق نفسك فقد وصل اليك من ضياعك وغلاّتك في كل سنة الف الف ومائتا الف دينار ومن وجوه ارتفاقاتك مثلها وهذا مال عظيم فاكتبْ خطك بالف الف دينار معجلة تُقدمها الى أن ينظر في أمرك حتى تسلم نفسك والاّ سلّمت الى مَن يُعاملك بما يُعامل به مثلك من الخونة الذين دبروا على المملكة فقد صحّ عند السلطان انك كاتبتَ ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان » فقال له ابن الفرات : قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمل الرسائل قد تصرّفتَ لعلي بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالا فلما نظرتُ في الامر استترت عني وكتب الىّ من تصرّفَ مكانك باستدراكات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب بأعيانها في ديوان السلطان محفوظة . فاقبل شفيع على ابن حماد فقال له : لستَ من رجال ابن الفرات فقم الى ابنه المحسّن فناظره . فقام وأخذ خطّ المحسّن بثلاثمائة الف دينار

ثم ناظر موسى بن خلف (١) وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له

(١) راجع صلة تاريخ الطبري ٧٤

موسى : ما له عندى وديعة ولا أعرفُ أخبار ودائعه ولا جرى[١٣٨] له على يدى مالٌ ولا وليتُ له عملا سلطانياً وانما كنت أنظر في نفقات داره . وكان موسى بن خلف شيخا كبيرا قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به ذربٌ لافضل له للمكروه فشتمه ابن حماد . وكان يتردَّد بعد ذلك الى أصحاب ابن الفرات ويُناظرهم فلا يرتفع له شيء وكان علَّق المحسن بفرد يد من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيءٌ فلمَّا رأى ذلك استعفى منهم فأعفى. وأحضر حامدٌ موسى بن خلف فقال له : دُلَّ على أموال ابن الفرات فانك تعرفها ولا تحوُج الى مكروه يقع بك . فقال له : أحلفُ بما شئت من الأيمان انى لا أعرفُ شيئا من ودائعه . فأمر بصفعه فصفع الى أن سأل على بن عيسى فيه وأشار الى الغلمان بالكفّ . ثم عاودَهُ حامد بالمكروه مرّات حتى أحضره ليلة بين يديه وضربه حتى مات تحت الضرب . فقيل له : انه قد تلف . فقال : أضربوه . فضرب بعد موته سبعة عشر (سوطا) فلما علم بموته أمر بجرّ رجله فجرّ وتعلقت اذنه في زرّ عتبة الباب فانقلعت وحمل الى منزله ميتا . واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه انه كان يقف على أموال مودَعة لصاحبه عند جماعة فلم يقرّ عليه[١٣٩] الى أن تلف .

وأحضر حامد المحسّنَ وطالبه فذكر المحسّن أنه لا يقدر على أكثر من عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصفع فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال : هذا لا يتألم بالصفع هاتوا من يحلق شعره . فأخرج من بين يديه فحُلق شعره ثم أعيد اليه فصفعهُ حتى كاد يتلف وذلك بين أيدى جماعة كثيرة . فشفع اليه على بن عيسى وسأله أن يقتصر منه على خمسين الف دينار فحلف انه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار فبذل خطهُ بها وألبسه جبّة صوف

وعذّبه ألوانًا ثم سلّمهُ الى أبي الحسن الثُعباني فادّى ستين ألف دينار بعد أن استماحَ الناسَ وأسعفَهُ علىّ بن عيسى بعشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستميح الناس حتى صحّح ما بذل خطّهُ به وكثُرت الشفاعات فيه فردّه حامد الى منزله

وجهد حامد في أن يُسلّم اليه ابن الفرات فقال المقتدر :انا أسلّمه اليك وأوكّلُ به خادماً يحفظ نفسه . فقال حامد: اذا علم ابن الفرات أنه يُحرَس من المكروه تماتنَ . فقال المقتدر : أنا أسلّمهُ الى على بن عيسى أو الى شفيع اللؤلؤى فانى اثقُ بهما.وكان المقتدر يروّى فى أمر ابن الفرات فتارة تشرهُ نفسه الى (١٤٠) المال وتارةً يكرهُ أن يتلف في يد حامد فصرفت زيدان القهرمانة هذه الحاله من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات.فاظهر ابن الفرات أنه رأى أخاه[1] أبا العباس فى النوم ووصّاه وقال له : أدِّ المال فان القوم ليس يريدون نفسك وانما يريدون مالك.وانه قال : قد أدّيت اليهم جميعَ مالى . وان أخاه أجابه بأن قال له : لم تُؤدِ اليهم المال الفلانى فقلتُ :أن معظم ذلك لورثتك فقال: أدِّه فانا جمعناه من أسلافهم وأذخرناه لمثل هذا اليوم . ثم كتب الى تاجرين بحضرته ماعندهما وهو سبعمائة ألف دينار الى حضرة المقتدر وكتب الى أبى بكر ابن قرابة بشيء آخر والى ابن ادريس الحمّال بشيء آخر فانفذ المقتدر رقاعهُ الى حامد وعلى بن عيسى فغلظ ذلك عليهما ويئسا معها من تسلم ابن الفرات ؟ وقال على بن عيسى وابن الحوارى لحامد : أى شيء عندك فيما فعله ابن الفرات فقال حامد : هذا من اقبال مولانا أمير المؤمنين . فقال له على بن عيسى : هذا لاشكّ فيه كما قال الوزير أيده الله ولكن ما أشكُّ ان ابن

(١) صلة عريب : ٧٤

الفرات ما فعل هذا حتى توثق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير مكيدة وقد كان يجوز ان يقع منه[١٤١] ببعضه الا لشروعه فى تضمن أنفسنا وأحوالنا فقال حامد وابن الحوارى : هذا لاشك فيه

ثم تشاغل حامد وعلى بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا اليهم رقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحته سوى ابن قرابة فانه قال فى عشرة آلاف دينار كان أودعته اياها : قد كان أودعنى هذا المال ثم ابتاع منى فى أول سنة ٣٠٦ عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثره الى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعى توقيعاته بخطه بتواريخ أوقاته واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فانفذه حامد الى دار السلطان وأوصله مفلح الى ابن الفرات حتى ذكر له ذلك فصدقه وقال له : لا تلمنى على ما كتبتُ به فقد كنت أنسيت ماجرى فيه ولعمرى لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوبا لك فى ثمن العطر وكتب ابن الفرات خطه بصحة ما قاله ابن قرابة فسلمت الدنانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكد أسباب تحققه فيما بعد ذلك بابن الفرات

وقد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالا لابنه الحسن بن دولة فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود[١٤٢] فاعترف أبو عمر القاضى ان لابن الفرات عنده وديعة لما سأله حامد هل عنده وديعة فأمر باحضاره فأحضره وادّاه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكر لأبى عمر فحكى ان أبا بكر ابن قرابة قال : لما خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت[١] أول من لقيه فى دهليز الحجبة المتصل بباب الخاصة فقال : يا أبا بكر تقرّب أبو عمر بوديعتى وعرّضنى (قال) فقلت : الوزير أيده الله

(١) وفى الأصل : كان

صادقٌ فمن أخبره ؟ فأومأ الى زيدان القهرمانة وان القاضى أبا عمر عرف تنكر الوزير له . ووصل الى منزله وقت العشاء الآخرة فاذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على بابه فأكبر ذلك ونزل اليهما فحلفا عليه ان يدخل الى منزله ودخلاه بدخوله فقالا له : خبر المجلس عندنا فما الذى ترى ؟ فقال لهما : ازالة الاعتذار والاحتجاج وردُّ المال . فاستجابا وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لئلا يعاجلا فبكّر ابن قرابة الى ابن الفرات فقال له : قد جاءنى أبو عمر القاضى وابنه قلقين وذكرا ان المال بحاله فقال : الحمد لله ربّ العالمين . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الالاف الدينار فى برنيّة كانت ضُمِّنت الوديعة فلما رآها ابن الفرات عجب (١٤٣) وأمر بتسلمها

وعدنا الى خبر حامد فى وزارته . ولما رأى حامد وعلى بن عيسى تمكن ابن الحوارى من المقتدر بالله خرج توقيع حامد بخطّ على بن عيسى بتقليد ابن الحوارى جميع أعمال العطاء فى العساكر لسائر نواحى المغرب من حدّ هيت الى آخر حدود مصر وان يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر فى ذلك فى آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية وان يقلد ابنه (وكانت سنّهُ في الحال نحو عشر سنين) ويُجرى عليه ما مبلغه فى الشهر مائة وخمسون دينار وقلد ابنه هذا بيت مال العطاء بالحضرة بحقّ الأصل بجارى مائة وثمانين ديناراً فى الشهر واستخلف له عليه المعروف بقاطرميز الكاتب . وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحوارى وخدمته له فى خلواته وكان يشاوره فى أموره فقلد أعمالا أخر وأجرى عليه واستخلف له عليها فكان يصل اليه مال عظيم ولا يباشر شيئا من الاعمال ولا يدرى

ما يجرى فيها. وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلد نجح الطولونى واستخلف عليها [١] وأقام فى الارباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط فى أمر الجناة بما يفتون به فى أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان اللصوص والعيّارون جانب نجح [١٤٤] فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الامر فى اللصوص وكان العيارون يقولون : اخرجْ ولا تبالى مادام نجح والى

﴿ ودخلت سنة سبع وثلثمائة ﴾

كان غرض حامد فى الضمانات على النواحى التى ذكرناها تفرُّدُ على ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد فتضمّن حامد بهذه النواحى ليكون له بالحضرة أمر ونهى وَليوفّر من هذه الاعمال مايطل به السوق التى قامت لعلى بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف . وانما لم يدخل أعمال فارس فى ضمانه لانها كانت فى ضمان أبى القاسم ابن بسطام [٢] وكان النُّعمان يُشير على حامد بترك الدخول فى الضمان فانه زعم انه تسقط هيبته عند الناس ويصير على بن عيسى المطالبَ له بالاموال والمتحكّمَ عليه وكان أبو عيسى أخو أبى صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبيّن

---

(١) وفي صلة عريب ص ٧٦ : وليها محمد بن عبد الصمد

(٢) لراجع فيه صلة عريب ص ٧٨ وزاد صاحب التكملة : وضمن على بن عيسى الحسين بن أحمد المادرائى أعمال مصر والشام بثلاثة آلاف الف دينار فاوصله الى المقتدر بالله فخلع عليه وشخص الى عمله وقدم على بن أحمد بن بسطام من مصر فولاه أعمال فارس . قال أبو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة : رأيت أبا القاسم بن بسطام وقد دخل الينا فارس عاملا ومعه أثقال لم ير مثلها ورأيت فى جملة أثقاله أربعين نحياً موفرة أسيرة مشبكة ذكروا أنه يستعملها فى الطرقات للمجلس والنمس يوماً سجادة للصلاة بعينها وكان يؤالفها ففتشت رزم الفرش فكان فيها نحو أربعمائة سجادة

أثرهُ وان يتضمّن بعبرة سنى على بن عيسى خاصّة ليكون مايُثيره وهو شيء كثير وافر استدرا كا على عليّ بن عيسى فمال حامد الى هذا الرأي وخاطب على ابن عيسى بحضرة المقتدر وقال له : قد تفرّدت بتدبير الامور دونى وليس ترى أن تُشاورنى فى شيء تعملهُ ولا بدّ من صدق أمير المؤمنين فقد اضعت بالسوادوالاهواز وأصبهان أربعمائة (١٤٥) ألف دينار فى كلّ سنة وأنا أضمن هذه الاعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبّب فى سنى وزارتك وزيادة أربعمائة ألف دينار فى كل سنة . فأجابهُ على بن عيسى بأنه لايستصوب تضمينهُ هذه الأعمال لان مذهبهُ فى خبط الرعية وإحداث السُنن وضرب الابسار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لامحالة يوفر سنة أو اكثر ثم تخرب خرابا لايتلافى في سنين فيبطل الارتفاع ويسيء الذكر . فتخاصما خصومة طويلة فقال المقتدر : هذا توفيرٌ من حامد ولا يجوز تركهُ فان ضمنتَ أنت هذه النواحى بما ضمنهُ حامد ضمنتك . فقال على بن عيسى : أنا كاتب ولست بعامل وحامد أولى بالضمان لاسيّماوقد بذل مابذل راغباً والاثر فى ذلك بامير المؤمنين لاني قدعمرتُ البلدان لرفقى بالرعيّة وتقليدى من العُمّال من أزال المُؤن عنهم . وسنة سبع قدتناهت عمارتها وليس يقدران يقول أنه يتضمّنها ليستزيد في عمارتها لان أيام العمارة قد انقضت منذ مدّة فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به مخرجا

وتقدّم على بن عيسى الى أصحاب الدواوين باخراج العبرَ من دواوينهم بعبر السنين القريبة لأنها أوفر (١٤٦) فأخرج عبرة المحمول والمسبّب مع مال النفقات الراتبة فى نواحى السواد والاهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهُن

سنة ثلاث وأخراهنّ سنة خمس وثلثمائة ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم وأخرج عبرة الضياع الخاصّة والمستحدثة والعبّاسيّة والفراتيّة للمحمول والمسبّب ثمانية ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبرة مال اصبهان مع النفقات الراتبة بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التى بذلها حامد وهي عن قيمة اربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة الف درهم مبلغ الجميع ثلاث وخمسون الف ألف وتسعمائة ألف درهم

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكُتّاب اليه ليُولّيهم كتابته على ديوان ضمانه واختار عبيد الله بن محمد الكلواذي وأحمد بن محمد بن زُرَيق وغيرهما فتقدّم المقتدر باجابته الى ما سأله بعد أن عقد على بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذخطّ حامد بتضمنه عنه ما عقده باسمه . واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكلواذى فكان يُنظِم الاعمالَ التى يخرجها كُتّاب حامد ويتولّي المواقفة عن (١٤٧) حامد فى دار السلطان ويرفُق فى المُناظرة ويستعمل الحجة فقط واعتمد على بن عيسى على الصقر بن محمد فى مناظرة كُتّاب حامد فكان حامد اذا حضر لا يزيد على الشّم والسبّ لعلى بن عيسى وذكره بالقبيح فى نفسه واسلافه واستعمل فى ذلك ما فضح به المملكة وشاع في الخاصّ والعامّ الخبر به ثم أصلحَ المقتدر بينهما بحضرته

وأسرف علىّ بن عيسى فى الالحاح على حامد فى حمل المال واحتاج حامد الى ان يستأذن فى الخروج الى الاهواز فأذن له وذكر أبو القاسم

الكلواذى انه يضعف عن مقاومة على بن عيسى عنـد غيبته فنصب حامد صهرَه أبا الحسين محمد بن أحمد بن بسطام للنيابة عنه فى دار السلطان عنـد المناظرة ولإغرار الكلواذى ليستوفى حجتـه وظهرت فى ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته . وجرى خلافٌ كثيرٌ بين كتاب حامد وبين كتّاب على بن عيسى يطول ذكرها ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسط النعمان وقرّر الامر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار بقسط سنةٍ واحـدةٍ وكتب ابن بسطام والكلواذى الى حامـد وهو (١٤٨) بالاهواز بصـورة ما تقرّرت عليه الحكومة فدبر حينئذ حامد فى ذلك تدبير الشيوخ المجرّبين فكتب الى المقتدر كتابا وأنفذ مع غـلام له فأوصل نصر الكتاب مختوما الى المقتـدر فوجده قد ذكر فيه انه لم يدخل فى هـذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وانما أراد أن يبين عن خـبرته بالاعمال وحفظ الاموال وقبح آثار على بن عيسى فيما تولاّه قديماً وحديثا وانه كان بذل زيادة أربعمائة ألف دينار فى كل سنة وانه لما صار بالاهواز لاحت له زيادة مائتى ألف دينار فى سنة سبع على أربعمائة ألف دينار فوقّر ذلك وكتب كتابه بخطه حجةً عليه لينضاف ذلك الى الزيادة الاولى ويثبت فى الدواوين فسرّ المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامـد وان يقتصر بعلى بن عيسى على النظر فى حوائج القوّاد والحاشـية والاحتياط فيما يطلق من الامـوال فى النفقات فانه بذلك أبصر من حامد وبافراد حامد بجباية الاموال والنظر فى النواحى . وخاف على بن عيسى ان تقوى يد حامد فيسلّم اليه واتفق بعقب ذلك ان تحرّكت العامة ثم الخاصة بسبب زيادة السعر وشغبوا (١٤٩) شغباً

عظيماً متصلا أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب فادعى كُتّاب حامد وأسبابه ومن يميل اليه ان علي بن عيسى حمل العامة وأكثر الخاصة على الشغب لان السعر لم يكن زاد زيادة توجب ماخرجوا اليه وانما بلغ الخبز الحُوّارى ثمانية ارطال بدرهم

﴿ ذكر ما اضطرب لاجله أمر حامد بن العباس حتى فسخ ضمانه ﴾

تجمع الناس وقوم من أماثل العامة فتظلموا من زيادة السعر وضجوا فى وجه على بن عيسى لما ركب ثم نهب العامة دكاكين الجماعة من الدقّاقين ببغداد ثم اجتمعوا الى باب السلطان فضجوا فتقدّم المقتدر الى ابن الحوارى بأن يكتب الى حامد بأن يبادر الى الحضور وينظر فى أمر الاسعار فيزيل التربص ببيع الغلاّت لتنحطّ الاسعار فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الاهواز وأنفذ المقتدر ماهرا الخادم لاستعجاله وخرج أصحاب الدواوين والقوّاد لتلقيه وخرج نصر وابن الحوارى فتلقياه وخرج على بن عيسى فتلقاه ووصل الى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرّفه احماده اياه على ما وقّره وأمر بأن يخلع عليه فخلع عليه وحمل على شهرى وانصرف الى منزله (١٥٠)

وتحرك الجند بعد ذلك اليوم فى دار السلطان وضجوا لارتفاع السعر وتحركت العامة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجموا بالآجُرّ وكثرت الجراحات واجتمع منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عددٌ كثيرٌ على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجموه بالآجُرّ ثم صاروا فى ذلك اليوم الى دار حامد ابن العباس فأخرج اليهم غلمانه فرموهم بالآجُرّ والنُشّاب وقُتل خلق من العامّة فحملوا على الجنائز وشنّعوا بهم ووجّه حامد جماعة من غلمانه ومعهم

ديوداذ بن محمد وهو ابن أخي يوسف ابن أبي الساج فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربي على دوابهم فقتلوا جماعةً وقُتل أيضاً من الجند عدّة وبات الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وحُرمهم وضعف صاحب الشرطة عن مُقاومتهم لكثرة من تجمع من العامّة فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامّة عدد كثير الى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشُرطة ودار غيره فأنفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجريّة (١٥١) في شذاءات عدّة لمُحاربة العامّة وركب هرون بن غريب الخال في جيش عظيم الي باب الطاق فاحرق مواضع ونهارب العامّة من بين يديه الى المسجد الجامع بباب الطاق ووكّل هرون بباب المسجد وقبض على جميع من وجده فيه ولم يفرق بين المستور والعيّار وحملهم الى مجلس الشرطة فضُرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدّرة وقطع أيدى قوم عُرفوا بالإفساد ثم ركب يانس المونّسي يوم الاحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة ثم ركب حامد في طيّارة يريد دار السلطان فقصده العامّة ورجموه بالآجُرّ فأمر المقتدر شفيعاً المقتدري بالركوب لتسكين العامة فركب وسار في الجانب الغربي وفيه كانت الفتنة فسكن الناس ثم قبض على جماعة من العامة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت أيدى قوم عرفوا بالرجم . وضجت الرجالة المصافية في دار السلطان من زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التي لحامد وللسيّدة والامراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكُرّ وبيع الشعير بحسب ذلك وبمطالبة التجار والباعة بان يبيعوا بمثل هذا (١٥٢) السعر فركب هرون بن غريب ومعه ابراهيم بن بطحا

المحتسب فسعّر الكرّ المعدّل بخمسين دينارا وتقدّم الى الدقاقين بذلك فرضى العامة وسكنوا وانحلّ السعر

وخرج توقيع المقتدر الى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لاجل الفتنة وضجيج العامة من زيادة السعر وتوقيع الى علي بن عيسى بأن يدبر هو الاعمال بالسواد والاهواز وأصبهان وتقليدها العُمّال من قبله وان يكتب عنه كتابا الى العامة يقرأ في الشوارع والاسواق ثم على المنابر بأنه قد زال ضمان حامد بن العباس وحظر على جميع الوجوه والقوّاد والغلمان ان يتضمنوا بشيء من الاعمال وكتب حامد الى عماله بالانصراف من الاعمال وتسليمها الى عمال علي بن عيسى وانخزل حامد بن العباس لذلك

﴿ ودخلت سنة ثمان وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة القاطمي اليها فأخرج مونس الخادم اليها [1]

وفيها خلع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وقُلد طريق خراسان والديتور وخُلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا

وفيها ورد رسول أخي صعلوك بالمال والهدايا فخُلع [١٥٣] عليه [2]

﴿ ودخلت سنة تسع وثلثمائة ﴾

وفيها وردت الكُتُب وقُرئت على المنابر بهزيمة المغربي [3] واستباحة

---

(١) زاد صاحب التكملة : ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدى المقتدر بالله وتحركت الاسعار فى هذه السنة فافتتن بغداد لذلك وبرد الهوا في تموز فنزل الناس من السطوح وتدثر بالاكسية واللحف (٢) زاد صاحب التكملة : وأنفذ الى ابن ملاحظ عقد على اليمن وخلع : ليراجع فيه الكامل لابن الاثير ٨ : ٤٧ فى ترجمة سنة ٢٩٨

(٣) هو عبيد الله المهدى صاحب القيروان ليراجع صلة عريب ص ٨٠

عسكره وفيها لقّب مونس المُظفّر وأُنشئت الكُتُب به عن المقتدر بالله الى أمراء النواحي وعُقد له على مصر والشام

وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان

وفيها اشتهر أمر الحلاّج واسمه الحسين بن منصور حتى قتل وأُحرق

﴿ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج وما آل ﴾

(اليه أمره من القتل والمثلة [1])

انتهى الى حامد بن العباس فى أيام وزارته انه قد موّه على جماعة من الحشم والحجاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وانه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه فيحضرونه ما يشتهيه وانه يعمل ما أحبّ من معجزات الانبياء وادّعى جماعةٌ ان نصرا مال اليه وسعى قوم بالسرّى وبعض الكُتّاب وبرجل هاشمى انه نبي الحلاج وان الحلاج اله عزّ الله وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا . فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم يدعون اليه وانه قد صحّ عندهم أنه اله يُحيي الموتى وكاشفوا الحلاج بذلك [1*] فجحده وكذّبهم وقال : أعوذ بالله أن ادّعي الربوبيّة والنُبوّة وانما أنا رجلٌ أعبدُ الله عزّ ذكره وأكثرُ الصومَ والصلاةَ وفعلَ الخير ولا غير . واستحضر حامد بن العباس أبا عُمر القاضى وأبا جعفر بن البهلول القاضى وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم فى أمره فذكروا أنهم لا يفتون فى قتله بشيء الى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وانه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاه وان واجبه الا بدليل واقرار منه

(١) قصة الحلاج بعينه كما رواه المؤلف موجودة فى حاشية تحفة غريب ص ٩٦—٨٦

فكان أوّل من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنه يعرف أصحابَهُ وانهم متفرّقون في البلدان يدعـون اليـه وانه كان ممن استجاب له ثم تبيّن مخرقتـه فقارقهُ وخـرج عن جملته وتقرّب الى الله بكشف أمره واجتمع معه على هـذه الحال أبو على هرون بن عبـد العزيز الا وارجى الكاتب الأنبارى وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحيله فيه وهو موجود فى أيدى جماعة والحلاّج حينئذٍ مُقيمٌ فى دار السلطان، وُسِّع عليه مأذون لمن يدخُل اليه وهوعندنصر الحاجب . وللحلاج اسمان احـدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن احمـد الفارسى وكان استهوى [١٥٥] نصراً وجاز عليه تمويهُهُ وانتشر له ذكرٌ عظيم فى الحاشية

فبعث به المقتـدر الى على بن عيسى ليُناظره فأحضر مجلسَه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحُكي أنه تقدّم اليه وقال له فيما بينه وبينه : قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئا والاّ قلبتُ عليك الارض . وكلاماً فى هذا المعنى فهيّب على بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونقل حينئذٍ الى حامد بن العباس . وكانت بنت السمّرىّ صاحب الحلاج قد أدخلت الى الحلاّج وأقامت عنـده فى دار السلطان مدة وبعث بها الى حامـد ليسئلها عما وقفت عليـه من أخباره وشاهدته من أحواله فذكر أبو القاسم زنجى انه حضر دخول هذه المرأة الى حامد بن العباس وانه حضر ذلك المجلس أبو على أحمد بن نصر البازيار [١] من قبل أبى القاسم ابن الحوّارى ليسمع ما تحكيه فسألها حامـد عما تعرفه من أمر الحلاج فذكرت ان أباها السمرى حملها اليه وانها لما دخلت اليـه وهب لها أشياء كثيرة عدّدت أصنافها. قال أبو القاسم : وهذه المرأة كانت

(١) وترجمته في إرشاد الاريب ٢ : ١٢٢

حسنة العبارة عذبة الالفاظ مقبولة الصورة فكان مما أخبرت عنه انه قال لها : قد زوّجتك من سليمان ابنى وهو أعزّ أولادي عليّ [١٥٦] وهو مقيم بنيسابور وليس يملو ان يقع بين المرأة والرجل كلامٌ أو تنكر منه حالا من الاحوال وأنت تحصلين عنده وقد وصيته بك فان جرى منه شئ تنكرينه فصومى يومك واصعدى آخر النهار الى السطح وقومى على الرماد والملح الجريش واجعلى فطرك عليهما واستقبلينى بوجهك واذكرى لى منه ما تنكرينه منه فانى أسمع وأرى [١] قالت : وأصبحت يوما وأنا أنزل من السطح الى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته : اسجدى له . فقلت لها : أو يسجد أحد لغير الله (قالت) فسمع كلامى لها فقال : نعم اله فى السماء واله فى الارض (قالت) ودعانى اليه وادخل يده فى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الىّ ثم أعادها ثانية الى كمه وأخرجها مملوءة مسكا ودفعه الىّ وفعل ذلك مرات ثم قال : واجعلى هذا فى طيبك فان المرأة اذا حصلت عند الرجل احتاجت الى الطيب (قالت) ثم دعانى وهو جالسٌ فى بيتٍ على بوارى فقال : ارفعى جانب البارية من ذلك الوضع وخذى مما تحته ما تريدين . واومأ الى زاوية البيت فجئت اليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة [١٥٧] ملء البيت فبهرنى ما رايت من ذلك. فأقيمت المرأة وحصلت فى دار حامد الى ان قتل الحلاّج

وجدّ حامد فى طلب أصحاب الحلاج وأذكى العيون عليهم وحصل

(١) وزاد الذهبي في تاريخ الاسلام : وكنت نائمة ليلة وهو قريب منى واتقبه عندي فما حسست به الا وقد غشيني فانتبهت فزعة فقلت : مالك ؟ قال : انما جئت لاوقظك للصلاة

فى يده منهم حيدرة والسمرى ومحمد بن على القنائى والمعروف بأبى المغيث الهاشمى واستتر ابن حماد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمد بن على القنائى فكانت مكتوبة فى ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيد . ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر [1] فسأل حامد من حصل فى يده من أصحاب الحلاّج عنهما فذكروا انهما داعيان له بخراسان قال أبو القاسم بن زنجي : فكتبنا فى حملهما الى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جوابُ أكثرها وقيل فيما أجيب عنه منها أنهما يطلبان ومتى حصلا حملا ولم يحملا الى هذه الغاية . وكان فى الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين الى النواحى وبوصيته اياهم بما يدعون اليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال الى حال أخرى ومرتبة الى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى وان يخاطبوا[158] كل قوم على حسب عقولهم وافهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها الاّ من كتبها ومن كتبت اليه

وحكى أبو القاسم بن زنجى قال : كنتُ أنا وأبي يوماً بين يدى حامد اذ نهض من مجلسه وخرجنا الى دار العامة وجلسنا فى رواقها وحضر هرون ابن عمران الجهبذ بين يدى أبى ولم يزل يحادثه فهو فى ذلك اذ جاء غلام حامد الذى كان موكلاً بالحلاّج واوماً الى هرون بن عمران ان يخرج اليه

(١) قال الصفدى في الوافى بالوفيات : شاكر الصوفى خادم الحلاج ذكره أبو عبد الرحمن السلمى في تاريخ الصوفية ذكر انه من أهل بغداد وانه كان شهماً مثل الحلاج وهو الذي أخرج كلامه للناس وضرب عنقه بباب الطاق بسبب ميله الى الحلاج

فنهض مسرعاً ونحن لا ندرى ما السبب فغاب عنا قليلا ثم عاد وهو متغير اللون جداً فأنكر أبي ما رأى منه فسأله عن خبره فقال : دعانى الغلام الموكل بالحلاّج فخرجت اليه فاعلمنى انه دخل اليه ومعه الطبق الذى رسمه ان يقدّم اليه فى كلّ يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقفه الى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وان الغلام ارتعد وانتفض وحمّ فبينما نحن نتعجب من حديثه اذ خرج الينا رسول حامد وأذن فى الدخول اليه فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فاذا هو محمومٌ وقصّ [١٥٩] عليه قصته فكذّبه وشتمه وقال : فزعتَ من نيرنج الحلاّج (وكلاماً فى هذا المعنى) لعنك الله أُعزُب عنى . فانصرف الغلام وبقى على حالته من الحمّى مدّة طويلة ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه : ان الانسان اذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد فى بيته بناء مربعا لا يلحقه شىء من النجاسات ولا يطرّقه أحدٌ فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله وقضى من المناسك ما يقضى بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل لهم أسرَى ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ويقدّم لهم ذلك الطعام ويتولّى خدمتهم بنفسه ثم يغسل أيديهم ويكسو كلّ واحد منهم قميصاً ويدفع الى كلّ واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم (الشك من أبى القاسم ابن زنجي) وان ذلك يقوم له مقام الحج (قال) وكان أبى يقرأ هذا الكتاب فلما استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضى الى الحلاّج وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الاخلاص للحسن البصرى . قال له أبو عمر : كذبت يا حلال الدم قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن البصرى بمكة وليس فيه شىء مما ذكرت . فكلما قال له أبو عمر « يا حلال الدم » قال

له حامد : أكتب ما قلت . فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاّج فلم يدعه حامدٌ يتشاغل [١٦٠] وألحّ عليه الخاحا لم يمكنه معه المخالفة فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس فلما تبين الحلاج الصورة قال : ظهري حمى ودمي حرامٌ وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحهُ اعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي كتب في الورّاقين موجودة في السنة فالله الله في دمي ولم يزل (يردد) هذا القول والقومُ يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد الى المقتدر بالله

فخرج الجواب : اذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضتَ فأحضرهُ مجلس الشرطة واضربهُ الف سوط فان لم يمت فتقدّم بقطع يديه ورجليه ثم اضرب رقبته وانصبْ رأسه واحرق جثتهُ . فأحضر حامد صاحب الشرطة واقرأه التوقيع وتقدّم اليه بتسلم الحلاّج وإمضاء الامر فيه فامتنع من ذلك وذكر انه يتخوّف أن ينتزعَ من يده فوقع الاتفاق على أن يحضر بعدهُ العتمة ومعه جماعة من غلمانه وقوم دلى بغال يجرون مجرى السلسة ليجعل على بغل منها ويدخل في غمار القوم وأوصاه بأن لا يسمع كلامه وقال له : لو قال لك « اجرى لك دجلة والفرات ذهبا وفضةً » فلا ترفع عنه [١٦١] الضرب حتى تقتله كما أُمرتَ . ففعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التي ذُكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه الى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس

فلما أصبح يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذي القعدة أخرج الحلاج الى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم . وأمر الجلاد بضربه الف سوط فضرب وما تأوّه ولا استغى (قال) فلما بلغ ستمائة سوط

قال لمحمد بن عبد الصمد : ادعُ بي اليك فان عندى نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينيه . فقال : قد قيل لى انك ستقول هـذا وما هو أكثر منـه وليس الى رفع الضرب عنك سبيل . فسكت حتى ضرب الف سوط ثم قطعت يده ثم رجلهُ ثم ضرب عنقه وأحرقت جثتهُ ونُصب رأسـه على الجسر ثم حمل رأسـه الى خراسان

وادعى أصحابه ان المضروب كان عدوا للحلاج ألقى شبهه عليه وادعى بعضهم انه رآه وخاطبه فى هـذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها . وأحضر الوراقون وأحلفوا ان لا يبيعوا شيأ من كتب الحلاج [١٦٢] ولا يشتروها

﴿ ودخلت سنة عشر وثلثمائة ﴾

وفيهـا أطلق يوسف ابن أبي الساج بمسألة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حُملَ اليه مال وكسوة [١] ثم وصل الى المقتدر بالله وكان ركب فى سواد فقبل البساط ثم يدَ المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس

(١) زاد صاحب التكملة . وحكي انه أنزل فى دار دينار وانه أنفـذ الى مونس المظفر يستدعى منـه انفاذ أبي بكر بن الآدمى القارى فتمنع أبو بكر وقال . انني قرأت بين يديه يوم شهر « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة » ورأيته يبكي فأظنه حقد على ذلك فقال له مونس : لا تخف فانني شريكك فى جائزته . ففضى اليه وجلا فلما دخل وقد أفيضت عليه الخلع والناس بحضرته والغلمان وقوف على رأسه قال لهم : هاتوا كرسياً لأبي بكر . فأتوه به قال : اقرأ . واستفتح وقرأ قوله تعـالى . « وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى » . فقال : لا أريد هذا بل أريد أن تقرأ بين يدى ما كنت تقرأه يوم شهرت . فامتنع ثم قرأ حين ألزمه . «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة». فبكى ثم قال : هذه الاية كانت سبباً لتوبتى من كل محظور ولو أمكنني تركُ خدمة السلطان لتركتها . وأمر له بمال جزيل وطيب كثير . وقال أيضاً . وفي هـذه السنة قلد ابن ملاحظ الحرمين وصرف عنهما نزار بن محمد

بمركب ذهب . ثم جاس المقتدر فى دار العامة بعد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وآذربيجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وجميع من بالحضرة من القوّاد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له . واستكتب يوسف ابن أبى الساج محمد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الاعمال التى تقلدها على خمسمائة الف دينار محمولة فى كل سنة على ان عليه القيام بمال الجيش الذى فى هذه الاعمال والنفقات الراتبة . وخلع على وصيف البكتمرى وعلى طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث

وفيها قلد نازوك الشرطة ببغداد [1] وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع على وصيف البكتمرى خلعة أخرى (١٦٣) وضمّ الى يوسف ابن أبى الساج وشخص يوسف ابن أبى الساج الى عمله على طريق الموصل فلما وصل الى اردبيل وجد غلامه سبك قد مات

وفيها وصل الى بغداد هدية أبى زنبور الحسين بن أحمد المادرائى من مصر وفيها بغلة معها فلوّ وكان يتبعها ويرتضع منها وغلام طويل اللسان يلحق طرف أرنبته

وفيها قبض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أمّ موسى زوّجت بنت أخيها أبى بكر أحمد بن العباس من أبى العباس بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة

(١) راجع صلة عريب ١٠٩ .

والدواب والمراكب وكان صديقا لعلي بن عيسى حتى قيل انه كان يُرشّحه للخلافة . فلما وقعت المصاهرة بينه و بين أم موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعَت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوما . فتمكن أعداؤها من السعي عليها ومكّنوا في نفس المقتدر بالله ووالدته السيّدة انها انما صاهرت ابن المتوكل ليزيلوا المقتدر بالله عن [١٦٤] الخلافة و ينصبوا فيها ابن المتوكل فتمّت النكبة عليها وسُلّمت الى ثُمل القهرمانة مع أختها وأخيها وكانت ثمل موصوفة بالشر لانها كانت قهرمانة أحمد بن عبدالعزيز ابن أبي دُلَف وكان أحمد يسلم اليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمةً وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب مايعظم مقداره حتى نصب علي بن عيسى لذلك ديوانا وسماه ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها أجرى فيها أمر ضياعهم وأملاكهم وقلده أبا شجاع المعروف بابن اخت أبي أيوب أبي الوزير وقلد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسُفي الكاتب ويقال انه حصل من جهتهم نحو الف الف دينار . ولما قبض على أم موسى صرف علي بن عيسى ابن أبي البغل عن أعماله بفارس وقلدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي وصادره ثم لما تقلد ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب الى الكرخي بتجديد مصادرة ابن أبي البغل واعتقاله

وفيها توفي محمد بن جرير الطبري وله نحو تسعين سنة ودُفن ليلاً لان العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا وادعت عليه الرفض [٢٦٥] ثم ادعت عليه الالحاد

وفيها دعا المقتدر مونسا المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة وكانت مثقلة بالذهب

﴿ ودخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

﴿ وفيها صرف حامد بن العباس عن الوزارة وعلى بن عيسى عن الدواوين ﴾

(ذكر صرف حامد وعلى بن عيسى وردّ الوزارة الى ابن الفرات)

كانت لذلك أسباب كثيرة منها ان حامدا شرع فى تضمن على بن عيسى لما فسخ ضمانه لتلك الاعمال والبلدان التى ذكرناها وبذل أن يقوم بالامور ويدبر الاعمال وكان الذى حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيره عنهم ارزاقهم وارزاق الحرم والولد واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحطّ من أرزاق العمال شهرين فى كلّ سنة ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الاخبار والبرد والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما سلف[١٦٦] منه اليه ولما عامل به ابنه المحسن وسائر كتابه وأسبابه فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطه بما يضمنه ريبذله وبتسمية من يقلده الدواوين ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو فى حبسه وشرح له أمره

فقال ابن الفرات : لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد واحمد بن اسرائيل[١] وسائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وانه ان تُقلد ذلك انخرقت الهيبة وزالت الحشمة وان على بن عيسى على تصرُّف أحواله أقوم منه وأعرف بالاعمال والتدبير .

(١) راجع فيه كتاب الوزراء : ١٩٢ — ١٩١

ثم أنه قال : أنا أتضمّنُ خمسة أضعاف ماضمنهُ حامدٌ ان أعاده ومكّنه مما يُريد فوعده المقتدر بذلك

وكان حامد مقيماً ببغداد لا يدخُل نفسه في شيء من الامور ولا يزيد على أن يحضر في أيام المواكب وينصرف وضجر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله في الذلّ ولانه افتضح بما كان يُعامِلهُ به علي بن عيسى في ولايته وذلك أنه كان يوقّع الى كُتاب الوزير حامد والى كتّاب الدواوين اذا ذكرهُ بما لا صبر له عليه وكان يُوقع « ليُطالب جهبذ الوزير أسعده الله بحمل وظيفة واسط وليكتب الى الوزير اسعده الله بان يُبادر بحمل شعير الكُراع » (١٦٧) واذا تظلّم اليه متظلم من أعمال حامد وعُمّالهِ وقّع على ظهر رقعتهِ « هذا ممايتظرُ فيه الوزير أسعده الله » وذكر علي بن عيسى انه يحتج في ذلك برسم قديم كان للوزراء فاستأذن حامد المقتدر في الخروج الى واسط والمقام بها لينظر في أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج

ومنها ما جرى من أم موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحدث به الناس من أمر ابن المتوكل وان ابن الحواري دبّر ذلك لميل أم موسى اليه وكشفها له أسرار الخلافة

وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رُقعة في دار المقتدر فيها بيت شعر

يُهنيك يُهنيك هذا * ياديك دار الخليفة

ولم يذكر في الرقعة غير هذا البيت وهي أبيات فاحشة ليس فيها أصلح من هذا البيت وتعمّد ان جُعلت الرقعة في ممرّ الخليفة الي دار حرمة له فقرأ المقتدر الرقعة وقبحت عنده صورة ابن الحواري جدًّا واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أم موسى ويظن ان هذا البيت كان

من أوكد أسباب نكبتها ونكبته

ومنها ان مفلح الاسود كان شديد التحقق بالمقتدر مثاراً على خدمته ثم عظم أمره حتى [١٦٨] أقطع الاقطاعات وملك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين [حامد] مماحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد : لقد هممت أن اشترى مائة خادم اسود وأسمى كل واحد منهم مفلحا واهبهم لغلمانى . فحقد مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسّنُ وعلى ما يشبه ذلك فوجّه الى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الاعمال والاموال والولايات حتى عقد حالاً بينه وبين مفلح

وكتب المحسن رقعة الى المقتدر بالله على يد مفلح [١] يذكر فيها انه ان سُلم منه حامد وعلى بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحوارى وأم موسى وأخوها والمادرائيون استخرج منهم سبعة آلاف الف دينار وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصّر وهو فى الحبس فى التضريب على هؤلاء وإطماع المقتدر فيهم

وكان من طريف ما عملهُ وعجيبه [٢] أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانة يلتمس منه قيمة اثنى عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشئ من أمره فتذمم المقتدر معها أخذه من أمواله أن يمنعه فحملها اليه ثم سأله أن يدخل اليه اذا اجتاز بموضعه ليُلقى اليه شيأ لا تحتمله المكاتبة ولا المراسلة وكان المقتدر كثيراً [١٦٩] ما يدخل اليه ويُشاوره فدخل اليه فلما رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس التى فيه الدنانير ففتحهُ وفرّغهُ بين يديه وقال له : يا أمير المؤمنين قد عرّفتُك أن أموالك تنتهب وتضيّع وتقضى بها

(١) راجع كتاب الوزراء ٢٤٣ (٢) وزراء ٨٤

الذمامات ماتقول فى رجل واحد يرتزق فى كلّ شهر من شهور الاهلة هذا المقدار من مالك وهو اثنى عشر ألف دينار ؟ فاستعظم المقتدر ذلك واستهولهُ وقال : ويحك من هذا الرجل ؟ قال له : على بن محمد بن الحوارى وهذا سوى مايصل اليه من مال المنافع لمكانه منك وموضعه من الاختصاص بك وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التى تصل اليه من الاعمال التى يتولاها وسوى وسوى وردّ الدنانير الى المقتدر بالله وقال : انما أردتُ أن تُشاهد ما يُصنَع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمُعايَنة . فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجرى واعتقد لابن الحوارى غاية المكروه . فلما اجتمعت هذه الاسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة الى ابن الفرات فلما كان يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر على بن عيسى الى دار السلطان قُبض عليه وحُبس عند زيدان القهرمانة فى الحجرة التى كان فيها ابن الفرات فأخرج منها [١٧٠] ابن الفرات ليقلد الوزارة

قال أبو محمد على بن هشام . كنت حاضراً مع أبى مجلس أبى الحسن ابن الفرات فسمعتُه يتحدّث فى وزارته الثانية قال : [١] دخل الىّ أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الانبارى فى محبسى من دار المقتدر بالله فطالبنى أن أكتُب خطى بثلاثة عشر ألف ألف دينار فقلت : ماجرى قدر هذا على يدى للسلطان فى طول ولايتى فكيف أصادر على مثله فقال : [٢] انى أحلفتُ

(١) وزراء : ١٠٥ — ١٠٣

(٢) فليراجع هذه الحكاية كما وردت فى كتاب العيون : قال العباس بن محمد (يعنى أبا الهيثم ابن ثوابة : فدخلت الى ابن الفرات فوثب عن مجلسه وأقبل يزحف فناظرته على الاموال فالطّ فامرت بتقييده فقال : من عجائب مارأينا أن تقيدنى فعرفته ما أعرف من أولية أهله وان أخاه لما تزوج الينا عجب الناس فقال لى : أنت تطالبنى بثار ابن

بالطلاق أن تكتب خطك بذلك. فكتبتُ بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن اذكر ماهي أو ضماناً فيها فقال : فاكتب ديناراً لتبرئني من يميني : فلما

عبدون . فقلت : ياجاهل تريد أن تعرفهم ان بيني وبين ابن عبدون قرابة ؟ ثم أمرت بعرك أذنيه بحضرتهم فالتفت اليّ وقال : اقرؤا على الوزير السلام وقولوا له « هذه سنة ردية على الوزراء من قيد حتى أقيد أنا ؟ فقلت : صاحبك الذي نوه باسمك واسم أخيك اسماعيل ابن بلبل . فامسك ثم خرجت من عنده (قال) ثم دخلت بعد ذلك فرأيت على المصلى آثار رشاش المداد فقلت : أراك تدخل اليك دواة اذا خرجت من عندك . فقال : من أين وعلى بضعة عشر رجلا ؟ فامرت بأخذ المصلى والحصر والمزملة وأخليت الحجرة وضيقت عليه فسمعته يقول « اليوم حبست اللهم اقبضني اليك » فدخلت عليه وقد أحدث في مكانه وقد أشرف على أمر عظيم من ثقل الحديد فأمرت بتحديده فقلت ورأيت القذر قد غلب روائحه في البيت فقلت : ليس هذا يوم مناظرة أروحه أياماً ثم أعود . فخرجت الى رسالة (بعزم على) العود غداً فعدت من الغد فأخذت خطه بثلاثة آلاف الف دينار فلما كان بعد ثلاثة أيام دخلت عليه وقد أحضرت جبة من صوف وغلا برمانة وشيئا يمنع المغلول أن يرد رأسه الى خلف وغلا بغير رمانة فأمرت من ألبسه الجبتين واحدة فوق الاخرى وغله فاشفقت من الغل الذى بالرمانة ان يتلفه فقلت : ان تلف تلف بيت مال الخاصة . فنزعت احدى الجبتين فقال : ياأبا هيثم من ألبس من الوزراء جبة صوف ؟ فقلت : صاحبك اسماعيل بن بلبل . وأردت أن أذكر له دهن الاكارع وكيف فعل بابي الصقر فقال : لاتذكر شيئا . وقدم الى السندان وقام نسيم وأخذ يلابسه فقال له : يانسيم ليس يومي منك بواحد. فقلت لنسيم : وما يومه منك ؟ قال : أنا أزلت عزه أخذت السيف والمنطقة من وسطه ونزعت أقبيته في اليوم الذى قبض عليه فيه وأنا أجرّه الى السندان . فجره اليها وهو يصيح . اقتلوني ياأم موسى اقتلوني هذا جزائي منك وحق خدمتي لكم ؟ فقالت له . يا فاجر قد صح عندنا انك أردت إخراج هذا الامر من ولد العباس الى ولد أبي طالب . فوضع رأسه على السندان وهو يصيح : اقتلوني ما رأيت مثل هذا قط . وجعل يبكي ويقول : واصيباه . فقلت : ياأبا الحسن جزعات الاماء وفريسات الاسد ما هكذا يجب ان تكون . وانصرفت

وأما أبو الهيثم ابن ثوابة وسوء عمله فليراجع ارشاد الاريب ١ : ٢٩٨ ومات بالكوفة في الحبس سنة ٣٠٣ : صلة عريب ص ٥٩

كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلتُ الرقعة وقلتُ : قد برئت عن عذابك ولا سبيل لك الى غير هـذا . فاجتهد جهده فلم أجبهُ الى شيء فلما كان من الغد دخـل الى الحبس ومعه ام موسى فطالب بذلك وأسرف فى سبي وشتمى ورمانى بالزنا فحلفت بالطلاق والعتاق والأيمان المغلظة أنى ما دخلت فى شيء من محظور هذا الجنس منذ نيف وثلاثين سنة وسمته أن يحلف بمثل ذلك أن غلامه القائم على رأسه لم يأته فى ليلته تلك فانكرت أم موسى هـذه الحال وغطت وجهها حياء منه فقال لها ابن ثوابة : هذا انما تبطره الاموال التى وراءه ومثله فى ذلك [١٧١] مثل المزين مع كسرى والحجام مع الحجاج بن يوسف [١] فاستأمرى السادة فى إنزال المكروه به حتى يذعن بأموال (قال أبو الحسن يعنى بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستنبويه أم ولد المعتضد [٢] لانهم اذ ذاك يدبرون الأمر معاً لحداثة المقتدر) قال ابن الفرات : فمضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابة : يقولون لك قد صدقت ويدك مطلقة فيه . وكنت فى حجرة ضيقة وحرٌ شـديد فأمر بكشف البـوارى حتى صرتُ فى الشمس ونحّى الحصير من تحتى واغلقت أبواب البيوت حتى حصلت فى الشمس ثم قيّدني بقيد ثقيـل والبسنى جُبّة صوف قد نُقعت فى ماء الا كارع وغلّنى بغل واقفل باب الحجرة وانصرف فاشرفت على التلف

فلما مضت نحو أربع ساعات اذا صوت غلمان مُجتازين فى الممرّ الذى فيه الحجرة التى انا فيها محبوس فقال لى الخـدم الموكلون : هذا بدر الخادم الحُرمى وهو لك صنيعة . فاستغثت به فصحتُ : يا أبا الخير الله الله فىّ

(١) ليراجع كتاب الوزراء ١٠٦　(٢) وفى الاصل : المقتدر

لك مكان من السادة ولى عليك حقوق وقد ترى حالى والموت أسهل علىّ مما أنا فيه فخاطب السادة [1] و ذكّرهم حُرمتى وخدمتى فى تثبيت دولتهم اذ خذلهم الناس وافتتاحى [172] البلدان المنغلقة وإثارتى الاموال المنكسرة فانى كان ذنبي يوجب القتل فالموت أروح فرجع اليهم فخاطبهم ورقّقهم ولم يبرح حتى حلّ الحديد كلّه عنّى ثم أذنوا فى إدخالى الحمّام وأخذ شعرى وتغيير لباسى وتسليمى الى زيدان وترفيقى فجاءنى مُبشّرا بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال : يقولون لك لن ترى بعدها بؤساً

﴿ ذكر الخبر عن وزارة أبى الحسن ابن الفرات الثالثة ﴾

وتقلّد أبو الحسن على بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخُلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسّنَ ابنَهُ من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه ولم يوصل المقتدر بالله اليه فى ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابُهُ واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسّن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد

وكان أبو على ابن مقلة يتقلّد لعلى بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد فلما تقلّد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار اليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غضّ منه و لم يقبض عليه للمودّة التى بينه وبين [173] ابن الحوارى فلما قُبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه .

وانتقل ابن الفرات الى داره الاولى التى بالمخرّم وركب اليه ابن الحوارى لهنّئه فأطال عنده وآنسه ابن الفرات وشاورهُ وخلا به فتحقق به وأظهر السرور بولايته معما يُبطنهُ من الخوف الشديد منه وكان أسباب أبى القاسم

(١) وفى الاصل : السيدة

ابن الحواري قد أشاروا عليه بالاستتار وقالوا له : ان المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما الاّ لسوء رأيه فيك . فقال ابن الحواري : لو كان كذلك لقبض عليّ قبل تقليد ابن الفرات . فلما كان يوم الاثنين ركب ابن الفرات [1] وركب ابن الحواري الى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحواري فاستوحش ابن الحواري . ثم صرف الامر الى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات ان يجريه على رسمه في وزارته الثانية فانه لم يكن يصلُ مع ابن الحواري ظاهراً وانما كان يصلُ سرًّا فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل اليه ابن الحواري فأقبل عليه وشاورَهُ في جميع أمورهِ وقال : قد غبت عن مجاري الامور منذ خمس سنين وأنتَ عارفٌ بها وأريد ان تعاضدني وتستعمل ما يلزمك بحقّ المودّة . فتلقى ابن الحواري [174] قوله بالشكر وإظهار المناصحة وانشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل ان يستتمّه ونزل الى طيّاره وأنزل معه ابن الحواري وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه [2] ومحمد بن عيسى صهرهُ وعلي بن مأمون الاسكافي كاتبه وعلي بن خلف النيرماني وكان أخوه محمد بن خلف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والاختصاص وما زال يضاحكهم الى ان حصل في داره ثم أسرّ الى العباس الفرغاني حاجبه بأن يقبض على ابن الحواري وجميع أسبابه فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شفيعاً اللؤلؤي فأنفذهُ الى دار ابن الحواري ليحفظها من النهب وضمّ اليه جماعة من الفرسان والرجالة

(١) وزراء ٣٩ (٢) وفي ارشاد الاريب (٢: ١٢٤) في ترجمته : ابن أختَ أبي القاسم ابن الحواري .

وأمر بمعاملته بالجميل فى مطعمه ومشربه وأفردت له دارٌ واسعة وفُرشت بفرش نظيف وأفرده عن كُتّابه ومن يأنس به . وراسلهُ ابن الفرات فى المصادرة وتوسّط ابن قرابة بينهُما وكان ابن قرابة مُتحققاً بابن الفرات وشديد الانس بابن الحوارى فتقرّرت مصادرتهُ بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار فى نفسه دون كُتّابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف فى اداء مال التعجيل [١٧٥] وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأطلق وأزيل التوكيل عن دار ابن الحوارى وأسبابه وسُلّم جميعها الى أحمد بن نصر

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكُتّابه فأتاهم وكان المحسّن يُسرف فى المكروه الذي يوقعه بمن يحصل فى يده منهم حتي انه أحضر ابن حماد الموصلى وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار وسلّمهُ الى مستخرجه فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرض المحسّن ذلك وأخرجه الى حضرته وصفعه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات . ولم ينكره المقتدرُ وقد كان أشفق المحسّن من إنكاره وخافهُ خوفاً شديداً فلمّا كان بعد أيام أنفذ المقتدر الى المحسّن خلع منادمته وأجرى عليه من الرزق كلّ شهر ألفى دينار زيادة على رزق الدواوين فضرى المحسّن على مكاره الناس وأسرف المقتدرُ فى استصابة أفعاله الى ان بلغ الامرُ فيه الى ان غنّى الجوارى بحضرته « أحسن المحسّن أحسن »

وكان استتر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطّهُ بمائتى ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يعرف بمرج كان مشهوراً بالميل [١٧٦] اليه

وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُوقة وأوقع بهم المكاره

﴿ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات على حامد بن العباس﴾

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات ان لا ينكب حامداً وان يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فاذا وجب عليه شيء يقول الكُتاب والقضاة أخذ بعضه وقال : قد خدمني ولم يأخذ مني الا رزق سنة واحدة وشرط عليّ أن لا أسلّمه لمكروه ولا أدعُ عليه حقا . فاضطرّ ابن الفرات الى اقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلّ دعاء [1] ثم عمل له الاعمال واستقصى عليه الحجّة وخرّج عليه أموالا عظيمةً وكاتب أصحابه بمطالبته والالحاح عليه فان تقاعد بها وُكِّلَ به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور اذ كان مما لا سبيل الى تأخيره « فان أمير المؤمنين ليس يأذن في تضمينه مستأنفاً » فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب في مجلسه وبلغ حامداً الخبر في الوقت فأظهر بواسط ان كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير الى بغداد وخرج من واسط مع جميع كُتابه وحاشيته ورجالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يخدم به بعد ان احتاط [177] في أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم في الزواريق والسُميريّات . وبادر بخبره على أيدي الفيوج وعلى أجنحة الطير الى ابن الفرات

(١) وزاد فيه صاحب التكملة : فاضفى ابن الفرات على اقرار حامد على واسط وكان يتأول عليه تأولا ديوانيا وكان حامد يطالب بما حسبه من النفقة على البثوق في أيام الخاقاني وهي مائتان وخمسون ألف دينار فكانت تتأخر المطالبة جديدة الضمان ولانه شرط أن يحسب ذلك من ماله لا من مال السلطان

وقاد دوابّه ودوابّ حاشيته وأصحابه على الشطّ فوصل خبرُهُ الى ابن الفرات فاستشار ابنَهُ المحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر الى المقتدر ويقرأه كتاب حامد ففعل ذلك وقال المقتدر : ماوقفت على ما عمله حامدٌ ولا كتبت بشيء مما ادّعاه عليّ . فقال ابن الفرات : فان كان كذلك فالصواب ان ينفذ نازوك في جمع من النلمان الحجريّة والفرسان والرجّالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على حامد وأسبابه . فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات الى داره وأنفذ نازوك وتقدم اليه بالمبادرة حتى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتي لا يفوته أحدٌ منهم . فسار نازوك واخطأ بأن قبض على أوّل من لقيه من اسباب حامد وعلى دوابّه وغلمانه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق وذهب أسباب نازوك ببعض ما كان مع القوم (١٧٨) من الامتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسابات والاعمال وصار بالجميع الى الحضرة

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والاعمال الى ابن الفرات وفرّق الامتعة في خزائنه والدوابّ في اصطبلاته ووجد ابن الفرات في الكُتُب المحمولة اليه عجائبَ من كُتُب مَن تقرّب اليهم فقبض عليهم وكان حين ورد كتاب حامد بالمسير من واسط استظهر بالتوكيل بجهبذه ابرهيم الذى كان بالحضرة فلما تمّ قبضُ نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهبذ مرّةً وبالغلظة اخرى ويسئل عن ودائع حامد ففعل هشام به ذلك فاقرّ عموماً أن لحامد عنده مائة ألف دينار عينا ثم حلف على أنه ليس عنده لحامد ولا لاحد من أسبابه وديعة غيرها فآمنه ابن الفرات على نفسه وان لا يسلّمهُ الى المحسّن ولم يُطلع ابن الفرات المقتدر بالله على

خبر هذه المائة الالف الا بعد أن تَسلَّم حامداً

وانتشر الخبر فى رجب أن حامداً إنّما استتر لأن المقتدر كتب اليه يُنكِر خروجَهُ من واسط على تلك الحال التى خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافى بغداد حتى يتوثّق منه ويأخذ خطَّهُ بما بذل أن يضمن (١٧٩) به ابن الفرات والمحسّن وكُتابهما واسبابهما ليسلّم الجماعة اليه فاستتر المحسّن والفضل والحسين والحسن أولاد أبى الحسن ابن الفرات وحُرمهم واكثر الكُتاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كُتّابه الذين يحضرون مجلسه الا أبو القاسم بن زنجى وحده . وكانت مدة سعادة حامد قد انقضت[1] فصار الى دار السلطان في زىّ الرُهبان ومعه مونس خادمه وصعد الى دار الحجبة التى فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رُنداق على نصر وقال : حامد ابن العباس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ. فقال : قُل له يدخُل . فلما دخل قال له قبل أن يجلس : الى أين جئتَ ؟ قال : جئتُ بكتابك . فقال له فالى هاهُنا كتبتُ اليك أن تجىء ؟ ولم يقُم له واعتذر اليه أنه تحت سخط الخليفة . ووجّه نصر الى مُفلِح يسئله الخروج اليه وكان مُفلح يتولى الاستئذان على المقتدر اذا كان عند حُرمه فخرج مفلح وكلّمهُ نصر فى أمر حامد وقال له : هو فى هذا الوقت فى حال رحمة ومثلك من استعمل معه الجميلَ ولم يؤاخذه بما كان منه فى تلك الامور . ثم قال حامد لمفلح : تقول لمولانا أمير المؤمنين (١٨٠) عنّي بانى أرضى أن أكون معتقلاً فى دار أمير المؤمنين كما اعتقل فيها على بن عيسى ويُناظرنى الوزير والمحسّن والكُتّاب بحضرة الفقهاء والقضاة ووجوه القُوّاد فان وجب علىّ مالٌ خرجتُ منه بعد أن أكون

(١) وزراء ٣٦

مالكاً لاستيفاء حُجتي ومحروساً فى نفسى ولم يمكّن المحسّن من دمى فيجازينى على المكاره التى كنتُ أو قمتُها به فى طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شابٌ وأنا شيخٌ قد بلغتُ هذه السنّ العالية واليسير من المكروه يتلفنى . فوعدَهُ مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله فخاطبَهُ فى أمرِهِ بضدّ ما وعدَهُ به فتكلّمت السيّدة فى امر حامد وقالت : لا يضرّ أن يُعتقَل فى الدار ويُناظر حتى تُحرس نفسهُ . فقال مفلح : ان فُعل هذا لم يتمّ لابن الفرات عملٌ لأن الاراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال فقال المقتدر لمفلح : صدقتَ . وأمرَهُ أن يخرج الى نصر فيأمره ان يُنفذ حامداً الى ابن الفرات فخرج مفلح الى نصر بذلك فأخذ نصر يطيّب نفس حامد بأن يقول : لابدّ من أن تصير الى حضرة الوزير مع ثقة لى ثم أردُّك الى دار أمير المؤمنين . فالتمس حامد من نصر ثياباً يغيّر بها ما عليه من زىّ الرُهبان فامتنع مفلح من الأذن له فى ذلك وقال : قد أمرنى مولاى أن أوجّه به[١٨١] فى الزي الذى حضر فيه . فما زال نصر يشفع له حتى أذن له فى تغيير زيه وانفذهُ مع ابن رُنداق الحاجب وبادر مفلح بانفاذ كاتبه الى ابن الفرات يُبشّره بحصول حامد وما أمر به المقتدر من تسليمه اليه وكان ابن الفرات على قلق وانزعاج لما وقف على حصول حامد فى دار السلطان واستتر كتابُه وأولاده كلهم فلما جاءته رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجى وهو ينظر فى العمل نظراً خفيفاً الى أن ذكر بعض الغلمان أن طيّاراً من طيارات الخدمة قد أقبل ثم قدّم عند درجة داره وبادر البوّابون بخبره ودخل ابن الرنداق ومعه حامد بن العباس فلما رآه ابن الفرات قال له : لِمَ تركتَ عملك وجئتَ ؟ قال : بكتابك جئتُ . قال : فلِمَ لم

تقصد داري ان كنت جئت بكتابي ؟ قال : حرمت التوفيق .[1] ولم يزل يُخاطبه « بالكاف » من غير ذكر الوزارة . وأخرج ابن الزُنداق رُقعة نصر الحاجب الى الوزير باتفاذ حامد اليه فألقاها الى ابن زنجي وقال : اكتبْ بوصوله . فكتب وسلّم الجواب الى ابن زُنداق فنهض من المجلس

فلما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يُخاطِبُ ابن الفرات بالوزارة ولان كلامه وبان فيه [١٨٢] الخضوع . وأمر ابن الفرات يحيي بن عبد الله قهرمان داره بان يفرد لحامد داراً واسعة فى داره ويفرُشها فرشاً حسناً ويتفقّده في طعامه وشرابه وطيبه حتى يُخدَم بمثل ما كان يخدَم به وهو وزيرٌ وان يقطع له كسوةً فاخرةً ويجعل معه لخدمته اذا كان خاليا خادمين أسودين أعجميّين وأمرَه أن يؤنسه عند الأكل وأن يخدمه فى تلك الحال من الخدم والفرّاشين من يوثق به ففعل يحيي ذلك

﴿ ذكر ما عومل به حامدٌ وما عمله هو ﴾

دخل الى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه واحمد بن الحجاج بن مخلد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما فى أيام وزارته من المكاره ما لم يسمع بمثله قط فوبّخاهُ على مافعل بهما فجحد أن يكون رآهما او وقع بصره عليهما فلما أكثرا عليه قال لهما : قد أكثرتُما علىّ وأنا أجمل القول لكما ان كان ما استعملتُه من الاحوال التي تَصِفانَ وما عاملتُ الناس به قد أثمرَ لى خيرا فاستعملا مثلَه وزيدا عليه وان كان قبيحا وهو الذى أصارنى الى أن تمكنتم منى فتجنّبوه فان السعيد من وُعظ بغيره .[١٨٣] فذهبا وأعادا ذلك على ابن الفرات فاسترجح حامدا

(١) وفيما زاد على هذا راجع وزراء ٣٧

وقال : ماأدفعُ رُجلته ولا أنكر دُربته ولكنّه رجل من أهل النار يقدم على الدماء ومكاره الناس .

قال ثابت فى كتابه فى التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويُصدق قول حامد ويستجيدهُ ويقول انه بافعالهِ القبيحة من أهل النار وهو لا يُنكر مع كرم طبعهِ وجلالة قدره وسلامة أخلاقهِ وإيثاره الاحسان الى كلّ أحد على المحسن ابنهِ طرائقهُ المنكرة وأفعاله العظيمة التى أنكرها على حامد بن العباس [1] وقد زاد عليها الواحد واحداً ولا ينهاه ولا يَعظهُ بما لحق حامداً فيرجع « ويكون السعيد للذى وُعظ بغيره » فان مَنْ يُقدم على الله تعالى على بصيرةٍ وبعدَ التنبيه والتذكير خلاف من يقدم وهو مغترٌ غافلٌ

ثم راسل ابن الفرات حامدَ بن العباس فى الاقرار عاله بمائتى ألف دينار منها المائة التى كانت له عند ابراهيم جهبذهِ لانه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ فى يد ابن الفرات وأخذ المحسن شيئاً آخر من جهة مونس خادمه الى حضرة المقتدر بالله وكتب اليه انه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه [184] واطمع المقتدر من جهة حامد في أموالٍ كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصُودر جماعة من حاشيته باموال أخرَى . واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الفقهاء والقضاة والكُتّاب [2] وناظرهُ مناظرةً

(١) راجع وزراء ١٠٥

(٢) زاد فيه صاحب التكملة : فيهم النعمان بن عبد الله وكان قد تاب من عمل السلطان فحضر بطيلسان وناظره ابن الفرات مناظرة طالت كان محمد ابن الفرات أن قال له : الضمان

طالت واستوفى حامد حجّتهُ الى أن أخرج ابن الفرات عملا وجده فى صناديق غريب غلام حامد وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاّته فى الفُرضة . فواقف حامدا عليه وأحضر غريبا فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهوا منه لان حامدا كان فى كل سنة يجمع جميع حسباناته ويفرّقها فى ٦ جلة فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان فى جملة الظهور فكان مائبت فى ذلك العمل من أثمان الغلاّت لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار ونيفا واربعين الف دينار سوى شعير الكُرّاع المحمول الى الحضرة فبان ان فى الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر ايضا ان اسعار تلك السنة الثانية فى العمل اسعار ناقصة وان اسعار السنين التى بعدها بأسرها ازْيَدُ واتّجهت حُجّة ابن الفرات على حامد

الذي ضمنته من الحاقاني سنة ٢٩٩ لا يمضيه الفقهاء والكتاب لانه ضمان مجهول وضمنت أثمان غلات لم تزرع . فقال له حامد : فقد عملت بى كذلك حين ضمنتنى أعمال الصدقات والضياع بالبصرة وكور دجلة . فقال ابن الفرات : الغلة بالبصرة يسيرة وانما ضمنت الثمرة . فقال حامد : فمن أجل بيع الثمرة قبل إدراكها وحضرها فى الزرع . فقال المحسن لحامد : هذا الكلوذاني كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته . فقال : هولاء كتاب الوزير الآن (بياض فى الاصل) هواه ولزمت ابن الفرات حجة حتي قال له حامد : لم أمضيت ضماني في وزارتك الثانية ؟ فقال ابن الفرات : لهذا تقلني أمير المؤمنين الى حبسه . وذكر حامد حججا كانت في يده فقال ابن الفرات : أنا فتشت صناديقك فلم أجد فيها ما ذكرت وأنا المقدم باحضارها وبتفتيشها . فقال حامد : أفتشها بعد أن فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح أقفالها ! فخجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة . وزادفيه أيضاً صاحب التكملة : وصودر محمد بن عبدالله النصراني حاجبه والحسن بن على الحصيب كاتبه على ثمانين ألف دينار واستعمل الحصيب مع حامد من المكاشفة مالم يستعمله كاتب مع صاحب فردّ ابن الفرات عليه ما صادره به

واخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتّاب وشفيع اللؤلؤى بما ظهر من الحجّة على حامد

وكان [١٨٥] ابن الفرات يرفق فى المناظرة ولا يُسمعهُ ولا يخرق به ولا يزيد على إيجاب الحجّة عليه ويدعهُ حتى يستوفى منه نفسه الحجة وكان المحسّن ابنه يشتمه بحضرة الناس اقبح شتم ويقول : ليس يخرج المال منك الامثل المكاره التى كنتَ تُجريها على الناس . ويقول : انى اعطى خطى ان سلم منى ان استخرج منه الفي الف دينار معجلة ويبذل دمه ان لم يف بذلك . . .ويستكفه ابوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهي

فقال حامد . أيها الوزير قد أكثر من شتمى واحتملتهُ وليس الاحتمال له وانما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التى أنا فيها شيء يُخاف أعظم من القتل ولولا مايلزمنى من توقير بمجلس الوزير لرددت عليه . فحلف أبو الحسن لئن عاد المحسّن لشتم حامد ليستفينّ الخليفةَ من مُناظرته فحينئذ أمسك عن الشتم ثم أعاده الى المناظرة مرّات [١] وكان يحصل فى آخره انه لامال له وكان قد باع ضياعهُ ومستغلاّتهُ وفرشهُ ودارَهُ ولم يبق له حيلة .

فلما أعيت ابن الفرات الحيلةُ فيه خلا به فى دار من دُور حرمه من حيث لم يحضر معهما أحدٌ من خلق الله ورفق به وحلف له على انه ان صدقه عن أمواله وذخائره لم يُسلمهُ الى المحسّن ولم يُخرجهُ عن داره [١٨٦] وحفظ نفسه فاما أقام فى داره مكرما واما خرج الى فارس متقلداً لها أو الى أى بلد أحبّ مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه ووكّد اليمين على ذلك ثم قال له : أنت تعلم انك ضمنتنى من أمير المؤمنين لأسلّم اليك فافتديت نفسى بسبعمائة

١) راجع ما رواه أبو القاسم زنجي في كتاب الوزراء ١٧٤

ألف دينار وأقررت بها عفوا من مالى حتى سلمت منك وأنت قد تناسيت كل جميل فعلته وفعله أخى [1] بك والخليفة الآن مقيم على ان يسلمك الى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحدٌ مع وزير ولا مع ولد وزير وأنا أرى لك ان تهتدى بمالك حتى تلحقك الصيانة من التسليم الى المحسن . ووكّد له الايمان فعند ذلك ركن حامد الى قوله ويمينه وأقر له من الدفائن فى البلاليع احتفرها وتولى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار وأقر بان له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقر بان له كسوةً وطيبا مودوعة بواسط فاخذ ابن الفرات خطّه بذلك وبادر بالركوب الى المقتدر من غير ان يحضر معه المحسن ولا عرّفه شيأً من الخبر فسر المقتدر بذلك ووعدهُ ان يسلّم اليه كل مَن ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات (١٨٧) باتخاذ شفيع ليسلم هذا المال بواسط . فخرج شفيع فوجد تلك الاموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها الى المقتدر بالله

وما زال حامد فى دار ابن الفرات مَصُونا الى ان توصل المحسن الى المقتدر بالله على يد مُفلح فالتمس منه ان يوقّع الى أبيه بان يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة فتردّد مفلح برسائل من المقتدر بالله الى أبى الحسن بن الفرات وتنكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات الى ان خُلع على المحسن وركب معه أبوه والقوّاد ثم انصرف أبوه الى داره ومضى المحسن الى داره . ثم ركب المحسن مع أبيه الى دار السلطان وخاطب

(١) ليراجع قصة حامد مع اسحيل بن بلبل واعتماده على عناية أبى العباس ابن الفرات فى الفرج بعد الشدة ١ : ١١٤

الخليفة بحضرة أبيه وقال : قد بقيت على حامد جملة وافرة من مال مصادرته وان سُلِّم الىّ استخرجت منه خمسمائة ألف دينار . فامر المقتدر أبا الحسن بتسليمه اليه فقال ابن الفرات : قد عاهدتُه ان لا أسلّمه اليه . فراجع المحسن المقتدرَ الى ان أمر المقتدر أمرا لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه فسلّمه اليه وحمله المحسن الى داره . وطالَبهُ وأوقع به مكروها وأقام حامد على انه لم يبق له مال ولا حال فامر بصفعه فصفع خمسين صفعة وسقط كالمغشى عليه وما زال[١٨٨] يُصفَع الى ان تكلّم وقال : أى شيء تريد[1] منى ؟ قال : أريد المال . قال : مابقى غير ضيعتى . قال : فاكتب بوكالة لابن مُكرم (وكان أحمد ابن كامل القاضى حاضراً) تقرّ فيها انك قد وكلته فى بيعها . فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد . ثم ان المحسن عامله بعد ذلك بمعاملة تجرى مجرى السُخْف من إذلاله والوضع منه ثم سلّمه الى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجالة ليحدروا به الى واسط ويبيع ضياعه وأملاكه

وشاع ببغداد ان حامداً طالب ليلة انحداره بيضا فحمل اليه وتحنّى منه وقت افطاره عشر بيضات وان خادم المحسن الموكل به طرح فيه سما فما استقر فى جوفه حتى صاح ولحقه ذرب عظيم ودخل واسط وهو لما به فسلمه الخادم الى محمد بن على البزوفرى وجعله فى داره وبادر الخادم بالانصراف وقلم حامد أكثر من مائة مجلس ولم يتغدّ الاّ بسُوَيق السُلْت . وأراد البزوفرى الاستظهار لنفسه فاستحضر القاضى والشهود بواسط وكتب كتابا يقول فيه «ان حامدا وصل الى واسط وتسلّمه البزوفرى وهو عليل من ذرب شديد لحقه فى طريقه بين بغداد وواسط وانه ان تلف من ذلك

(١) فى الاصل تريدين

الدرب فانما مات [١٨١] حتف أنفه ولا صنع للبزوفرى فى شيء من امره » ووجّه بالكتاب الى حامد فاظهر له حامد الاستجابة الى الاشهاد على نفسه بما فيه فلما دخل اليه القاضي والشهود قال لهم : ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض عاهدني وحلف لي بايمان البيعة والطلاق على اني ان اقررت بجميع اموالي لم يُسلّمني الى ابنه المحسن وصانني عن كل مكروه واطلقني الى منزلي وولاّني اجلّ الاعمال فلما اقررت له بجميع ما ملكته سلّمني الى ابنه المحسن فعذبني باصناف العذاب واخرجني مع فلان الخادم واحتال عليّ وسقاني بيضا وطرح فيه سما فلحقني الدرب ولا صنع للبزوفرى فى دمي فى هذا الوقت ولكنه فعل وصنع ثم اخذ قطعةً من اموالي وامتعتي وجعل يحشوها فى المساور البزّيون المخلقة فتباع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ما شرحتُهُ لكم . وتبين البزوفرى حينئذ انه اخطأ فيما فعله . وكتب صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات بجميع ما تكلّم به حامد .

وتوفى حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة ٣١١ [١٩٠]

﴿ ماجرى فى امر على بن عيسى وتسليمه الى ابن الفرات [١] ﴾

لما قبض المقتدر على عليّ بن عيسى وجعله فى يد زيدان القهرمانة راسله بان يقرّ باموالهِ فكتب رُقعةً يقول فيها انه لا يقدر على اكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق ان ورد الخبر بدخول ابي طاهر سليمان بن الحسن الجنّابي الى البصرة سحر يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى الف وسبعمائة

(١) ورد ذكر ما جرى فى أمر على بن عيسى الى أن نفى الى مكة فى كتاب الوزراء : ٣٠٨ — ٢٨٩

راجل وانه وصل اليها بسلاليم نصبها بالليل على سورها وصعد الى اعلى السور ثم نزل الى البلد وقتل البوّابين الذين على ابواب السور وفتح الابواب وطرح عن كلّ مصراعين منها حصى ورملا كان معه على الجمال لئلا يمكن اغلاق الباب عليه . وانه لم يعرف سُبك المفلحي والى البصرة الا في سحر يوم الاثنين ولم يعلم انه ابن أبي سعيد الجنّابي وقدّر انهم اعراب فركب منتزًا ولقيه وجرت بينهم حرب شديد وقتل سُبك ووضع أبو طاهر في أهل البصرة السيف وأحرق الزبد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم يعرض للقبر . وهرب الناس الى الكلاء فكانوا يحاربونهم عدّة أيام ثم أخذهم السيف فطرحوا أنفسهم في النساء فغرق اكثرهم . واقام ابو طاهر بالبصرة (١٦١) سبعة عشر يوما ويحمل على جماله كل مايقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان ثم انصرف الى بلده . فانفذ ابن الفرات في الوقت الذي ورد فيه خبر القرمطيّ بُنيّ بن نفيس وجعفراً الزرنجي الى البصرة وقلد محمد بن عبدالله الفارق اعمال المعاون بالبصرة وخلع عليه وانحدر في الطيّارات والشذا آت وورد الخبر بوصوله اليها بعد انصراف ابي طاهر الجنابي عنها فاقام فيها الفارق رجالهُ وانصرف بُنيّ والزرنجي

وكان بُنيّ بن نفيس انفذ جماعةً من القرامطة الى بغداد ذكرَ انهم استأمنوا اليه وانهم زعموا ان علي بن عيسى كاتبهم بالمصير الى البصرة وانه وجّهَ اليهم في عدّة اوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وانهى ابن الفرات الحالَ في ذلك الى المقتدر بالله

ذكر مناظرة ابن الفرات عليّ بن عيسى

عرض الكتاب بعينه عليه فامره المقتدر باخراج علي بن عيسى اليه

ليناظره والجمع بينه و بين القرامطة حتى يواجهوه بما قالوا فيه ففعل ابن الفرات . فاحتجّ علي بن عيسى بان قال : انه من كان في مثل حالتي وتحت سخط السلطان كاشفَهُ الناس بالكذب [١٩٢] والباطل لا سيّما اذا كان الوزير منحرفا ومُنتاظا . ثم أخذ ابن الفرات يُخاطبه في امر الاعمال وكان فيما ناظره عليه امر المادرائيين وقال : قد اخذ ابن بسطام [١] خطوطَهما في ايام وزارتي الثانية صلحا عمّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما اخذاه من المرافق بها مدّة تقلّدهما في أيامك الأولى بالفي الف دينار وثلاثمائة الف دينار وادّيا في ايامي نحو خمسمائة الف دينار . فصرفت على ابن بسطام ساعة وليتَ الدواوين وقلّدتَ هذين العاملَين المجاهرَين باقتطاع مال السلطان وأنشأتَ اليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءهُ باسقاط ذلك بأسره عنهما . ثم ادّعيت ان أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيتُ هذه الحال الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال : لم آمر بشيء من هذا ولا ظنّ ان أحداً يُقدم عليه بمثلها . فأجاب علي بن عيسى بانه كان في الوقت (كاتباً) لحامد بن العباس بخلافهُ على العمل : وكان أمير المؤمنين أمرني قبول قوله وان حامدا ذكر ان أمير المؤمنين أمر باسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقّع بذلك توقيعاً فوقّعتُ تحت توقيع حامد بامتثال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره به صاحبهُ . فقال له [١٩٣] ابن الفرات : أنت كنتَ تُعارض حامداً وتخاصمهُ أبدا في اليسير تخرجه عليه في عبَره ما كان ضمنَهُ حتى جرى بينكما ما تحدث به الناس فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين في هذا المال العظيم الجسيم ؟ فقال علي بن عيسى : كنتُ في أوّل الامر كاتباً لحامد

(١) هو أبو القاسم علي بن أحمد : راجع صلة عريب ٦٥

مدّة سبعة أشهر ثم بان لامير المؤمنين ما أوجب أن يعتمد عليّ وكان الذى جرى من أمر المادرائيين فى صدر أيام حامد . فقال له ابن الفرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين الا صدقته عن خطأ حامد فى هذا الباب وتلافيته ؟ فقال : أغضيتُ عن ذلك لانى كنتُ فى ذى القعدة سنة ستّ اوصلتُ الحسين ابن احمد الى حضرة أمير المؤمنين وأخذتُ خطّه فى مجلسه بما عقدتهُ عليه من ضمان أعمال الخراج والضياع بمصر والشام بعد النفقات الراتبة واعطاء الجيش فى تلك النواحى وهو ألف ألف دينار فى كلّ سنة خالصة للحمل الى بيت المال لا ينكسر منه درهمٌ واحدٌ وذلك بعد ان أخذتُ خطّه بجميع ما تصرّف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبة فى ناحية ناحية ووقفتُ عليه أيضاً فى كل سنة لما ينكسر ويتأخّر فى هذه الاعمال مائة وثلاثين ألف دينار [١٩٤] وخطه بذلك في ديوان المغرب وهذا غاية ماقدرتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنتَ تعملُ أعمال الدواوين منذُ نشأتَ وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم وليتَ الوزارة ودبّرت أمر المملكة مدّةً طويلة هل رأيت من يدع مالاً واجبا يُؤدّى معجلا ويأخذ عوضا منه مالا مؤجّلاً يُحال به على ضمان ! وهبك أغضيتَ كما ذكرتَ ورأيتَ ذلك صواباً في التدبير فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن فى مدّة خمس سنين دبّرت فيها المملكة ؟ فاجاب عن ذلك بانه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جُملةٌ ثم سار العلوى [١] من افريقية حتى تغلّب على أكثر النواحى بمصر فنفذ مونس المظفّر الى مصر لمحاربته فانصرف أكثر المال الى اعطيات الجند ونفقات العساكر وانكسر باقيه لاجل استخراج العلوىّ ما استخرجهُ

(١) هو المهدي عبيد الله . راجع صلة عريب ٥١

من أموال النواحي المجاورة لمصر . فقال ابن الفرات : فقد انهزم العلوى منذ صفر سنه تسع ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوى فهل استخرجتَ من هذا الضامن ألفي ألف دينار ؟ فاجاب على ذلك مالم يحفظ ثم قال له فى آخر خطابه : فقد [١٩٥] أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالاموال التى جمعتها وخُنتَهُ فيها فينبغى ان تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه . فقال على بن عيسى : لستُ من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار

ثم ناظره على أموال الحاشية فقال لعلى بن عيسى : أنتَ قد أسقطتَ من ارزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنتُ أوفّيهم أرزاقهم على الاحرار فى أيّامي الأُولَى والثانية مدّة خمس سنين دبّرتَ فيها أمر المملكة ما يكون مبلغهُ في كل شهر مع ارتفاع الضياع التى هى ملك خاصّة خمسة وأربعون ألفاً يكون فى السنة خمسمائة واربعون ألف دينار وفى هذه المدّة ستّة ألف ألف دينار ولستَ تخلو من أن تكون احتجتَها لنفسك أواضعتَها . فقال على بن عيسى : ما استغللتُهُ من هـذه الضياع ووفّرتهُ من أرزاق من يستغنى عنه تممتُ به عجزَ الدخل عن النفقات المسرفة حتى اعتدلتْ الحال فلم أمدّ يدى الى بيت مال الخاصّة فاما الخمسة والاربعون الالف الدينار التى كنتَ تحملها من أموال المرافق فانى ما استصوبتُ ما استصوبتَهُ أنت من أخـذها والاذن للعُمّال فى ان يرتفقوا بل حظرتُها ورفعتُها فلم أعرض لهـا لانهـا كانت طريقاً الى تلف أموال السلطان وظلم الرعيـة [١٩٦] وخراب البلاد وأنتَ كنتَ تُعوّل فى النفقات على ما كنتَ تحوّلهُ من بيت مال الخاصّة الى بيت مال العامة فترضى بهالحاشية وتخرب به بيت المال . وتكرّر

الخطاب فى هذا المعنى

ثم ناظره على ماحملهُ الى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّدت بينه وبينهم من المكاتبات مرّةً والمقاربات أخرى فقال : أردتُ استمالتهم وإدخالهم فى الطاعة وكففتُهم عن الحاج وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولا يتى دفعتين وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة . فقال له ابن الفرات : فأى شىء أعظم من ان تشهد ان أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوّة النبي عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبوهم مسلمون[1] وتكاتبهم بذلك وتؤخر اطلاق ارزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أخلوا بمراكزهم فدخلها القرمطي وقتل أهلها . فاحتج بحجج يطول شرحها

فسأل نصر الحاجب والمحسن ابا الحسن ابن الفرات ان يدعهما يخلوان به فخلوا واشارا عليه بالمصادرة فاستجاب اليها والزماهُ ثلثمائة ألف دينار يُعجل منها فى مدّة شهر مائة الف دينار اوّلها يوم خروجه من دار السلطان الى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل اليه الناس (١٩٧) فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وانفذه الى المقتدر بالله فامضاهُ ثم كتب ابن الفرات كتبا عن نفسه الى كلّ واحد من اصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة على بن عيسى وسرقتهُ وما واجهه به وما بذله من المصادرة

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المُطوّق أن أبا الحسن على بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات ان يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة ٣١١ ليؤديه من جملة المُصادرة وان ابن الفرات قال له : هو خمسون ألف دينار . فقال على بن عيسى : قد رضيتُ بعشرين ألف دينار . وذكر

(١) فى الاصل مسلمين

أنه دون ذلك فلما نُفى الى مكة وجد فى ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار[1]

قال أبو الفرج : فسمعتُ الهُمانى الواسطى يقول : سمعتُ أبا الحسن على بن عيسى يُوبِّخ أبا عبدالله البريدى ويقول له : يا أبا عبد الله أما خفتَ الله حيث حلفتَ بما حلفتَ به ونحن مُجتمعون فى دار السلطان أطال الله بقاءه أن استغلالك واستغلال اخوتك من ضيعتكم بواسط عشرة آلاف دينار وقد وجدتُه من حساب رفعهُ الىَّ (يعني الهُمانى) ثلاثين ألف دينار . فقال أبو عبد الله : اقتديتُ بسيّدنا أيّده الله حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقهُ وساترهُ (١٩٨) وعلمتُ أنه مع ديانته لو لم يعلم ان التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لَمَا حلف بتلك اليمين . فكأنه ألقم على بن عيسى حجراً

ونعود الى تمام خبر على بن عيسى مع ابن الفرات . امتنع المقتدر من تسليم على بن عيسى الى ابن الفرات فذكر على بن عيسى أنه لا يمكنه أن يؤدّى مال مصادرته الا بعد أن يخرُج من دار الخليفة وأحضره المحسّن دفعتين وطالبهُ ورفق به فلم يؤدّ الا ثمن دارٍ باعها فقيّده المحسّن فلما رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسّن على بن عيسى فقال : لو كنتُ اقدرُ هاهُنا على أداء المال لَمَا قُيِّدتُ . فالبسه جُبَّة صوف وأقام على أمره فحينئذٍ صفعهُ عشر صفعات فقام نازوك من المجلس فقال المحسّن : الى اين تقوم ؟ فقال : ما أحبُّ أن أحضُر مكروهَ هذا الشيخ . وأُعيد على بن عيسى الى محبسه وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامَل به المحسّن على بن عيسى فأقلقهُ ذلك وقال لابنه : قد جنيتَ علينا بما فعلتَهُ كان يجب أن تقتصر على

(١) لراجع ما روى فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٢٩٥

القيد. ثم كاتَبَ المقتدر بالله يشفع لعلي بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما جرى عليه لحقهُ من الغمّ أمرٌ لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً مُنذ عرف خبره لأنه شيخ من مشايخ الكُتّاب وقد خدم أمير المؤمنين (١٩٩) وتحرّم بداره ومثله يُخطِئ وأمير المؤمنين أَوْلَى بالصفح وسأل أن يُزال عنه القيدُ والجُبّة الصوفِ فاجابهُ المقتدر بان علي بن عيسى مُستحقّ لاضعاف ما جرى عليه وأن المحسن قد أصاب فيما عامَلهُ به وأنه قد شفعهُ في امرهِ وأمر بحلّ قيده ونزع جُبّة الصوف عنه وتقدّم بعد ذلك بتسليم علي بن عيسى الى ابن الفرات ليؤدّي مال التعجيل من مُصادرته. فلما حُملَ اليه [قال] لستُ أحبّ أن يكون في داري لئلا يلحقه مرضٌ وهو شيخٌ فيُنسبُ اليّ وأنا أسئلُ أمير المومنين أن يأذن في تسليمه الى شفيع. فقيل للمقتدر ذلك فقال: أنا أُسلِّمهُ اليك لانك الوزير فأحفظ نفسهُ ولا تُسلّمهُ الى المحسن فأما غير هذا فانت أولى وما تراهُ. فانفذ ابن الفرات الى شفيع وأحضره

وأخذ ابن الفرات في توبيخ علي بن عيسى وعاتَبَهُ على أمر وقوف وقّع أميرُ المؤمنين بردّها عليه وان مالها كان ينصرف الى أشياء يتقرّب بها الى الله عزّ وجلّ وينصرف بعضها الى ولده وغلمانه وان مافعله لايجوز في الدين ولا في المروءة. فأخذ علي بن عيسى يعترف بالتفريط الذي وقع منه وسأله قبول عذرهِ وكان المحسن حاضراً (٢٠٠) فاطنب في توبيخه وتقريعه على هذا الباب فاجابه بمثل ما اجاب به والدهُ وزيادة (١) وقال في عرض كلامه: انا

(١) وفي كتاب الوزراء ٣٠٣: ودخل المحسن في القول في الزيادة من توبيخ علي ابن عيسى في فعله فقال له الخ

والله استجليك . فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على ابيه ايضا فاجابه المحسن بجواب فيه غلظة واقبل ابوه يسكّنه ويرفق به ثم قال لعلى بن عيسى : أبو احمد كاتبُ امير المومنين وصنيعتُه (وأخذ يصفه محلهُ منه وتفويضه اليه) وأخذ على بن عيسى فى الاعتذار من تلك الكلمة . ونهض على بن عيسى مع شفيع فاجلسه شفيع فى صدر طياره وحمله الى داره

وحكي ابو الحسن ابن أبى هشام انه كان حاضرا المجلس وانه رأى الحسن بن دولة ابن أبى الحسن بن الفرات خرج فى تلك الحال فقام له على ابن عيسى وقبّل رأسه وعينه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له : لاتفعل يا أبا الحسن هذا ولدُك . ثم فتح دواته ووقّع الى هرون بن عمران الجهبذ أن يحمل الى أبى الحسن على بن عيسى بلا دُعاء ألفى دينار يستعين به على أمره فى مصادرته وقال لابنه المحسّن : وقّع أنت أيضا بشىء . فوقّع بالف دينار ثم أحضرا بشر بن هرون وكتب قبضاً لعلى بن عيسى من مال مصادرته بهذه الثلاثة الالاف الدينار [٢٠١] فانصرف على بن عيسى شاكراً

ولم يقبل على بن عيسى من أحد من الكُتاب معونةً فى مصادرته مع بذل جماعتهم له وحملهم اليه ما أطاق كل واحد منهم الا من ابن فرجويه وابنى أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين فانه قبل من كلّ واحد منهما خمسمائة دينار وحمل اليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة ألاف دينار فردها وقال : لو كنتَ متقلداً فارس لقبلتُها منك ولكنى أعلمُ ان هذه جميع مالكَ وما أحبّ أن أثلمك . فحلف أبو الهيجاء أن لايرجع الى ملكه فقرّقت فى الطالبيين وفى الصدقة على الضعفى وبذل له شفيع اللؤلوى الفى دينار فامتنع من قبولها وقال : لا أجمع عليك موؤنتى ومعونتى فى مصادرتى . وقبل

من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيع المقتدرى

فلما ادّى على بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر : ان فى مقام على بن عيسى فى دار شفيع ضرراً عليه فان الاراجيف قد كثرت وان ردّ الى دار السلطان زاد الارجاف . والتمس الاذن فى إبعاده الى مكة فأذن له المقتدر فى ذلك فأطلق ابن الفرات لما قدّر له من نفقته وما يحتاج اليه سبعة آلاف درهم فخرج [1] اليها ثم كتب ابن الفرات بإبعاده الى صنعاء من بلاد اليمن [2] فأبعد اليها

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعماله وكتابه مالا عظيما بالمكاره وبسط يد ابنه فأنكر الناس اخلاقه وما كان يعرف من كرمه ونبله . فأما أبو على ابن مقلة فانه كتب الى أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجى رقعة وكانت بينهما مودّة وضمنها أبياتا له ما أثبتها لانى لم أستجدها وكتب رقعة الى ابن الفرات يذكره بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها فى درج تلك الرقعة وسأله ايصالها فلما وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرّر مصادرته على ما ينهض به ثم خفف عنه بعد ذلك وأطلقه

فأما ابن الحوارى [3] فان ابن الفرات سلمه الى ابنه المحسن فصفعه صفعاً عظيما فى دفعات وضربه بالمقارع ثم أخرجه الى الاهواز مع مستخرج له فلما وصل اليها قتله المستخرج

---

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فاستجار له جمالا وأعطاه نفقة وأنفذ معه ابن الكوثانى صاحبه فاراد قتل علىّ فبلغ ذلك أهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثانى فمنع على منه وحفظه

(٢) وزراه ٤٠

فأما المادرائيان[١] فانه كتب باشخاصهما فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور فاعتقله ابن الفرات فى داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين الى داره وحضر المحسن وأحضروا أعمالا عملوها لابى زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطه من الابواب التي نوظر عليها بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار ثم استكثر[٢٠٣] ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرته على ألف الف وسبعمائة الف دينار وعرض خطه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله وتناهى ابن الفرات فى معاملته بالجميل وكان يسترجله ويصف فهمهُ ويقول انه ما خاطب عاملا أفهم منه ولا أجلد وسآمهُ أن يُواجه على بن عيسى بانه أرفقه فى أيام تقلُّدهِ ديوان المغرب وفى أيام وزارته فاستعفاهُ من ذلك فقال له ابن الفرات : فكيف واجهتني انا بامره[٢] ولا تُواجههُ بامرى فقال . ما حمدتُ معه تلك الحال ولا استحسنها الى أحد مع الظاهر من اساءة الوزير الىَّ بتسليمهِ اياى الى ابن بسطام وبسط يده علىَّ فى أيام وزارته الثانية فكيف تستحسنون لى هذه الحال فى معاملة على بن عيسى مع قديم وحديث احسانه الىَّ فاعفاه ابن الفرات من ذلك

ثم قدم محمد بن على المادرائى[٣] ولم يكن تقلد في أيام وزارة حامد

(١) وزراء ٤٤ (٢) ليراجع ما تقدم ص ٦١ وكتاب الوزراء ص ٦٢ (٣) قال صاحب تاريخ الاسلام انه مات سنة ٣٤٥ وان مولده سنة ٢٥٧ وولى أبوه خراج مصر وقدم هو مصر شابا على والده وولى الخراج استقلالا وله ثلاث وعشرون سنة وقد وزر أبوه أيضا لابي جيش خمارويه فلما قتل أبو جيش واجلس فى مكانه ابنه هرون بن أبي الجيش استوزر ابا بكر محمد بن على فلما قتل هرون وقدم محمد بن سليمان الكاتب مصر من قبل المكتفى وازال دولة الطولونية وخرب ديارهم حمل ابا بكر الي بغداد ثم انه وافى مصر مع مونس والعسكر في نوبة حباسة وأمر أبو بكر ونهى ودبر البلد

ابن العباس شيئا من الاعمال فناظره ابن الفرات على المال الباقى عليه وعلى الحسين بن احمد من ضمان اجناد الشام ومصر وعن حق بيت المال فى ضمانه وهو حينئذٍ شريك للحسين بن احمد فى الضمان فاحتج فى بعضه فقال له ابن الفرات: لست بأفهم من الحسين وقد احتجّ بأكثر ما ذكرتَ[٢٠٤] فلم تثبت له حجّة. وأخذ خطّه بلا تهديد ولا مكروه بالف الف وسبعمائة الف دينار ثم سلّمه الى المحسّن وكان فى داره على أتم صيانة وأقام فيها يوما واحداً وكان المحسّن يتطاول عليه اذا حضر ثم أطلقهُ وكان السبب فى ذلك انه حمل اليه مالاً جليلاً وثيابا فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً رُوقة

﴿ ذكر ما دبّره ابن الفرات فى أمر مونس حتى أبعده ﴾

كان ورد مونس من الغزو بعد ان ظفر بالروم ظفراً حسناً فتلقّاه المحسّن ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وسائر القوّاد واتى المقتدر بالله فتحدث الناس ان مونسا[١] أنكر ما جرى على الكتّاب والعمّال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس وان أكثر الفرسان التفاريق بالحضرة قد عملوا على الانضمام الى عسكر مونس المظفر لتروج أرزاقهم. فغلُظ ذلك على ابن الفرات وصار الى المقتدر بالله بعد أسبوع من قدوم مونس المظفر فخلا به وأعلمَه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال اليه وانه ان تم له ذلك صار أمير الامراء وتغلب على أمر المملكة ولا سيما والقوّاد[٢٠٥] والغلمان مُنقادون له. وعظم عليه الامر وأغراه به إغراء شديدا فلما ركب مونس المظفر الى دار المقتدر بالله قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات: ما شيء أحب اليّ من مقامك لانى أجمع الى

(١) وزراه ٤٦ ـ ٤٥

الأنس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك فى أمر الحضرة كله ولكن أرزاق الفرسان برسم التفاريق عظيمة وما يتهيأ أن تطلق أرزاقهم على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون فى الخروج الى نواحى مصر والشام لانهم يحتجّون بقصور أحوالهم عن ذلك وقد علمتَ ان الرىّ وابهر وزنجان متنلقة باخى سعلوك وكذلك ارمينية وآذربيجان بيوسف بن أبي الساج وان أقمتَ ببغداد التمس الرجال الانضمام اليك فان لم أجبهم شغبوا وافتنوا البلد وان أقمت لم يَرُج من مال ديار ربيعة ومضر والشام شيء وليس يفى مال السواد والاهواز وفارس بنفقات الحضرة ومال عسكرك والوجه ان تخرج الى الرقة وتتوسط عملك وتُنفذ عُمالك فى اقتضاء الاموال وتستخرج مايجب على المادرائيين من الاموال العظيمة التى بذلوا بها خطوطهم وتهابك عمال المعاون والخراج بمصر والشام فيستقيم امر[٢٠٦] الملك . ورسم له الشخوص من رقة فى سائر الغلمان الحجرية والساجية برسمه

فعلم مونس ان هذا من رأى ابن الفرات وتدبيره وعرف شدّة عداوته له فسأل المقتدر بالله ان يأذن له فى المقام بقية شهر رمضان حتى يُعيّد ببغداد فاجابه الى ذلك . فلما عيّد صار الى ابن الفرات لوداعه فقام له قياما تاماً فاستعفاه مونس وحلف عليه أن يجلس فى المصلّى فامتنع وسأله مونس فى عدّة أمور فوقع له بجميع ما التمسَهُ وأراد القيام عند خروجه من حضرته فاستحلفه برأس الخليفة ألا يفعل ثم ودّع الخليفة وخرج الى مضربه فى يوم مطير

﴿ ما دبّره ابن الفرات بعد مونس فى أمر الحاشية ﴾

ولما فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتاب وأخرج مونساً شرع فى القبض على نصر الحاجب [١] وشفيع المقتدرى فوصف للمقتدر ما فى جنب نصر خاصّة من الاموال والضياع وكثرة مايصل اليه من الاعمال التى يتولاّها ثم من سائر وجوه مرافقه فاجابه المقتدر الى تسليمه اليه واتّصل الخبر بنصر فلجأ الى السيدة واستغاث اليها [٢٠٧] فكلّمت ابنها وقالت له : قد أبعدَ ابن الفرات مونسا عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن ان ينكب حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على ماعاملتَهُ به من ازالة نعمه وهتك حُرمه فليت شعرى بمن تستعين عليه ان أراد بك مكروهاً من خلعك والتدبير عليك لاسيما معما أظهر من شرّه واقدام ابنه المحسن على كل عظيمة ! وقد كان نصر مضى الى منزله واستظهر بتفريق ماله فى الودائع واستتر فراسلته السيدة بالرجوع الى داره فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرّف المقتدر من احواله ومن إفساده ابن أبى الساج حتى ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه مايُهمّ معه المقتدر بتسليمه اليه .

فلما كان فى ذى الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبي الساج باحمد بن على أخى صعلوك وقتله اياهُ وانه أخذ رأسه وهو على حمله الى بغداد فركب المحسّن الى المقتدر والتمس من مفلح أن يوصله اليه من غير حضور نصر الحاجب فاوصله وبشّره بالفتح وأعلمَهُ ان نصراً الحاجب يكره ذلك وانه عدوٌّ لابن أبى الساج وهو الذى [٢٠٨] أفسدَهُ

(١) وزراء ٤٧

على السلطان فلذلك كتمهُ الخبر

﴿ ودخلت سنة اثنى عشرة وثلثمائة ﴾

فلما كان بعد أيام ظهر فى دار السيدة كان المقتدر يكثر الجلوس فيها عند والدته رجل اعجمى[1] على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلى بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكين وأقلام وورق وسويقٌ وحبل ويقال انه دخل مع الصُّناع فحصل فى الموضع وبقى أياما فعطش وخرج ليطلب الماء فظفر به وسُئل عن خبره فقال : ليس يجوز أن أُخاطب غير صاحب الدار . فأخرج الى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فقال له : أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ماشئتَ . فقال : ليس يجوز غير خطابه فى نفسه ومسئلته عما احتاج اليه . فرفق به فلم يغن الرفق فلما لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعربية وقال بالفارسية « ندانم »[2] ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها فى كل مايخاطب به وأخرج فعوقب حتى تلف وهو لايزيد على « ندانم » فصُلب ولُف عليه حبل من قنّب ومشاقة ولطخ بالنفط وضُرب بالنار

وخاطب ابن الفرات نصراً الحاجب بحضرة[٢٠٩] المقتدر فى أمر هذا الرجل وقال له : ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك فى دارك مثل هذا الذى جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبهُ وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء فى قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب احمد بن على اخي صعلوك لامحالة والدليل على ذلك انه أعجمي فاما ان يكون احمد بن على قبل أن يقتل واطأك حتى أوصلتهُ الى هذا الموضع

(١) وزراء ٤٨ (٢) يعنى لست أعرف

واما ان تكون أنت دسستَهُ ليفتك بأمير المؤمنين لتخوُّفك على نفسك منه ولاجل عداوتك لابن أبي الساج وصداقتك لاحمد بن على ولاجل عظيم ماوصل اليك من احمد بن على من الاموال . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري أُدبِّر على أمير المؤمنين لانه أخذ أموالي وهتك حُرمي أو قبض ضياعي أو حبسني عشر سنين . فقال المقتدر : لو تم هذا على بعض العوام لكان عظيماً[1] وتمكّن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاجّ من القرمطي وسنشرحهُ فيما بعد فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات

وفى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبي الساج من آذربيجان الى الريّ ومحاربته (٢١٠) احمد بن على وحمل رأس احمد بن على وجثّته الى مدينة السلام

وفيها فرّق ابن الفرات على طلّاب الادب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله (٢) وكان السبب فى ذلك انه جرى حديثهم فى مجلسه فقيل : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق فضة أو دونها ويصرفه الى ثمن ورق وحبر . وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق وكان فرّق فى الشعراء مالا فقال لما جرى حديث هؤلاء : انا أولى من عاونهم على أمرهم . وأطلق لهم لما يصرفونه الى ذلك عشرين ألف درهم

فذُكر انه لم يُسبق ابن الفرات الى ذلك الاّ ماحدث به الضبّى عن رجاله ان مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب

---

(١) ليراجع ما زاد فيه صاحب كتاب الوزراء ص ٤٩ (٢) وزراء : ٢٠٢ — ٢٠١ وراجع أيضا ارشاد الاريب ١ : ٢٢٨

الادب وقال « هم مجفوون »[١]

وكان يستعمل كلّ يوم فى مطبخ ابن الفرات[٢] من لحوم الحيوان وفى دوره من الثلج الكثير ومن الاشربة التى تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله احد قبله ولا بعده وكان اذا ولى الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة واذا عزل رخصت. وكان اهدى الى مونس (٢١١) المظفر عند موافاته من المغرب والى بُشرى ويلبق والى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس احد بمثلها وقدّر انه يستكفيهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد

﴿ ذكر السبب فى ضعف أمر ابن الفرات بعد تناهيه فى القوة والاستقامة ﴾[٣]

اتّفق أن ورد الخبر الى بغداد على ابن الفرات بان أبا طاهر ابن أبى سعيد الجنابى ورد الى الهَبير ليتلقى حاجّ سنة ٣١١ فى رجوعهم فاوقع بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتّصل خبره بهم وهم بفَيْد فأقاموا حتى فنى زاد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم. وأشار عليهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان وكان اليه طريق الكوفة وطريق مكة وبذرقة الحاجّ لما بلغهم خبر الهجرى أن يعدل بهم من فَيْد الى وادى القرى لئلا يجتازوا بالهَبير فضجّوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورةً الى

(١) وفى ترجمة مسلمة فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى سنة ١٢٢: قال الواقدى : أوصى مسلمة بثلث ماله لاهل الادب وقال : انها صناعة مهجورة تجفو أهلها

(٢) وزراء : ٦٣ : ١٩٥　(٣) ومن هنا الى مقتل ابن الفرات وابنه راجع كتاب الوزراء : ٦٢ — ٤٩

الهبير فلما قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبي سعيد الجنّابي وقاتلهم فظفر بهم وقتل[٢١٢] منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان وأحمد بن كشمرد[١] ونحرير العمري واحمد ابن بدر عمّ السيّدة امّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحُرمه وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ في سائر القوافل وسبى ممّن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار بهم الى هجر وترك باقي الحاجّ في مواضعهم بلا زاد ولا جمال وكانت سنّ أبي طاهر في ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلّف من الحاجّ بالعطش والحفا والرُجلة

وانقلبت بغداد وطُرُقها في الجانبين وخرج النساء حُفاة منشّرات الشعور مُسوّدات الوجوه يلطمنَ ويصرخنَ في الشوارع وانضاف اليهن حُرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وذلك في يوم السبت لسبع خلون من صفر فكانت صُورةً فظيعة قبيحة شنيعةً لم يُر مثلها. وتقدّم ابن الفرات الى نازوك بالركوب الى المساجد الجامعة في الجانبين ببغداد بسبب حركة العامّة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجالة والنفّاطين حتى سكن العامّة. ثم قدم سابقُ الحاجّ فشرح الصورة[٢١٣] لابن الفرات فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه الى المقتدر وشرح له الحال واستدعى نصرا الحاجب وأدخله في المشاورة وتمكن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانُه عليه وقال له: الساعة تقول «أي شيء الرأي» بعد أن زعزعتَ أركان الدولة وعرّضتها للزوال بابعادك مونساً الذي يُناضل الاعداء ويدفع عن الدولة فمن يمنع الآن هذا الرجل

(١) وفي إطلاق كشمرد راجع كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٨٠

عن السرير ومن الذى أسلم رجال السلطان وقوادهُ وحُرمه وخدمه الى القرمطى سواك ؟ وقد ظهر الآن أمرُ الاعجمىّ الذى وُجد فى دار السلطان وانه انما كان صاحب القرمطى . وأشار نصر على المقتدر بمُكاتبة مونس بالتعجُّل الى الحضرة فأمر أن يُكتب بذلك ووثبت العامّة على ابن الفرات ورجمت طيارهُ بالآجرّ وركب المحسن من داره يُريد طياره فرجموه وضجت العامّةُ فى الطُرقات بان ابن الفرات القرمطى الكبير وليس يمنعه الا إتلاف أُمة محمد وتحرّكت العامّة فامتنعت من الصلاة فى المساجد الجامعة ذلك اليوم وارتجت بغداد باسرها من الجانبين (٢١٤)

وأشار ابن الفرات باتفاذ ياقوت الى الكوفة لضبطها لئلا تردها الهجريّة ويضمّ النهان الحجرية ووجوه القوّاد اليه وان كان الهجرى مقيماً سار لمُحاربته فتقدّم المقتدر الى ياقوت بالشخوص والى ابن الفرات بازاحة علته فالتزم ابن الفرات له ولولديه وهما المظفّر ومحمد والزيادة فى اقطاعهم وموائدهم ولمن ضمّ اليه أموالاً عظيمة

وخرج ياقوت بمضربه الى باب الكناسة وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجرى الى بلده فوقع الى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه الى الكوفة

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضافر على ما فيه الصلاح للدولة وكفاية الهجرى . ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم يتأخر عنه احد وركب اليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لاحد قبله فلما عرف مونس خبره خرج الى باب داره وتلقاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل وصعد اليه من طياره حتى هناه بمقدمه فلما خرج

لينصرف خرج معه مونس الى أن نزل الى طياره (٢١٥)

﴿ ما عامل به المحسن المنكوبين لما اضطرب أمره وأمر أبيه ﴾

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجرى بالحاج من المنكوبين ونظر الى سقوط حشمته فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من اداء المصادرين وفاز به فنصب أبا جعفر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى العزاقر (١) وكان هذا يدّعى من حلول اللاهوت فيه ما ادّعاه الحلاج وكان المحسن قد عنى بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدّام على الدماء من أهل البصرة فسلم المحسن الى صاحب ابن الفرات هذا البصرى جماعة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب بن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر انه يطالبهم بما بقى عليهم من المال فلما حصلوا فى يده ذبحهم كما يذبح الغنم . وكان جماعة مستترين فكتب ابن الفرات اليهم كتبا جميلة حتى ظهروا ثم صادرهم واستخرج منهم أموالا كثيرة

﴿ ذكر القبض على أبى الحسن بن الفرات وهرب ابنه المحسن (٢١٦) ﴾

واشتدّ الارجاف بابن الفرات حتى استتر أولاده وكُتابه فراسله المقتدر على لسان نسيم . فحكى أبو القاسم ابن زنجى انه كان بين يديه اذ جاءه نسيمٌ فتقدّم اليه فادى الرسالة التى كانت معه فسمعتُه يقول فى جوابها (٢)

---

(١) ليراجع رسالة الخليفة الراضي بالله الى نصر بن أحمد الساماني بقتل العزاقرى وردت في ارشاد الاريب ١ . ٢٩٨ فى ترجمة ابن أبي العون وما رواه ثابت بن سنان فى عناية المحسن به . وفى العزاقرية ليراجع قصة الوزير المهلبي مع هذه الفرقة بالبصرة في سنة ٣٤٠ وردت في الكامل لابن الاثير ٨ : ٣٧٢ (٢) راجع وزراء : ١٢٥

قل له : أنت تعلم يا أمير المؤمنين انى عاديتُ فى استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجتُ لك المال من الدنى والشريف وبلغتُ غاية ما أمكننى فى تأييد دولتك ولم أفكر فى أحد مع سلامة نيّتك وما قرّبنى منك واجتلب لى حُسن رأيك فلا تقبل فىّ قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويُغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك الى ما تُذَمّ عواقبه وبعد فطالعى وطالعك واحدٌ وليس يلحقني شيء الا يلحقك مثله فلا تلتفتُ الى ما يُقال فقد علمت الخاصّة والعامة انى أطلقت للرجال النافذين الى طريق مكة ما لم يطلقهُ أحدٌ تقدّمنى واخترت رؤساء الجند والقوّاد وشجعان الرجال وأزحتُ العلة فى كل ما التمس مني لحدث من قضاء الله عزّ وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفى بالله رحمه الله [1] فما أنكره [٢١٧] على وزيره ولا ألزمهُ جريرته ولا أفسدَ عليه رأيه . . . وتكلم فى هذا المعنى بما يُشاكله وانصرف نسيمٌ والغلمان بانصرافه .

واحتدت الاراجيف وكثرت بابى الحسن ابن الفرات والمحسن ابنه وأراد المقتدر ان يسكن منهما فكتب اليهما رُقعة يحلف فيها على ما هو عليه لهما وما يعتقده من الثقة بهما وانه ينبغى لهما ان يثقا بما تقرر فى نفسه من مُوالاتهما وأمرهما ان يظهرا رُقعته اليهما لاهل الحضرة ويكتب بنسختها الى جميع عُمّال الحرب والخراج في البلدان

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسّن الى الدار فوصلا الى المقتدر فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرة ولما خرجا أجلسهما نصر الحاجب [٢]

(١) يعني في سنة ٢٩٤ فيها أوقع بالحاج ذكرويه بن مهرويه القرمطي : طبري ٣ : ٢٢٦٩ (٢) وزراء ص . ٥١

وكان راسل الغلمان الحجريّة المقتدرَ فى القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم ثم أشار عليه بتأخير الامر وقال له : ان صرف الوزير بكلام الاعداء خطر وخطأ فى التدبير وإطماع للغلمان . فامره ان يقدّم الى نصر بإطلاقهما ويُعرّف الغلمان ان الامر يجرى فيما راسلوه على محبتهم فقدم مفلح وقال : لينصرف الوزير . فأذن نصر للوزير وابنه فى الانصراف [٢١٨] فقام ابن الفرات فى الممرّات كالمهزول حتى وصل الى طيّاره وكذلك ابنه المحسّن فلما وصلا الى دار الوزير دخل اليه المحسّن فسارّهُ اسراراً طويلا ثم خرج من عنده وانصرف الى منزله وجلس فيه ساعةً وتقدم بما أراد ثم خرج فاستتر . وجلس أبوه غير مكترث ينظر فى العمل وبين يديه وجوه الكُتاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشككوا فيما بلغهم من صورة الامر لما رأوه من نشاطه وانبساطه وجريه على رسمه فى الحديث والأُنس والامر والنهى . وتحدّث بعض خواصه قال : سمعتُه يقول فى اخر الليل وهو فى مرقده يتمثل بهذا البيت

وأصبحَ لا يدرى وان كان حازما أقدّامُهُ خيرٌ له أم وراؤهُ

فدل ذلك على سهره وتفكّره فى أمره . وجلس من الغد ينظر فى أمره قال أبو القاسم ابن زنجى : فبينما هو كذلك اذ وردت رُقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفت ممن هى فى الوقت ثم عرفت انها كانت من مفلح . ثم وردت رُقعة أخرى من رجل يجري مجرى الجند كان ملازما لدار السلطان فلما قرأها أمسك [٢١٩] قليلا ثم دعا بحجي قهرمانه فاسرّ اليه بشيء وانصرف ثم صرف الناس ووعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه الى دور حُرمه وتفرّق الناس . فلما صرت الى الروشن ذكرت شغلا علىّ كان

شغلني به فانصرفتُ وجلستُ لذلك فاذا بنازوك قد دخل عليه سيفُهُ وبيده دبُّوسٌ واذا بيلبق يتلوه وهُما بخلاف ما اعهدهُما من الانبساط ومع كل واحد منهُما نحو خمسة عشر غلاما بسلاح . فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا الى دار حرمه فاخرجوه منها حاسرا وأجلس في طيّار وحُمل الي دار نازوك وقبض معه على ابنيه الفضل والحسين ومن وُجد من كُتّابه .

ومضى نازوك ويلبق الى مونس المظفّر وعرّفاه الخبر وكان قد خرج الى باب الشمّاسيّة وأظهر انه خرج للنزهة فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قوّاده وذهب يلبق الى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هُناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصب وطرحه على رأسه لانه كان حاسراً . فلما رأى ابن الفرات مونسا أظهر الاستبشار (٢٢٠) بحصوله في يده فاجلسه معه في الطيار وخاطبه بجميل مع عتاب فتذلل ابن الفرات وخاطبه بالاستاذية فقال له مونس : الساعة تخاطبني بالاستاذية وبالامس تخرجني على سبيل النفي الى الرقة والمطر يُصبّ على رأسي ثم تذكر لمولانا أمير المؤمنين اني أسعى في فساد مملكته . وانحدر به الى دار السلطان وتقدّم بحمل ولديه وكتابه اليها وتسليمهم الى نصر

فتكاثر العامّة على ابن الفرات ومعهم اسباب المنكوبين يدعون عليه ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورجوا طيار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا « قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير » ولما وصلوا الى باب الخاصة صعد جمع عظيم من السميريات لرجم ابن الفرات وولديه وكتابه بالآجُرّ حتى حوربوا واجتيج الى رميهم بالسهام وجرح بعضهم فانصرفوا وتسلّمهم نصر .

فكانت مدّة ابن الفرات فى هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . ثم اجتمع وجوه القوّاد الى دار السلطان وأقاموا [٢٢١] على ان ابن الفرات ان حبس [١] فى دار الخلافة خرجوا باسرهم الى المصلى وأسرفوا فى التهدُّد فدعا المقتدر مونسا ونصرا وشاورهما فاشارا بتسكين القواد وبان يخرج ابن الفرات ويسلّم الي شفيع اللؤلؤي ويعتقل عنده فاستحضر شفيع وسلم اليه

﴿ ذكر توصُّل أبى القاسم عبدالله بن محمد بن عبيدالله الخاقاني الى الوزارة ﴾

كان أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقانى استتر فى أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد العلة وقد أسنّ وتغير فهمه [٢] ولما اضطرب أمر ابن الفرات عندماجرى علي الحاج ماجرى سعى عليه أبو القاسم الخاقانى وعلى ابنه المحسن وعمل لهما عملا وسعي له فى ذلك نصر الحاجب وثمل القهرمانة وغيرهما . وكان مونس أشار بابى القاسم الخاقانى قبل ذلك فقال المقتدر : أبوه خرب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن تقلد الحسين بن أحمد الماذرائى . فعرّفه مونس انه قد نفذ الى مصر وان استحضاره يبعد . ثم ساعده نصرٌ وابن الخال [٢٢٢] فى ذلك ثم استحضره المقتدر وشافههُ بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهرون بن غريب الى داره

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر ابن الفرات واسبابه بعد تقلد أبى القاسم الخاقانى الوزارة ﴾

ذكر أبو الحسن انه سلم الى شفيع كما ذكرنا فراسلهُ شفيع على يد المعروف بالجمل كاتبه فيما يبذلهُ من المصادرة عن نفسه ليسلم من اعدائه

(١) وفى الاصل جلس (٢) يراجع فيه صلة عريب ١٢٠

ومن تسليمه الى الخاقاني وأبي العباس بن بعد شرّ وهو كاتب الخاقاني فاجابه ابن الفرات بانه لا يفعل أو يثق من المقتدر بالله في حفظ نفسه من تسليمه الى أحد من هذه الطبقة . وقال للكاتب الملقّب بالجمل : قل لصاحبك [1] « اني قد خلفتُ في يد هرون الجهبذ وابنه مائة ونيفاً وستين ألف دينار حاصلة قبلهما من مال المصادرين » ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها الى بيت مال الخاصة من وقته هذا حتى لا يوهمه الخاقاني انه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها ان ينفق من بيت مال العامه . فركب شفيع للوقت وأنهى ذلك الى المقتدر [٢٢٣] فوجه الى الجهبذَيْن وكانا في دار الخاقاني لم يُكلّمهما بعدُ لتشاغله بالتهنية فاحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصححاه في بيت مال الخاصة .

وقدّم المقتدر الى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكُتّابه وأسبابه الى الخاقاني فسلمهم اليه وأخذ خطهُ بتسلمهم وسلمهم الخاقاني الى ابي العباس ابن بُعد شرّ فقيدهم واجلسهم على الارض في الحر الشديد . ثم أخذ خطّ كلّ واحد من ولدي ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن ابراهيم [2] بمائتي ألف دينار وخط أبي غانم كاتب المحسن بمائتي ألف دينار ووقع النداء على المحسن وهشام وابني فرجويه والتهديد لمن وُجدوا عنده بعد النداء بالنهب واحراق المنازل وضرب ألف سوط . وواقف

(١) راجع وزراء : ١٢٤ (٢) هوالتستري أبو الحسين (وقال ياقوت أبو الحسن) كان نصرانيا من صنائع بني الفرات هو وأبوه يلزم السجع في كلامه وله كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب رسائل الفتوح كذا في الوافي بالوفيات للصفدي

أبو الحسن شفيعا على ان يضمن عنده مالاً ان رُدّ الى دار السلطان ولم يسلم الى أحد فذهب شفيع فخاطب فى ذلك المقتدر فقال له المقتدر : ان مونسا ونصرًا وهرون بن غريب قد اجتمعوا على انه لا يمشي للخاقانى أمرٌ الا بتسليم ابن الفرات اليه وضمن ان يستخرج منه ومن ابنه واسبابه[٢٢٤] ألفى الف دينار .

فانصرف شفيع ووجه الى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له فقال هذا الكاتب وهو الملقّب بالجمل : كنتُ أدخل الى ابن الفرات فى كل يوم لتفقُّد أحواله فكنتُ أجده اقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر (قال) ولقد سألنى عمّن تقلد الوزارة فعرّفتُه[١] أنه أبو القاسم ابن أبى على الخاقانى فقال « السلطان نكب ومانكبت أنا » وسلنى عمّن تقلّد الديوان (يعني ديوان السواد) فقلتُ : محمد بن جعفر بن حفص . فقال « بحجرِه رُمى » وسألني عمّن تقلد باقى الدواوين فعرّفته أنهم يحيى بن نُعيم المالكى ومحمد بن يعقوب المصرى واسحق بن على التنّائى فقال « لقد أيّد الله هذا الوزير بالكفاة »

وكان المُناظر لابن الفرات ابن بُعد شرّ فرفق به فوعده ان يتذكر ودائعَهُ ويُعرّفه اياها فعاوده بالرفق فأقرّ أن له عند التجار مائة وخمسين ألف دينار وكان المقتدر رسم أن يكون مال مُصادرة ابن الفرات وحده يُحصّل فى بيت مال الخاصّة ومال مصادرة أسبابه فى بيت مال العامّة . ولما[٢٢٥] استُخرج ما ذكره ابن الفرات من التجار أعاد ابن بُعد شرّ مطالبة ابن الفرات فذكر أنه لم يبق له مالٌ فاوقع به مكروهاً يسيراً ولم يكن ابن

(١) وزراء ١٢٤

الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعدَ وامتنع دفعةً واحدة من أداء شيء . فمضى هرون بن غريب الى المقتدر وعرّفه أن الخاقاني جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات الى ابن بُعد شرّ وانه كان ينبغي أن يرفق به ويُداريه فانه ممّن لا يستجيب بالمكروه فتقدّم المقتدر الى الخاقاني بان تكون مُناظرة ابن الفرات بحضرة هرون بن غريب وان يرفق به . وكان ابن بُعد شر قد ضيّق على ابن الفرات في مطعمه ومشربه حتى أنه أدخلَ اليه خبز خُشكار وقثاء وماء الهواء فوجه اليه بطعام واسع وشراب وثلج كثير وفاكهة واعتذر اليه عمّا جرى وحلف أنه لم يعلم بما عُومل به

ثم أن الخاقاني راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى برفق ومداراة بان يقوّ بماله ولا يلاجّ السلطان فليس ذلك بمحمود فأجابه بان قال : قُل للوزير « لست حدثاً غرّا فتحتال عليّ في المناظرة ولست [٢٢٦] أقول اني لا أقدر على المال ولكن اذا وثقت لنفسي بالحيوة فديتُها بالمال وانما أثق بذلك اذا كتب أمير المؤمنين بخطّه لي أماناً وشهد الوزير والقُضاة بخطوطهم ويكتب لي الوزير أيّده الله أماناً بخطّه ويسلّمني الى أحد رجلين إما مونس المظفّر وان كان عدوّي وإما شفيع اللؤلؤي فان لم يفعل ذلك فقد وطنتُ نفسي على التلف . فوجّه اليه الخاقاني : بانى لو قدرتُ على التوثق لك لتوثّقتُ ولكن ان تكلّمتُ في هذا المعنى عادانى خواصّ الدولة لاجلك ثم لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفةُ أمرَك الى هرون بن غريب . فتواعدوا الى دار الخاقاني بالمُخرّم واستحضر ابن الفرات وناظرَهُ ابن بُعد شرّ بحضرته فتماتن ابن الفرات فبدأ ابن بُعد شرّ يُسمعهُ المكروه فأنكره هرون وزبره وقال : بهذا تريدُ ان تستخرج مال ابن الفرات ؟ واقبل هو على ابن

الفرات وداراهُ وخاطبَهُ بجميل وقال له : أنت أعرف بالامور من كلّ من يخاطبك والخلفاء لا يُلاجّهم وزراؤهم اذا سخطوا عليهم . فقال له ابن الفرات: أشر عليّ أيّها الامير فان من كان في مثل حالي عزب عنه الرأي . فلم يزل معه في مناظرات الى ان أخذ [٢٢٧] خطّهُ بمصادرة التي ألف دينار على ان يُعجّل منها الربع وعلى ان يحتسب له من الربع بما أدّاه وما أُخذ بعد ذلك مما لعلّه استُخرج من ودائعه بغير إقرار منه ويطلق له بيعُ املاكه ومايستبيع من ضياعه وأمتعته وينقل الى دار شفيع اللؤلؤي أو غيره من ثقات السلطان ويطلق الكلوذاني ليتصرّف في جمع أمواله وتطلق له الدواة[1] ليكاتب من يرى مكاتبته . فأخذ هرون بن غريب خطّهُ بجميع ما كتب به وحمله الى المقتدر بالله

﴿ ذكر اتّفاق سيئ اتّفق على المحسن حتى ظفر به وصودر وقتل ﴾

كان المحسن استتر عند حماته حنزابة وهي حماتُهُ ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحملهُ كلّ يوم بكرة الى المقابر في زيّ النساء وتردّهُ الى المنازل التي تثق بها بالليل . فمضت به يوما الى مقابر قُريش في زيّ النساء على رسمه وأمست فبعُد عنها الطريق الى الكرخ . فوصفت لها امراة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لان زوجها مات منذ سنة فصارت حنزابة مع النسوة والمحسن [٢٢٨] الى هناك فقالت لصاحبة الدار : ان معنا امرأةً لم تتزوّج بعد وقد عادت من مأتم وضاقت عليها فافردي لها بيتاً . فافردت لها بيتاً في صُفّةٍ وادخلت اليه المحسن ثم ردّت عليه الباب وجلس النسوة مع المحسن في البيت . فجاءت جارية سوداء بسراج

(١) في الاصل الدواء

معها فوضعته فى الصفّة وأدخلت حنزابة الى المحسن بسُوَيق وسُكّر وكان المحسن قد نزع ثيابهُ فاطّلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعُر المحسن ولا حنزابة فى البيت وعلمت انه رجلٌ فانصرفت وأخبرت مولاتها فلما جن الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسن . وكان ذلك من نحس المحسن وخذلان الله اياه لأن تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل على بن عيسى وكان المحسن طلبهُ فأدخل الى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فُجأةً من غير ان يكلمه المحسن . فمضت المرأة فى الوقت الى دار السلطان حتى وصلت الى دار نصر الحاجب وشرحت له الصورة فأنهى نصر الحاجب الخبر الى المقتدر بالله فتقدّم بالبعثة الى نازوك ليركب الى الموضع ويقبض على المحسن فركب (٢٢٩) نازوك من وقته الى الموضع وكبسه وقبض على المحسن . وضُربت الدبادب لذلك نصف الليل عند الظفر به حتى ارتاع الناس ببغداد وظنّوا ان القرمطى قد كبس بغداد

وحمل المحسن الى دار الوزارة بالمخرّم وتسلّمه ابن بُعد شرّ [فأوقع به ابن بُعد شرّ وجرّعهُ] فى وقته مكروهاً عظيماً وأخذ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار . وحضر هرون بن غريب دار المخرّم وناظر المحسن فوعدهُ ان يتذكّر ودائعه ويقرّ بها ولحقه فى يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهمٍ واحدٍ وقال : ليس يجمع بين نفسى ومالى . وحضر بعد ذلك هرون بن غريب ومعه شفيع اللؤلؤى وأحضر المحسن والكتّاب وابن بعد شرّ وناظر المحسن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له : هبك لا تقدر ان توفى المال الذى أخذ خطّك به لا تقدرُ ان توفى مائة ألف دينار ؟ فقال له :

بلى اذا أمهلت وزال عنى المكروه . فقال له : نحن نمهلك فاكتب خطك بمائة ألف دينار . وثبت بذلك خطه وانه يؤديها فى مدّة ثلاثين يوماً فلما قرأ هرون بن غريب الرقعة قال : كأنك ترجو ان تعيش ثلاثين يوماً . فخضع له المحسن وقال له : [٢٣٠] افعل ما يأمر به الامير . قال : اكتب بانك تؤدّيها فى مدّة سبعة أيام . فارتجع الرقعة ليكتب بدلها فلما حصلت فى يده مضغها وبلعها وامتنع ان يكتب غيرها . فقيّد وغلّ وألبس جبة صوف وضرب على رأسه بالدبابيس على ان يكتب ما كان كتبه فلم يكتب فأعيد الى محبسه وعذّب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدرهم واحد .

فلما كان بعد ذلك حضر الاستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب مجلس الوزير الخاقانى وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقانى ولم يكن الخاقانى من رجاله وكاد أبو الحسن ابن الفرات ان يأكله فكان فيما قال له : انك استغللت ضياعك فى مدّة أحد عشر شهرا ألف ألف دينار . فقال : قد كانت هذه الضياع في يد على بن عيسى عشر سنين أيام وزارته وأيام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها الاّ أربعمائة ألف دينار فقد ادّعيت لى المعجزات . فقال له : أضفت حقوق ضياع السلطان الى ضياعك . [١] فقال : الدواوين لا يمكن ان يكتم ما فيها فتنظر فى ارتفاع النواحى السلطانية فى أيام نظرى فيها وفى ارتفاعها أيام على بن عيسى ووزارة [٢٣١] حامد بن العباس ووزارة أبيك التى دبّرتها أنت حتى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيامى أم نقصت .

ونوظر فيمن قتل وشنع عليه بهم فقال : ليس يخلو ذلك من أحد

(١) فى كتاب الوزراء (٥٧) قد أضفت الى حق الرقبة حقوق بيت المال

أمرين اما ان يقال انى أنا قتلتهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لم ينسب الىّ والمدّعى قتله بالبعد منها واما أن يقال « كتبتَ خطّك بقتلهم » وهؤلاء أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمّال الخراج ووجوه متصرّفى عمّال السلطان قد حكّمتهم على نفسى . فقيل له : قد قتلهم ابنك . فقال : انا غير ابنى وأنتم تناظرونى . فقال له ابن بعد الشرّ (كذا) : اذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم . فقال له ابن الفرات : هذا غير ما حكم الله ورسوله فانه عزّ وجلّ يقول : (ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى) . وقال النبى عليه السلام لرجل من أصحابه : أهذا ابنك . فقال : نعم . قال : أما انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه . ومع هذا فهو فى أيديكم سَلُوه فان وجب عليه قَودٌ بادّعاء قتلٍ فى موضع ناء عنه يقال فيه ان غيره تولّى قتله فالحكم فى هذا معروف .

فتحير القوم فى الجواب فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب : ان رأى الحاجب ان يقول له : حيث كنت تقول لمن تطالبُهُ « ان ادّيتَ والاّ سلّمتُكَ (٢٣٢) الى المحسّن » أكنت تُسلّمهُ ليسقيَه السويق والسكّر أو ليُعذّبه ومن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل لان الانسان قد يتلف بمقرعةٍ واحدةٍ يُضرَب بها فضلاً عن غيرها . فخاطبَهُ نصر بذلك فقال فى الجواب : ان الخليفة أطال الله بقاءه ولّى المحسّن وأنا اذ ذاك محبوس وهو مُطلَقٌ فضمن ماضمنه وجرى ذلك على يد مُفلح وتوسطه جماعة من ثقات السلطان . ثم لما تقلّدتُ الامر كنتُ أحبّ الرفق بالناس واذا ناظرتُهم ورفقتُ بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فاذا أقاموا على الامتناع سلّمتهم الى مَن نصبَهُ السلطان وأمر بتسليمهم اليه . فقال له مونس : كانك تُحيل على الخليفة فى قتل الناس فان الخليفة قال « ما أمرتُ بقتل أحد سوى ابن

الحواري فقط »

ثم أقبل نصر عليه فقال له : معي رسالة من الخليفة اليك فتسمعها وتُجيب عنها . قال : وماهي . قال : يقول : سلّمتُ اليك قوما بمال ضمنتهُ لي وأريد منك أحد أمرين اما وفّيتني المال أو رددت عليّ القوم . فقال ابن الفرات : اما المال فقد صح في بيت المال واما الرجال فما ضمنتُ أرواحَهم ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف انافهم . فقال له مونس المظفر : هب ان لك في كل شيء عذرا وحجّة أي عُذر[٢٣٣] لك في اخراجي الى الرقة حتى كانى من العُمّال المصادرين أومن أعداء دولة أمير المؤمنين . قال : انا أخرجتُك ! قال : فمن أخرجني ؟ قال : مولانا أمرني باخراجك . قال : مولاى لم يأمر بذلك . قال : معي حجة بخطه كتب اليَّ رُقعة احتفظت بها لانها بخطه يشكو فيها أفعالك وقتاً بعد وقتٍ وفحلك البلدان بالمؤن الغليظة ثم اغلاقك اياها بسوء تدبيرك واثارك القبيحة . قال : وأين الرقعة . قال : في أيديكم في جملة المهمات التي أمرتُ بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطي بالتحفظ به من المهمات وفيها الامر باخراجك الى الرقة والتوكيل بك حتى تخرُج . فامر الخاقاني باحضار السفط فوجده مختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه الرُقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخط المقتدر فاخذها . ومضى مونس من وقته الى المقتدر حتى لقيه وأقرأه الرُقعة فاغتاظ المقتدر على ابن الفرات غيظا شديدا فامر هرون بضربه بالسوط فمضى هرون حتى ضرب ابن الفرات بين الهنبازَين خمس درر فقط وقال له : ياهذا اذعنْ بمالك . فاعطى خطّه بعشرين الف دينار وقال : هذا مالى .

ثم أخرج المحسن[٢٣٤] في الوقت فضربه ضرب التلف فلم يذعن

بشيء بتة فصار هرون بن غريب الى المقتدر بالله واستعفي من مناظرة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم ليس فى عزمهم ان يؤدُّوا شيأ البتة وقد استقتلوا . فامر بتسليمهما الى نازوك وبسط المكروه عليهما فاوقع نازوك بالمحسن أنواع المكاره حتى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه وضرب أبا الحسن ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس فلم يذعن بدرهم واحد واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقانى الوزير وقال له : مارأيت شيأ مما ضمنته من أموال ابن الفرات وابنه صحّ . فقال : لانه لم يترك والتدبير[1] وان ابن الفرات لما عدل به عن مناظرة الكتاب وسلم الى أصحاب السيوف يئس من الحياة فضنّ بالمال ونظر اليه ابنه فاقتدى به . وقال نازوك للمقتدر . قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكاره الى الغاية حتى ان المحسن مع ترفه قد تدوّد بدنه وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يُسمَع بمثلها وقد مضت له الآن أيام لم يطعم طعاما وانما يشرب الماء شربا يسيراً وهو فى أكثر أوقاته مغشى عليه . فقال المقتدر بالله : اذا كان الامر كذلك فلا بد من حملهما الى دارى . فاظهر مونس (٢٣٥) والجماعة ان الصواب فى ذلك وقال الخاقانى : قد وفق الله [رأى] أمير المؤمنين . وخرجت الجماعة من حضرته

فسرّ الخاقانى اليهم وهم بعد مجتمعون فى دار السلطان وقال : ان حمل ابن الفرات الى دار الخليفة بذل أسبابه عنه وعن ابنه الاموال واذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل فى داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه . فاذا أمن على نفسه تضمن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها اليه ويطمعه فى ان يوفر أرزاقها واقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالا جليلة خطيرة . والوجه

(١) يعنى مع التدبير

ان يقع التجمّع من القوّاد واليمين على انهم ان وقفوا على ان ابن الفرات وابنه حملا الى دار الخليفة خلعوا الطاعة . فقال مونس : هذا شيء ان لم نفعله لم يصف لنا عيشٌ . وتجرد لهذه الحال هرون بن غريب ونازوك فجمعا القواد ووجوه الغلمان الحجريّة وكان يلبق يستحلفهم .

﴿ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن﴾

ثم اجتمعوا باسرهم الى مونس ونصر وأظهروا ما في نفوسهم فاشار مونس بان يلتمس القوّاد نقل ابن الفرات وابنه الى دار مونس فان مات المحسن استبقى أبوه فقال له [٢٣٦] هرون بن غريب : اذا مات المحسن لم يصلح ان يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قتل ابنه حتى يؤمن على الملك ؟ ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا باجمعهم : ان لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الاولياء باسرهم الطاعة . وواصل هرون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال : لستُ آمنُ أن يجتمع الاولياء على البيعة لبعض بني هاشم ثم لا يتلافى الامر . وأرادت الجماعةُ من الوزير الخاقاني التجريد في ذلك فقال : لستُ أدخل في سفك الدماء وانما أشرتُ بألاّ يحملا الى دار السلطان فاما قتلهُ خفيا لانه ليس ينبغي ان يُسهّل على الملوك ولا يُحسّن لهم قتل أحدٍ فانهم متى فعلوا ذلك خفّ عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى ذنبٍ وخطأٍ يكون منهم

فلما كان يوم الاحد لاثنى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاخر قُدّم الى ابن الفرات طعامهُ فأمر برفعهِ وقال : أنا صائمٌ . وحضر وقت الافطار فقدّم اليه لما حضر وقت الطعام فقال : لستُ أفطر الليلة . فحضر عنده من اجتهد به ان يفطر فقال : أنا مقتول في غد لا محالة . فقيل له : [٢٣٧] أعيذك

بالله . فقال : بلى رأيتُ البارحة أخى أبا العباس رحمه الله فى النوم وقال لى « أنت تفطر عندنا يوم الاثنين بعد غدٍ » وما قال قط فى النوم شيئا الاّ صحّ وغداً الاثنين وهو اليوم الذى قُتل فيه الحسين بن على صلوات الله عليه . فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين انحدر الناس الى دار الخليفة فلم يصلوا فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر : ان دعونى انظرْ فى ذلك . فكتبوا اليه : انه ان تأخّر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى .

وكتب المقتدر الى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤسهما الى حضرته فقال نازوك : هذا أمر عظيم لا يجوز ان أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر الاستاذين والخدم بالخروج اليه برسالته بإمضاء ما كتب به فخرجوا اليه بذلك فقال : لا أعملُ على رسالة ولا بدّ من مشافهة بذلك . وابن الفرات يراعى الخبر فلما قيل له ان الناس قد انصرفوا وان نازوك انصرف الى منزله سكن قليلاً ثم قيل له : ان نازوك قد عاد الى دار السلطان . فاضطرب جدًّا وصار نازوك الى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس (٢٣٨) فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلا فيها ووجّه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسّن . وصار برأسه الى أبيه فوضعهُ بين يديه . فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً وعُرض هو على السيف فقال لنازوك : ياأبا منصور ليس الا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين فى أمرى فان لى أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة . فقال له نازوك : قد جلّ الامر عن هذا . وأمر به فضُربت عنقهُ وحمل رأسه ورأس ابنه الى المقتدر بالله فأمر بعرضهما فغُرّقا فى الفرات وغُرّقت الجثّتان فى الثمانين ببغداد . وكان سنّ أبى

الحسن ابن الفرات رحمهُ الله يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهوراً وسنُ ابنه المحسّن ثلاثا وثلاثين سنة وقد كان حكم العاصمي المنجّم فى تلك السنة انه يخاف فيها على ابن الفرات نكبةً وتلفاً بالسيف وذكر ذلك فى مولده الذى كان بين يديه وحكم على مولد المحسّن ان عُمرَهُ ثلاث وثلاثون سنة فصحّ حكمه [1]

وفى هذه السنة ورد كتاب الفارقى من البصرة يذكر ان كتاب أبى الهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر انه كلّم أبا طاهر القرمطى فى أمر من استأسر من الحاجّ [٢٣٩] وسأل إطلاقهم فوعده بهم وانه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة امرأة . ثم وردت الاخبار بورود قوم بعد قوم الى ان كان آخر من ورد منهم أبو الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيّدة . وقدم بقدوم أبى الهيجاء رسول أبى طاهر القرمطى يستدعى الافراج عن البصرة والاهواز ونواحٍ أخر فأنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الانزال الواسعة ثم صرف ولم يقع اجابة الى شىء مما التُمس

وفيها خلع على نجيح الطولونى ورُدَّ الى أصبهان لولاية أعمال المعاون بها .

وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عُمَير ابن عبد الباقى ووصل الى السلطان وأوصلهُ معه هدايا والتمس الهُدنة والفداء فأجيب الى ذلك بعد الغزاة الصائفة وخلع عليهما ورجع الرسول الى بلد الروم

وفيها خلع على جنّي الصفّوانى وكان ورد من ديار مُضر واستدعى

---

(١) وفيما حكم به أبو معشر راجع كتاب الوزراء (١٦١) وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي توفى سنة ٢٧٢ : فهرست ٢٧٧

محاربة أبي طاهر القرمطي

وكان سليمان بن الحسن بن مَخلَد وأبو علي ابن مقلة مبعدَين بشيراز في يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي فذكر أبو علي انه كان مجتمعاً مع سليمان في دار [٢٤٠] واحدة مصونَين مُكرَمَين . فورد عليه الخبر بالقبض على ابن الفرات وكان أبو الحسين ابن أبي البغل معتقلا في يد صارفه جعفر بن القاسم الكرخي قال : فاطّلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل قد وقف على ما كان رسمه ابن الفرات والمحسِّن في أمره فحين وقف على الخبر وقّع في حاشية التقويم : وفي هذا اليوم وُلد محمد بن أحمد بن يحيى وله احدى وثمانون سنة .[1] ولما وقف الكرخي على الخبر أطلق أبا علي ابن مقلة وسليمان بن الحسن وهنّأهما بالسلامة قبل ان يرد عليه كتاب باطلاقهما . ثم ورد كتاب الخاقاني على المسمعي والكرخي باطلاقهما ومراعاتهما حتى لايخرجا من شيراز فأقام سليمان مدّة أسبوع حتى أحكم أمره . ودعا المسمعي جعفر بن القاسم الكرخي دعوة عظيمة وأقام على حال سرور يومين متواليين تخفي عنهما الخبر في خروج سليمان وكان خرج في زيّ الفيوج فلما كتبا الى الخاقاني بهرّب سليمان عظُم عليه واشتدّ الارجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مُستتراً . وأقام أبو علي ابن مقلة بشيراز الى ان توصّلت زوجتهُ الى أسباب الخاقاني وعنى به شفيع المقتدري وأمر الخاقاني باطلاقه [٢٤١] والأذن له في المصير الى الاهواز وكتب له بإجراء مائتي دينار في كلّ شهر عليه ومنعه من الخروج فأقام مدّة ثم أذن له في قدوم بغداد بشفاعات الناس له .

(١) يعني هو بنفسه أبو الحسين ابن أبي البغل وراجع وزراء : ٢٧٣

وفيها خاطب مونس المظفّر الوزيرَ الخاقانى فى أمر على بن عيسى وان يكتب الى أبى جعفر صاحب اليمن بالاذن له فى الرجوع الى مكة فكتب اليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل اليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد على بن عيسى الى مكة مع حاجّ اليمن فلما حصل بها قلّده الخاقانى بمسئلة مونس الاشراف على مصر والشام [1] . وكتب على بن عيسى لما وصل الى مكة وقبل تقلّده الاشراف على مصر والشام الى الوزير الخاقانى كتاباً يهنّئه فيه بالوزارة ويُعزّيه بأبى على ابيه ويسئله صيانة أهله وولده والعناية بهم فى ضيعته وتعيشته فأجابه الخاقانى بجواب جميل وانه قد رعى حقّه فى أهله وولده وحاشيته غير مُعتدّ عليه ولا مُتحمّد به

﴿ ذكر الاسباب التى اتّفقت على الخاقانى حتى صرف عن الوزارة ﴾ [2]

كان أبو العباس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسّن بنت حزابة فسأل ان يُولّى النظر [٢٤٣] فى أمرها واستخراج مالها ففعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها فى بيت مال الخاصّة فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة . وبلغ ذلك الخاقانى فحمل ابن بعد شرّ على ان بذل خطه انه يستخرج من الخصيبى مائة ألف دينار معجلة وصل اليه من مال المحسّن وزوجته زيادة على ماصححه من هذه الجهة وعرض الخاقانى الرُقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العباس الخصيبى فكتب الى المقتدر رُقعة يذكر فيها معايب الخاقانى وابنه وكتابه وضياع

(١) وعامل مصر يومئذ الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن بن عبدالوهاب . وزراء ٣٠٩ (٢) وأما ماجرى بينه وبين نصر الحاجب ومونس فليراجع فيه صلة عريب ١٢٣ : ١٢٦ ـ ١٢٤

الاموال وفساد التدبير وسلمها الى من يَعرضها على المقتدر والسيدة . وبلغ ذلك الخاقاني واشتدّت به الاراجيف وضعفت نفسه وكان عليلا فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على اكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم وزن أربعين درهما خبزاً ثم صار عشرين درهما وظهر به ورَمٌ في بدنه ورجليه ووجهه وكان يتجلّد ويركب في كل شهر مرة أو مرّتين الى دار السلطان وينوب عنه ابنه في أيام المواكب . فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا الى المصلّى فوُعدوا به وتأخر عنهم (٢٤٣) فعادوا وطمعوا في النهب وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج اليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله الى الخاقاني باطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك . فراسل المقتدر الوزير الخاقاني باطلاق نفقاتهم فذكر انه لا يقدر على ذلك وكان عليلا فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال في مائة ألف دينار ليضيف اليها مائتي ألف دينار ينفق فيهم . فأقام على انه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وان له في توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغلمان الحجرية والحشم وخلفاء الحجّاب شغلا طويلا . فتقدّم المقتدر باخراج ثلثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة واعتمد على ياقوت في تفرقتها

وكان مونس المظفر بواسط فاستدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافى وتلقّاه الامير أبو العباس والوزير الخاقاني ونصر وسائر الاستاذين والقوّاد ولقي المقتدر فعرّفه ضيق الاموال وتبلّح الخاقاني وشاوره في صرفه فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويُواقفه فلقيه مونس فعرفه الخاقاني انه لا حيلة له في شيء يصرفه في المهمّ واحتجّ بانه عليل لا فضل فيه للعمل فأشار مونس (٢٤٤) لما رأى تبلح الخاقاني الشديد باستحضار علي بن عيسى وتقليده

الوزارة فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيّدة والخالة بابى العباس الخصيبي فقبض على الخاقانى واستتر ابنه عبد الوهاب واسحق بن على القُنَّائى وأخوه وابن بُعد شرّ وخاقان بن احمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقون فكانت مدة وزارته سنة واحدة وستة أشهر

﴿ ذكر سبب وزارة أبى العباس الخصيبي ﴾

واستحضر المقتدر أبا العباس الخصيبي وهو احمد بن عبيد الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فقلده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هرون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر القواد واستكتبت ثمل القهرمانة مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمد وكان قد تاب من عمل السلطان فلما أسند اليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسماه الناس « المرتد » واستدرك أموالا جليلة كان الخصيبي أضاعها فتنكرت ثمل للخصيبي فى الباطن

وكان أبو العباس الخصيبي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم (٢٤٥) بالنهار فى أيام وزارته كلها واذا انتبه يكون مخموراً لافضل فيه للعمل فردّ فض الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقراءتها والتوقيع عليها واخراجها الى الدواوين وقراءة الكتب النافذة والتعليم عليها الى مالك بن الوليد ويعمل جوامع مختصرةً للمهمّ مما يرد وينفذ فيعرضه عليه اذا انتبه فربما قرأه وربما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج اسرائيل ويوقّع فيه على حسب رأيه . وكانت الجوامع تعمل بخط أبى سعيد وهب بن ابراهم بن طازاذ فتبقى اياما بحضرته فاذا كثرت تقدم بأن يقرأ عليه ويتقدم بالتوقيع تحت كل فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع الى مالك بن الوليد فيبقى عنده

يوماً أو يومين ثم يخرج الى صاحب الديوان فيقرأه ويوقع تحته بما يراه ويجاب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ الى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم عليه والى ان ينفذ الجواب ما قد تمرّدت البثوق واتسعت الفتوق واحتملت الاعراب الغلات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب

فلما رأى الكلوذانى ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب الى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها الى الوزير اليه (٢٤٦) فكانوا يكتبون اليه نسخا بما ينفذ منهم الى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج اليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر

وتقدم الوزير الخصيبي الى [أبي] الحسن بن ثوابة (١) بان يقرأ قصص المتظلمين ويوقع عنه فيها فى غير يوم المظالم ويجمع القصص فى يوم المظالم و يختصر مافى الرقعة فاذا قرأها وقّع بحسبه وكان اكثر اعتماده على اموال المصادرين وكان اول المصادرين ابو القاسم الخاقاني واعتنق مونس امره وذكر للمقتدر انه لا فضل فيه للحركة وانه قد قرر امر مصادرته عن نفسه وابنه وكتابه المختصين به على مائتى ألف وخمسين الف دينار . فامضى المقتدر ذلك وأنفذ خطه به الى الخصيبي ووضع الخصيبي يده على العمال والكتاب وجاذفهم فيما صادرهم عليه فصادر جعفر بن قاسم الكرخى على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هندى وورثة ابي احمد الكرخي (٢) والحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمرويه وأبى الحسن بن مابنداذ واسحق بن اسمعيل النوبختى ومحمد بن يعقوب

(١) هو محمد بن جعفر تقدم ذكره وفى ارشاد الاريب ٢ : ٣٧ هو أبو الحسين
(٢) هو الحسن بن محمد ويراجع فيه كتاب الوزراء ٨٢ ـ ٨١ : ١٦٩ ـ ١٦٨ : ٣٠٩

المصرى وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال [٢٤٧] وابن عبد الوهاب وعبد الله بن جُبَير وكثرت الاراجيف بالخصيبي وانه مصروف عن الوزارة لانه حمار لايُحسن شيئا غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وان الامور كلها ضائعة والمهمات واقفة وأرجف بالوزارة لجماعة

وفيها كانت وقعة أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بالكوفة وأسر قُوّاد السلطان

﴿ ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة ﴾

كان جعفر بن ورقاء يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة فلما شخص الحاجّ من بغداد تقدّمهم خوفا من أبي طاهر القرمطي وكان معه الف رجل من بني عمّه من بني شَيْبان . ثم خرج في القافلة الاولى مع صاحب البحر وفي قافلة الشمسة [١] جَنَى الصفواني وطريف السُبكري وسياشير الديلمي فكانت عدة من بذرَقَ بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل. فتلقاهم أبو طاهر الجَنّابي وكان أوّل من لقيَ جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً ثم طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نُجُب يقودون خيلاً فنزلوا عن النُجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهزم [٢٤٨] بمن معه من بني شيبان فلقي القافلة وقد نزلوا من العَقَبة فردّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مُبادرين حتى دخلوا الكوفة . وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتى بلغ باب الكوفة فخرج قُوّاد السلطان الذين ذكرناهم فاوقع بهم وهزمهم وأسر جَيّاً الصفواني . وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستة

(١) وفي صلة عريب ص ١١٩ . وأسر مازج الخادم صاحب الشمسة . . . وأخذت القرامطة الشمسة

أيام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبيت فى معسكره ويحمل كل ما قدر على حمله فكان فى جملة ماحمل أربعة آلاف ثوب وشيء وثلثمائة راوية زيت. فلما حمل كلّ ما قدر عليه رحل الى بلده

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين الي بغداد فتقدّم المقتدر بالله الى مونس بالخروج الى الكوفة لمحاربة القرمطي . واضطرب أهل بغداد اضطرابا شديدا وانتقل أكثر أهل الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ودخل مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الجنّابى عنها فاستخلف مونس بها ياقوتا وسار هو الى واسط . ولم يتمّ الحجّ لاحد

﴿ ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة [٢٤٩] ﴾

وفيها ورد الخبر بمسير على بن عيسي الى مكة حاجاً فى هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبهُ بغداد ومعه سفاتيج بمائة الف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرها وكان الخصيبي قد أقرّ علىّ بن عيسى على ماكان اليه من الإشراف على مصر والشام

وفيها فتح ابراهيم المسمعى ناحية القُفص وأسر منهم خمسة آلاف انسان وحملهم الى فارس

وفي هذه السنة كثرت الارطاب ببغداد حتى عُمل منها التُمور وحُملت الى البصرة فنُسبوا الى البغى [١]

وفيها كتب ملك الروم الى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج اليه ويقول : ان فعلتم ذلك طائعين والاّ قصدتكم فقد صح عندى ضعفكم

(١) وفى تاريخ الاسلام : أبيع كل ثمانين أرطال بحبة

﴿ ودخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

وفيها دخل الروم ملطية فاخربوا وسبوا وأقاموا ستّة عشر يوما

وفيها وصل ثمل الى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني وكان أطلق الى منزله فلما ارتفعت الصرخة[٢٥٠] بوفاته كبست داره لطلب عبد الوهاب ابنه فلم يُوجَد

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين مما نزل بهم من الروم

وفيها خرج أهل مكة منها ونقلوا حُرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطي بهم وأنه قريب منهم فتخوّفوا على أنفسهم وأموالهم منه .

وكتب الكلوذاني الى الخصيبي بان أباطالب زيد بن على النوبَندجاني قد صار يجرى مجرى أصحاب الاطراف وانه قد تغلب على ضياع السلطان وانه يلزمُهُ مما استغلّهُ منها ثلاثة آلاف الف درهم . وعمل بذلك عملا أحال فيه على ما كان كتبه أبو القاسم على بن أحمد بن بسطام وقت تقلّده فارس وكتب الى الحسن بن اسمعيل وكان شخص ليُقرّر خلافاً كان بين المسمعى والكرخي بان يُصادره على مائة ألف دينار فاستدعى الحسنُ بن اسمعيل أبا طالب زيد بن على وأخذ خطّه بمائة ألف دينار

﴿ ذكر تدبير سيء دبره الخصيبي أخرج به أكثر ﴾

(المماليك عن يده ولم يمكن تلافيه)

دبر الوزير أبو العباس الخصيبي أن يقلد يوسف بن ديوداذ جميع واحى المشرق ليُسلّم أموالها اليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وآذربيجان مضروفة الى قوّاده وجنده[٢٥١] وغلمانه وكاتبُهُ فى المصير الى واسط ليُنفذه الى هجر لمحاربة أبى طاهر الجنّابي وأشار بتكنيته وبان يكون مونس

المظفر ببغداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعظم الهيبة فى قلوب الاعداء .
فلما قرب ابن أبي الساج من واسط وكان فيها مونس المظفر رحل مونس الى بغداد ودخل ابن أبي الساج واسط . وأنفذ قبل وصوله اليها أبا على الحسن بن هرون كاتبه وكان يخدمه فى خاص أمره على سبيل الخلافة لابي عبد الله محمد بن خلف النيرماني كاتبه واختص به وخف على قلبه فصار الى بغداد ليواقف الخصيبي على مال رجاله وأموال الاعمال التي كانت معقودة عليه والاموال التي جعل مالها مصروفا الى رجاله زيادة على الاموال المتقدم ذكرها . فان الخصيبي جعل أموال الخراج والضياع بنواحي همذان وساوه ورُوزه وقم وماه البصرة وماه الكوفة والايغارين وماسبذان ومهرجانقذق لابن أبي الساج لمائدته لمحاربة الجنابي . فأمضى المقتدر ذلك وتقدم بتقليده أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بسائر كور الجبل وأنفذ اليه الالوية وكتبه فكان يوسف يتكنى (٢٥٢) على جميع الناس الا على الوزير ومونس المظفر . والتمس الحسن بن هرون أن يجعل لابن أبى الساج مائدة مبلغها فى الشهر خمسة الف دينار وقال : ليس هو بدون أحمد بن صُعلوك . وكان قد جعلت له مائدة فى أيام وزارة حامد بن العباس مبلغها ثلاثة آلاف دينار فى الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار في كل شهرين من شهور المماليك لارزاق غلمان لا يحضرون . وسام الكُتّاب الحسن بن هرون ان يشرط على نفسه أن ينفذ السلطانُ منفقاً يُنفق أموال تلك النواحي فى رجاله وغلمانه فاستجاب الى جميع ما طالبوه به وأعطى خطه الا بأمر المنفق فانه زعم ان صاحبهُ لا يصوّر نفسه عند أصحاب الاطراف بصورة من لم يوثق به على مال رجاله . ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل وندب لمحاربة القرمطي عقد

لصاحب خراسان على الرىّ فصار الى الرىّ وأنفذ اليه من يخاطبه على المال الذى وُقف على حمله من الريّ . وصار ابن أبي الساج الى الرىّ وحمل اليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلا بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً (٢٥٣)

﴿ ذكر الخبر عن القبض على الخصيبي وتقليد على بن عيسى الوزارة ﴾

أضاق أبو العباس اضاقةً شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلي ابن عيسى . فأنفذ ضحوة نهار يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة الى الخصيبي حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتّابه وحملوا الى دار السلطان وحُبسوا عند زيدان القهرمانة . وفرّق بين الخصيبي وبين ابنه وحمل باقى المعتقلين الى دار الوزارة بالمخرّم فاعتقلوا فيها وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبي حتى حفظت داره القديمة من النهب . واستدعى المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى وأوصله الى حضرته وعرّفهُ أنه قد قلّد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وانه قد استخلفهُ له ويقدم اليه بالنيابة عنه واستحضر سَلامة الطولونى وتقدّم اليه بالنفوذ فى البرية الى دمشق واستحضار على بن عيسى منها . وانصرف أبو القاسم الكلوذانى من دار السلطان فى الطيار الذى قُبض على الخصيبي الى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الاعمال وكتب الى العمال فى النواحى والى جميع الامراء وأصحاب البُرد والخبر والقضاة بما قلد على بن عيسى من (٢٥٤) الوزارة واستخلاف امير المؤمنين اياه . وأمر ونهى وصرف وولى

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن حنزابة وصارا الى الكلوذانى وسلما عليه

﴿ ذكر خلافة أبي القاسم الكلوذاني لعلي بن عيسى وتمشيته للأمور ﴾

قد كان جمع الخصيبي عنده جميع رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب وكان عنده خط كاتب المسمعي عن مال فارس بما يعجّله عن الزيادة في ضمانه وهو الف الف درهم وخطّ سليمان بن الحسن بما استدركه على ابني عبد الوهاب وهو اربعمائة الف دينار وكسر وما ضمن حملهُ عن اعمال الشام وهو خمسمائة الف دينار وخطوط ضمناء واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذئب الاسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم فحفظ جميع ذلك الكلوذاني الى ان قدم علي بن عيسى فسلّمهُ اليه

وأدّى نُصير بن علي اليه مائتي الف درهم وأحمد بن اسحاق بن زرَيق[1] عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيبي نيج بكتُب سليمان ابن الحسن وفي درجها سفاتج (٢٥٥) بثمانين الف دينار وورد ما كان حملهُ علي بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمّالي من تمّ عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبي علي ابن رُستم من مال الضمان سفاتج بأربعمائة الف درهم فكان ذلك سبب تمشيتهِ للامور . وأنفق الكلوذاني في سائر المرتزقة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو القاسم الكلوذاني يدبر الامور وقد تمكّنت الهيبة لعلي بن عيسى في الصدور فاستعان بذلك على أمرهِ . وسار علي بن عيسى من دمشق الى جسر منبج ثم انحدر في الفرات الى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمسة عشرة فمنهم من ابعد الى الرقة

(١) لعله « أحمد بن محمد » كما تقدم ص ٧١

﴿ودخلت سنه خمس عشرة وثلثمائة﴾

﴿ذكر مادبّره على بن عيسى فى وزارته هذه وماجرى فى أيّامه﴾

وصل على بن عيسى الى بغداد وبدأ بدار المقتدر ووصل الى حضرته بعد عشاء الآخرة ومعه مونس فخاطبهُ أجمل خطاب وانصرف الى منزله ووجّه المقتدر اليه فى ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال انه قيمة عشرين الف دينار وخلع عليه (٢٥٦) من الغد وسار معه مونس المظفر الى ان بلغ داره وحلف عليه على بن عيسى فنزل فى داره وسار بين يديه هرون ابن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد حتى وصل الى داره بباب البستان

وكان قد ضرّب علىُّ بن عيسى على هشام فتأخر عنه واستوحش فكاتبه ووعّدهُ حتى حضر مجلسه ثم قال له : ما مذهبى ان أذكر اساءة لاحد من الناس ولما خلّصنى الله من صنعاء وعدتُ الى مكة عاهدت الله على ترك الاساءة الى أحد ممن سعى علىّ فى ولايتى ونكبتى ووكّلت جميعهم الى الله ولك خدمة متقدّمة توجب لك حقاً وعليك اضعافه فان كنت لاترعي ذلك فلن ادع رعايتهُ

وقلد على بن عيسى الكاوذانى ديوان السواد وقال له : هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلت بخلافتي اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك . ثم نظم الأعمال وقلّد العُمّال ورتّب الدواوين (١) واعتمد على ابراهيم بن أيوب فى إثبات أمر المال بحضرته وفى موافقة صاحب بيت المال على ما يُطلقه وينفقه فى كلّ يوم ومطالبته بالروزنامجات (٢٥٧) فى كل اسبوع ليتعجّل

(١) وزراء ٣١٤

معرفة ما حلّ وما قبض وما بقي . وكان الرسم اذا عُملت الخَتمة لم يُرفع الى الديوان للشهر الاوّل الا في النصف من الثاني .

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حنزابة ديوان المشرق وأبابكر محمد بن جني ديوان المغرب وأبا علي ابن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة وأبا محمد الحسين بن أحمد [1] المادرائي ديوان الضياع الفراتيّة وأبا محمد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والاهواز وفارس وكرمان وما يجري فيه . وقلّد أبا القاسم ابن النفّاط ديوان زمام النفقات والخزائن وأبا جعفر القمّي ديوان الدار وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات وأبا الفتح محمد بن أحمد قلنسوه ديوان زمام الجيش ومحمد بن عيسى ديوان الحرَم وأبا يوسف ديوان الفص والخاتم .

وقلد أيضاً كفاة العمّال واقتصر في أرزاقهم على عشرة أشهر في كل سنة وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كل سنة . وحطّ من مال الرجالة برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق مَن كان يرتزق بهذين الرسمين (٢٥٨) من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح وحط أولاد المرتزقة الذين في المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الجلسا والندماء والمغنّين والتجار وأصحاب الشفاعات وحط أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين . ولازم النظر بنفسه في العمل ليلا ونهاراً والجلوس لاصحاب الدواوين في الليل وكان يسهر اكثر الليل حتى استقامت الامور وتوازن الدخل والخرج وكان الى أبي عبد الله البريدي في الوقت الضياع الخاصّة ضماناً واقطاع الوزراء وكان أبو يوسف البريدي يتولى لعلي بن عيسى الخراج

(١) هو «ابن كردي» صلة عريب ١٤٥ وقال صاحب التكملة أنه مات في سنة ٣٣٨

برامهرمز سهلها وجبلها

﴿ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن على بن عيسى ﴾
﴿ وبين أبي العباس أحمد بن عبيد الله من المُناظرة ﴾

تقدّم المقتدر الى أبي الحسن على بن عيسى بمُناظرة أبي العباس الخصيبي فأخرج اليه وناظره فى دار السلطان بحضرة الاستاذين والقُوّاد والقضاة مُناظرة جميلةً وسأله عن مبلغ ما صحّ له من الخراج والضياع وسائر النواحى فلم يعرفه وسأله عن مبلغ ما أنفق بالحضرة من بيت المال فلم يحفظه وسألهُ عمّا صحّ له من مال المصادرين وعن رقاعهم (٢٥٩) بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ماضمنه عنهم فقال : امّا المصادرات فقد صحّ لى منها فى مدّة أربعة عشر شهراً تولّيتُ فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار . فقال له : كم منها من جهة الخاقانى فان أمير المؤمنين عرّفنى انك ضمنتهم بخمسمائة ألف دينار . فقال : دفع عنه مونس المظفّر . فردت الجماعةُ قولهُ وقالوا له : قد سُلم اليك حتى شُنّع عليك بانك سممتهُ ثم أطلقتهُ . ثم قال له على بن عيسى : لاىّ شىء استحضرتَ يوسف بن أبى الساج الى واسط وسلّمتَ اليه أعمال المشرق بأسرها سوى أصبهان وكيف وقع لك انه يجوز ان يخرُج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه فى طريق البرّ يقصدون طريق السواحل فى بلدان حوالى هجر . قال : كان عندى ان هذا صوابٌ . فقال له : فحيث فعلتَ ذلك لِمَ لمْ تقتصر على ان يعرض رجالهُ وغلمانهُ ويُجرى مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المُظفّر فانه يُسبّب له مالٌ ويُطلق على أيدى مُنفقين من قبل السلطان ويُرفع الحساب بذلك الى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوانٍ منها دون جميعها ولا يُزاد أحدٌ

(٢٦٠) ولا يُنتقل عنه من رسم الى رسم الا على استقبال معروف ثم يُوفر المُعطون كل شهر من التوفيرات بسبب الغُرم ولاجل سُقوط من يسقط جُملة من المال ولِمَ لم تترك الاعمال فى أيدى عُمّال السلطان ويُسبَّب له عليهم مال رجاله كما يُسبَّب مال رجال أبى الحسن مونس المُظفَّر؟ قال : لم أفعل هذا لانه تكلَّف من هذا الامر عظيماً احتيج معه الى فضل مُسامحة . فقال له : فلاىّ سببٍ ضمنتَ ابراهيم بن عبد الله المسمَّى أعمال فارس وكرمان ؟ فقال : لاجل زيادة بذلها . فقال له : أما علمتَ ان حفظ الاصول أولَى من طلب الارباح ؟ وهَبْك رغبتَ فى الزيادة لِمَ لم تستدعه الى الحضرة فاذا ورَدَها واردتَ تضمينه أقام بها واستعمل على العمل خُلفاءهُ وأقام لك الضُمناء الثقات بالمال ومضى بعد ذلك . فقال : انما رغب فى الضمان ليعملهُ بنفسه . فقال على بن عيسى : أرجو ان يسلّم الله . ثم قال : لِمَ قبضتَ جارى ابنك محمد الفى دينار فى كل شهر وهو لا يقرأ كتاباً ولا يحضر ديواناً ولا يُحسن ان يعمل شيئا ؟ قال : سألتُ أمير المؤمنين له رزقَ المُحسّن وعبد الوهّاب بن الخاقانى (٢٦١) فأجابنى اليه . قال : المحسن رُبّي فى الدواوين ودبّر الامور وكان مع شرّهِ واستحلالهِ وقبح ديانته كاتباً وابن الخاقانى كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فَهِمٌ وابنك لايجرى مجرى واحدٍ منهما فاكتبْ خطك انك تردّ ما قبضتهُ . فقال : كيف أردُّ مالاً قبضه ابنى وأنفقهُ ؟ فقال له : على أى شئ أنفقهُ ؟ قال : على مايُنفق مثله الاحداث .

ثم سأله عن أموال المصادرين وما صح من جهتهم فقال : لا أحفظهُ الاّ انه ثابتٌ فى ديوان المصادرين . قال : فعنهُ أسألك . قال : هو عند هشام

وان سئل عنه خبّر به فان رقاع المصادرين والكفالات والاعمال فى يده . فقال له : ما سبقك أحدٌ الى تسليم خطوط المصادرين الى صاحب ديوان المصادرات لان سبيل الخطوط ان تكون فى خزائن الوزراء محفوظة يتسلمها وزيرٌ بعد وزير فان كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي ان تأخذ الخطوط على نسختين نسخة للديوان ونسخة تكون عندك . فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضُمناء هل كان على السلطان مضرّة [٢٦٢] فى هذا المال أعظم منك ؟ واذا كان هذا تدبيرك فيما لم تكن تحسن سواهُ فاىّ شيء دبّرت غيره من أعمال الدواوين ؟ فامّا أن تكون خُنتَ الامانة وإما ان لم تُحسن ضبط شيء من الاعمال . وكلّ ذلك يُخاطبه به عن غير إسماع مكروهٍ ولا صياح

ثم قال : غررت المملكة فضرب النساء والحُرم بالمقارع وهتكتَ الستور بما فعلتَ من تسليمهنّ الى الرجال فلاىّ حالٍ سلّمتَ بنت جعفر بن الفرات الى أفلح وهو رجلٌ شابٌ جميل الوجه يتصنّعُ حتى تزوج بها فى حبسك ولاىّ حالٍ ضربتَ دولةَ وابنها بحضرتك ثم لم ترض بذلك حتى اعتقلتَ الجماعةَ فى يد غلمانك وحجّابك عدّة شهور ؟ ثم قال : ارتزقتَ لنفسك خمسة الاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين الف دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذتَ من اقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ماثبت فى الخلّمات الموجودة لجهبذك في ديوانك مائة وثمانين الف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين الف دينار . ثم أخرج عملاً بخط على بن محمد بن روح بهذا المبلغ وبأنه انفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبة الفى وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين الف دينار [٢٦٣] وفى النفقات

الحادثة والصلات والمؤونة مع ثمن الطيب والكسوة عشرين الف دينار وفى ثمن عقارات أضافها الى داره مع ما أنفقهُ على البناء أربعين الف دينار وفي ثمن الهدايا فى النوروز والمهرجان الى الخليفة والى الأميرين أبى العباس وهرون ابنيه والى السيدة والخالة وزيدان ومفلح خمسة وثلاثين الف دينار وفي ثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان عشرة الاف دينار وفيما يحتاج الى إنفاقه وصرفه الى من برسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوّابين وأصحاب الرسائل وانزال الفرسان والرجّالة عشرين الف دينار

فقال في الجواب : هذا عملٌ صحيحٌ وليس كلّ ما أنفقتُهُ كتبتُه فقد كنتُ أصوغ لحُرمى وأولادى وانفق نفقات أسترُها عن كاتبي وما سرقتُ ولا خُنتُ . فقال له على بن عيسى : ما تقول أحد انك سرقتَ أو خُنتَ ولكنّك أضعتَ وأسأتَ التدبير ودخلتَ فيما لا تحسنه ولو أخذتَ أضعاف ما أخرجناه عليك لَمَا ناظرك أمير المؤمنين فيه لاسيّما وهو منسوبٌ الى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة لك وكيف تُناظرك فى ذلك وما نعيش [٢٦٤] ولا أحدٌ من كتّاب أمير المؤمنين الا فى نعمته وإحسانه ؟ ولنا ضياعٌ استفدناها فى خدمته وخدمة اسلافه رضى الله عنهم

ولم يزل يرفق به الى أن أخذ خطّه باربعين الف دينار يؤدّيها فى مدّة أربعين يوماً بعد أن حلف أنه لا يتّجهُ له حيلة فى غيرها وسلم على بن عيسى رُقعته بها الى مفلح وقال له : تعرضها على أمير المؤمنين وتقول : ان هذا وان كان قد غرّ من نفسه وأضاع وأهملَ فقد تحرم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بإيمان بيعتِهِ على أنه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنبٌ وانما الذنب لمن غرك منه ولم ينصحك فى أمرِهِ . ثم كتب رُقعة الى المقتدر بقبول ما بذله

الخصيبي وبحمله الى ثمل القهرمانة الى أن يُؤدَّى ما فُورِقَ عليه

﴿ ذكر ما دبّره على بن عيسى من الأمور فى وزارته هذه ﴾

لما نظر على بن عيسى فى الأمور وجد أهمّ ما يحتاج اليه أمر الرجّالة المصافية وكان مبلغ مالهم فى أيّامه ثمانين الف دينار ومال رجال مونس المظفر وهو ستّمائة ألف دينار فى كلّ سنة سوى مال الرجّالة معه ومال الحجريّة برسمه فانه يطلق [٢٦٥] مع أرزاق نُظرائهم . وكان يُسبَّب مالُ رجال مونس على نواح اختارها مونس فاذا ازاح العلّة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجّاب والحشم والمتطبّبين والفرسان برسم التفاريق والمنجّمين والفرّاشين والطباخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم . فخرج على بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب فى طياره فوثب به الخدم والحشم بألسنتهم وثوباً قبيحاً .

وورد الخبر على علىّ بن عيسى بأن ابراهيم بن المسمعى [١] اعتلّ علّةً حادّةً وتوفّى بالنوبَنْدَجان فأشار على بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبى طاهر محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان فخلع عليهما وعقد لهما لواآن . وكتب على بن عيسى الى القاسم بن دينار بالمبادرة الى فارس وقلّدهُ أعمال الخراج والضياع بها وقلّد ما كان اليه من أعمال الاهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ وابن السلاسل [٢]

(١) وأما ابراهيم وولده عبد الله بن ابراهيم الذى توفى سنة ٣٠٥ ليراجع صلة عريب ص ٦٩ (٢) قيل في كتاب الوزراء ٣٤٦ ان العامل بادوريا من قبل على بن عيسى هو ابن أبى السلاسل وفى تاريخ ميافارقين لاحمد بن يوسف بن على الفارقى ان والى ميافارقين من قبل المقتدر هو ابن أبى سلاسل

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : لما بلغ أبا عبد الله البريدي ما تقلده هؤلاء من أعمال الاهواز وما حولها قال : يقلد هؤلاء هذه الاعمال ويقتصر بأخي أبي يوسف على سُرّق وبي على ضمان الضياع (٢٦٦) الخاصة ! خذ يا أبا هشام هذا الكتاب (يعني الكتاب الوارد عليه بما قلد) واعطه ابنك حتى يمثل عليه ويتعلم منه الخط فان لطيلي صوتاً سوف تسمعه بعد أيام . وكان أبو عبد الله البريدي أنفذ أخاه أبا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الاهواز اذا تجددت وزارة لمن يرتفق : فان علي بن عيسى يعف ولا يرتفق

فلما تمت الوزارة لأبي علي ابن مقلة صار أبو الحسين الى أبي أيوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلد أخوه أبو عبد الله البريدي أعمال الاهواز سوى السوس وجند يسابور وقلد أبو الحسين الفراتية وأبو يوسف الخاصة والاسافل على أن يكون المال في ذمته الى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال وكتب أبو علي ابن مقلة في القبض على أبي السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه الى تستر حتى حصله وأسبابه . ووجد له في صناديقه وعند جهبذه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يصك بما كان عند الجهبذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفي دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار (٢٦٧) ومن حاجبه ألفي دينار . وكان أبو عبد الله البريدي احد دجالي الدنيا وشياطينها (١) ثم كثّر على أبي علي ابن مقلة بأنه أهّلهُ لما لا يستحقه فصرفهُ بابي محمد الحسين بن احمد المادرائي وقلده اشرافا وقلد الاصل جماعة من العمال فما أحلى أبو محمد ولا أمرّ وكان كاتبه علي بن يوسف وخليفته

(١) لراجع صفة البريديين في صلة عريب ص ١٣٨

صحبته من الحضرة فبان من تجلفه وسقوطه ماصار به نكالا وحديثاً

وحسبك ان أبا عبد الله البريدى أخذ عليه الطرقات فكان كل ما كتب به يؤخذ من رسله فما قرئ له كتاب منذ دخل الاهواز الى أن صرف عنها . ثم صرفه بعد ذلك أبو على بابى عبد الله البريدى وقال : اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كل من يصلح للكتابة ينفذ فى العمالة

وعدنا الى تمام حديث على بن عيسى وما دبره به الملكة . ولما أخرج اليه الارتفاعات كان فيها مبلغ ارتفاع لضياع أقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبة مائة وسبعين ألف دينار فكتب الى المقتدر بأنه غنى عن هذا الاقطاع وانه قد وفر ماله فان أمر ضيعته قد صلح وكذلك[٢٦٨] وقفه باعادته اياه الى خدمته وانه يُوفّر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفى دينار أجريت لابن الخصيبي سبعة آلاف دينار في كل شهر . وكتب اليه المقتدر بالشكر وانه لابد من أن يقبض الرزق على الرسم فحلف على بن عيسى انه لايقبض رزقا لهذه الخدمة لان مذهبه ترك التنعم[١]

وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذى فى الحاير وذبحوا البقر التى لاهل القرى التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا الى منازلهم

وفيها خلع على مونس للخروج الى الثغر لان ملك الروم دخل سميشاط وضرب فى مسجد الجامع بالنواقيس وصلى فيه الروم صلواتهم

﴿ وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

---

(١) راجع صلة عريب ١٣٢ - ١٣١

كان السبب فى ذلك ان خادماً من خدم المقتدر بالله حكى لمونس ان المقتدر تقدم الى خواص خدمه بحفر زُبية فى الدار المعروفة بدار الشجر من دار السلطان حتى اذا حصل مونس فيها عند الوداع اذا أراد الخروج الى الثغر حجب الناس وأدخل مونس وحده الى ذلك الصحن فاذا اجتاز على تلك الزبية وهي مغطاة وقع فيها ونزل اليه الخدم وخنقوه ويظهر انه وقع فى سرداب فمات . فامتنع مونس من دار السلطان وركب اليه جميع القواد والغلمان والحاشية وعبد الله بن حمدان واخوته وأكثر العرب وخلت دار السلطان من الجند . وقال عبد الله بن حمدان : نقاتل بين يديك أيها الاستاذ الى أن تنبت لك لحية . فوجه اليه المقتدر بنسيم الشرابى ومعه رقعة بخطه اليه يحلف له فيها على بطلان مابلغه فصرف مونس جميع من اجتمع اليه من الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب فى مثل ذلك وانه لاذنب له فى حضور من حضر عنده لانه لم يستدعهم . وامتنع ابن حمدان من الانصراف وحلف انه لا يبرح من دار مونس ليلا ونهاراً الى ان يركب معه الى دار السلطان ويطمئن الى سلامته ولازم مونساً أياما كثيرة . وانضاف الى ذلك ان اسحاق بن اسمعيل كان يسبب عليه مال مونس (٢٧٠) ومال رجاله فبلّح فيها . وكان على بن عيسى متنكرا له لاشياء بلغته عنه فى غيبته فشغب الفرسان لتأخّر أموالهم فجد على بن عيسى باسحاق بن اسمعيل واعتقله وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل احمد بن يحيى الجلخت كاتبه وعدّة من أصحابه حتى استوفى ذلك ثم صرفه عن أعماله

وجدّ بعمال السواد حتى صح له فى مدة ثلاثة أيام ما أنفقه فى أصحاب مونس . وكتب المقتدر الى جماعة من وجوه القواد بانه قد صفح عما كان

منهم فى نهب الثريا وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يفهم جماعة منهم ممن اتهم بذلك الى مونس المظفر لينحدر معهم الى حضرته فانحدر معهم ووصل الى المقتدر بالله وقبل الارض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودّعه مونس

وقرأ عليه على بن عيسى كتابا ورد عليه من وصيف البكتمرى بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من فى عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة . وخرج مونس من داره الى مضربه بباب الشماسية وشيّعه الامير أبو العباس والوزير على بن عيسى ونصر الحاجب وهرون ابن غريب (٢٧١)

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللفتيط الى الوزير على بن عيسى يلتمس فيه الهدنة

﴿ ظهور الديلم ﴾

وفى هذه السنة ظهر الديلم (١) وكان أول من غلب على الرىّ منهم بعد خروج ابن أبى الساج منها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكى ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لانه كتب اليه واستدعاه فمضى اليه وغلب على الرىّ اسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار احد قواده . وكان اسفار بن شيرويه لما غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلا وعسفهم عسفاً شديداً وخبطهم وأحل بهم من تسليط الديلم على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلا عن غيره ورقت القلوب منه وضاقت النفوس وبلغت الحناجر ويئس الناس من الحياة وتمنّوا

(١) راجع صلة عريب ص ١٣٧

الموت فخرج الرجال والنساء والاطفال الى المصلّى مستغيثين الى الله تعالى وراغبين اليه فى كشف ضرّهم فمضى لهم يومٌ على ذلك

وانهى الخبر الى أسفار فتهاون بالدُعاء فلما كان فى اليوم الثانى خرج عليه مرداويج فواقعهُ وهزمهُ (٢٧٢) فمرّ على وجههِ فتبعه يومه أجمع فلم يظفر به ولحقت أسفار عجاعة في اليوم الثانى فأوى الى رحى طحّان فى قرية وسأله أن يُطعمهُ فأخرج اليه خبزاً ولبناً وكان يأكل وأطلّ مرداويج على الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هُناك فوقف يتأمّل فرأى اكّاراً فتشبّث به وسأله عن أسفار فانكر وأرهبهُ فقال له : ما اعرفهُ ولكني رأيتُ فارساً قد دخل الى هذه الرَحَى وكبس مرداويج الموضع فوجده يأكل خبزاً فاحتزّ رأسهُ وعاد الى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وازال تلك المُطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب دعاءهم

ثم أن مرداويج ذهب فتغلب على الريّ وأصبهان واساء السيرة باصبهان خاصّة وتبسّط فى أخذ الاموال وانتهاك الحُرم وطغى وجلس على سرير ذهب دونه سرير فضة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جندهُ يوم السلام عليه صفوفاً بالبُعد منه. وسام مرداويج رجاله الخسف وكانوا يرهبونه رهبة عظيمة وكان يقول : انا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطين . وكان يغُضُّ من الاتراك (٢٧٣) غضّاً شديداً فساءت نيّاتهم له فطلبوا كيداً يكيدونه به وتمكّنت له فى نُفُوس الخاصّ والعامّ البغضاءُ وضجروا منه وضعُفت نفوس أهل مملكته فى أيّامه (قال) وركب يوماً فى موكب عظيم وخرج الى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحدٌ على القرب منه فكان العالَمُ يتعجبون منه ومن تمرّدهِ وطغيانهِ اذ اشتقّ

العسكرَ رجلٌ شيخٌ لا يُعرَف على دابة فقال : زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفنونه قبل تصرُّم النهار ويأخذه الله اليه. فلحقت الجماعة دهشة وتبلدوا * قال أبو مخلد عبد الله بن يحيى : وكنتُ فى الموكب فنظر بعض الناس الى بعض ولم ينطق أحدٌ منهم بحرف ومرّ الشيخ كالريح ثم قال النساس : لِمَ لا نتبعه ونستعيدهُ الحديث ونسئلهُ من أين علِمَ أو ناخذه ونمضى به الى مرداويج لئلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه . فركضوا يميناً وشمالاً الى كلّ طريق وسبيل فى طلبه فلم يُوجَد وكانّ الارض ابتلعتهُ

ثم عاد مرداويج ولم يلو على أحدٍ ودخل داره ونزع ثيابه ثم دخل الحمّام وأطال . وكان كورتكين قريباً منه وخصيصهُ يحرسهُ ويراعيه فى خلواته وحمّامه فأمره ان لا يتبعه وتأخر عنه مُغضباً . فتمكّن منه الاتراك (٢٧٤) وهجموا عليه فى الحمّام فقتلوه بعد ان مانع عن نفسه وقاتل بكرّ نيب فضّة كان فى يده فشقّ بعض الاتراك بطنهُ فلما خرجت حشوتهُ ظنّ انه قد قتله فلمّا خرج الى أصحابه قالوا له : اين رأسهُ ؟ فعرّفهم انه قد شق بطنه فلم يرضوا بذلك وعاودوه لجزّ رأسه . فوجدوهُ قد قام على سريرين فى الحمام وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيده وكسر جامة الحمام وعاونه قيّم الحمام وهمّ بالخروج من ذلك الموضع الى سطح الحمّام فلما رأوه كذلك حزّوا رأسهُ . فظهر أمرهُ بين الظهر والعصر بخروج الاتراك الذين كانوا معه الى رُفقائهم وإخبارهم اياهم بخبره وركوبهم الى الاصطبلات للنهب

﴿ وفيها ارتفع ذكر أبى جعفر بن شيرزاد وعنى به على بن عيسى ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان ابن شيرزاد كان يكتب لهرون بن غريب

وينظر فى جميع أموره فاطمع هرون فيه وقرّف بجنايات عظيمة فقبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٣١٥ وسلّمه الى خادمه مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعهُ من الدواة . فتأخّرت رُقعته عن أخيه أبى الحسن زكريا وكان يكتب للخالة على ديوان ضياعها فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك الى السيّدة فوجّهت السيّدة بخادم لها الى هرون حتى انتزعهُ من يده وحمله الى دار السلطان وتقدّمت باطلاقه . وخاطب هرون بن غريب على بن عيسى فى أمر ابن شيرزاد وقال له : قد كان اقترض منى للخاقانى أموالا كثيرة وأخذها تسبيبات وفازبها وقد عمل له المؤمّل كاتبى بمال عظيم وأنا أرضى بنظر ثقةٍ من ثقات الوزير فى العمل. فتقدّم الوزير على بن عيسى الى أبى يوسف كاتب السيّدة بالمصير الى دار هرون وحضر المؤمّل وكُتّابه فنظروا فى العمل .

فكان أوّل باب فيه انه وُجد فى دفترٍ من دفاتر ديوانه ثبت ما قبض من التسبيبات التى سبّبها الخاقانى لابن شيرزاد من مال القُروض التى اقترضها من مال هرون بن غريب وقد حكى فيه انه قبض خمسة عشر ألف دينار وانه لم يجد هذا المال فى ختمات الجهبذ الثابتة فى الديوان . وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبى الميمون فقال (٢٧٦) ابن أبى الميمون : قد صحّ فى ختمة الجهبذ ومع صاحبى خطّ الامير بقبضه اياه لانه حمله الى حضرته وصرفه فى ثمن دار المُحسّن التى أُبتيعت من وكيل الخليفة فى وزارة أبى القاسم الخاقانى . فأخرجت الختمة بعينها فوُجد ذلك فيها ووجد مُحرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كانّه تفصيل المال المتقدم وكان سبيلهُ ان يكون مُخرَجاً بارزاً عن التفصيل الاوّل. فوجد أبو يوسف

ومحمد بن جنّى الامر على ماقال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هرون بن غريب بصحّة هذا المال منسوباً الى تلك الجهة وانه أدّى فى بيت المال لِثمن الدار وأُحضر قبضُ صاحب بيت المال به

ثم نظر فى الباب الثانى ان المُطلق لِلفرسان فى عسكر هرون من مالهم فيه الرُبعُ دراهمُ تساوى ستّة عشر درهماً بدينار وانه لم يضع الصرف من مال الرجال وانه يلزمهُ منه فى مدّة ولايته كتابة هرون نيفٌ وعشرون ألف دينار . فأخرجوا الخانات فوجدوا الجهبذ قد احتسب بما صرفهُ فى اعطيات الرجال ورقاً من غير أن يُوضَع منه شيء لِفضل الصرف فاحتجّ كاتب ابن شيرزاد بان فضل (٢٧٧) الصرف فى ختمة تورَد فى أصول الأموال فى آخر بابٍ من أبواب الأصول وهو ما يتوفر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هرون بن غريب فأخرج ذلك من الخانات

فلما بطل هذان البابان وهما معظم ما كان فى العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جني وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هرون فقال : قد هتكني كاتبي هذا الجاهل الناقص قبّحهُ الله وقد جنيتُ على نفسى بصرفك ولكن ان تصرّفتَ لِاحدٍ فعلتُ وصنعتُ ... وتهدّدَه فذهب ابنُ شيرزاد وشرح لعلى بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لِعناية على بن عيسى به واشتهر حديثهُ وفاض فى الكتّاب

وفيها ورد الخبر وكتابُ الفارقي من البصرة بانه قد اجتاز بباب البصرة مما يلى البرية جيش لِلقرمطي كثير العَدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر الى مونس المُظفّر يأمرهُ بالرجوع الى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعد صلوة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشه الى الثغر

وخرج ياقوت الى مضربه بالزعفرانية متوجهاً الى عمله بفارس وفى هذه السنة قبض يوسف بن أبى الساج على كاتبه[٢٧٨] أبى عبدالله محمد بن خلف النيرماني وقلّد مكانه أباعلى الحسن بن هرون وقيّد محمد بن خلف بقيود ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والغلمان ما قيمته مائة الف دينار وأخذ خطّهُ بخمسمائة ألف دينار مُصادرة عن نفسه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما استعمله بواسط من السرف فى التكبر والتجبر والتوسّع فى النفقات حتى أنه جعل فى داره بواسط فى شراب العامة ثلاثين غلاماً وفى شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره الى دار صاحبه يوسف ويبكر اليه جميع قوّاد ابن أبى الساج ورُؤساء غلمانه ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء فى أيام المواكب .وكان قبل ذلك فى مسير ابن أبى الساج من الرىّ الى واسط قد لبس القباء والسيف والمنطقة الا أنه لم يكن يركب الى دار صاحبه بسواد فرقاً بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبي الساج على ذلك . ثم أطمع نفسه أيام مقامه بواسط في الوزارة للسلطان وتبين[٢٧٩] عداوة نصر الحاجب لابن أبي الساج فكاتبه ووجه اليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان على بن عيسى وضمن أن يستخرج من على بن عيسى وأخيه وسليمان بن الحسن وأبى زنبور المادرائى والكلوذانى وأسبابهم ألف ألف دينار.[١] ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء

وسعى بصاحبه وقال انه كان يستر عنه مذهبهُ فى الدين وأنه لما سار

(١) قال للمقتدر انه قد بذل تحصيل هذا المبلغ من مال النواحى : وزراء ص ٣١٥

الى واسط أنس به وانبسط اليه فكشف له أنه يتديّنُ بان لا طاعه عليه للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وان الامام المنتظر هو العلوي الذى بالقيروان وان أبا طاهر الهجرى صاحبُ ذلك الامام وانه قد صح عنده انه يتديّن بدين القرامطة وأنه انما صير العلوى مُتحققاً به وبجميع أسراره بهذا السبب وأنه ليس له نية بالخروج الى هجر وانه انما يحتال بالوعد بالخروج الى هجر حتى يتمّ له أخذ الاموال وانه قال له فى شهر ربيع الآخر : أى شيء بقى لنا على الخليفه ووزيره من الحجة ولِمَ ليس نخرج الى هجر ولا أرانا نستعدّ لذلك. فقال له فى الجواب : لِمَ لا تكون لك معرفةٌ (٢٨٠) بالامور من فى نيّته الخروج الى هجر ، وانه قال له : فلِمَ غررت السلطان من نفسك ووعدته بهذه الحال حتى سلّم اليك جميع أعمال المشرق ، فأجابه بأنه يرى انتقاض الخليفة وسائر ولد العباس الغاصبين أهلَ الحق فرضاً لله عز وجل عليه وان طاعته طاغية الروم أصلح من طاعة الخليفة وأنه قال : فهبك فعلت ذلك ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافى الى واسط والى الكوفة فلا تجد بدّاً من لقائه ومحاربته ؟ فقال فى الجواب : ويحك كيف أحارب رجلا هو صاحب الامام وعدّة من عدده! فقال له : فان أراد هو حربك أىّ شيء تعمل ، فقال له : ليس لهذا أصلٌ وقد ورد عليه كتاب الامام من القيروان بأن لا يطأ بلداً أكون فيه ولا يحاربنى بوجه ولا سبب .وأنه ختم القول بأن قال : انى انما انتظر أن يقبض رجالى بأسرهم أموال سنة ٣١٤ فاذا قووا بذلك منعت أولا من أعمال واسط والكوفة وسقى الفرات وانفذت اليها العمال فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فاكاشفه واخطب للامام واظهر (٢٨١) الدعوة وأسير الى بغداد فان من بها من الجند قوم يجرون مجرى النساء قد

القوا الدور على دجلة والشراب والثلج والخيش والمغنيات فآخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع الهجرى يفوز بالاسم وأكون أنا سائق الدواة الى الامام فان أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصلٌ وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لما ارتفع النصف ممّن معى وما هو الا أن أظهر الدعوة حتى قد اجتمع مائة الف ضارب سيف. ويقول محمد بن خلف : قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الامر فان ولانى الوزارة انقمع ابن أبى الساج وبطل عليه تدبيره وأخيب حينئذ رجاله وغلمانه فاما أسروه واما هرب طائراً على وجهه الى آذربيجان فانى اذا توليت الوزارة جدّدت به فى المطالبة بالخروج الى مجر فان كاشف درّت عليه

فانهى نصر الحاجب كلّه الى المقتدر وعرّفه ان محمد بن خلف قد كتب اليه يحلف له على انه ما حملهُ على هذا الفعل الاّ الغضب للدين أوّلاً ثم الانفة من ان يتمّ لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصّة والعامّة ما دبّرهُ . وكان الحسن بن هرون يخلف محمد بن خلف (٢٨٢) ويقف دائما بين يديه على رجله ويخدُمه كما يخدم ابن أبى الساج فلما رأى اختصاصهُ بابن أبى الساج تسكّر له وعمل على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لابى بكر ابن المُنتاب وكان قد اختصّ به وغلب عليه . فاتّفق ان شرب ابن المُنتاب مع جماعةٍ من اخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن على الجَرجَرائى عامل الصلح والمبارك[1] فسأله عبدالله بن على ان يشكر له أباعلى الحسن بن هرون لما يوليه من الجميل وقال له : تعرضُ لى رُقعةً على سيّدنا أبى عبد الله محمد بن خلف اسئله فيها ان يُعرّفه شكرى ويأمره بالزيادة فيما شكرتُهُ عليه . فقال له

(١) ابراجع كتاب كتب اليه الوزير على بن عيسى في سياسة الرعية : وزراء ص ٣٣٩ — ٣٣٧

ابن المُنتاب : اتّقِ الله في نفسك ولا تفعل فانّ أبا عبد الله على غاية التنكّر للحسن بن هرون وأن يبعد ان يقبض عليه ويبلغه لحفظ ذلك عبدالله بن علي وتقرّب به الى الحسن بن هارون. ووقعت بين محمد بن خلف وبين عبد الله بن علي مماحكة فيما سُبّب عليه القوم يعني بهم محمد بن خلف فشتمهُ محمد بن خلف وهدّدهُ وأمر بإخراجهِ من مجلسهِ على أقبح صورةٍ . فاجتمع عبد الله بن علي والحسن بن هرون على التدبير على محمد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الاخبار الى ان وقفا (٢٨٣) على ما عملهُ في السعي في تقلُّد الوزارة للمقتدر وسعايته بصاحبهِ فاطلع عبد الله بن علي ابن أبي الساج على ذلك وتقرّب اليه . فنصب يوسف بن أبي الساج أصحابَ اخبارٍ على محمد بن خلف الى ان وقف على ان خادماً له يثقُ به قد أنفذه دفعاتٍ الى بغداد وأظهر انه انما ينفذه لابتياع كِسوةٍ وفرشٍ ودوابّ وغلمان له وانه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب في التدبير على ابن أبي الساج . فتقدّم ابن أبي الساج الى عبد الله بن علي في أخذ الطُرُق على هذا الخادم والى الحسن بن هرون بمراعاة الوقت الذي ينفذ فيه الخادمَ فلما نُفذ من واسط عرّفهُ الحسنُ ذلك فوجّه بثقاته وأمرهم ان يرصدوا الخادمَ في الطريق فاذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلّموه الى صاحب عبد الله بن علي بجرجرايا وتقدّم الى عبد الله ابن علي بان يوجّه بمن ينتظره بجرجرايا . وانفذت الكُتُب التي معه الى ابن أبي الساج فوجدها بخطّ كاتبِ نصرٍ جوابات عن كُتُب محمد بن خلف اليه تدلّ على اشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعي على دم ابن أبي الساج وحالهِ واطماع في مالهِ وحالهِ (٢٨٤) وتحذير من تأخُّر القبض علي عليّ بن عيسى . فبادر ابن أبي الساج في إنفاذ الحسن بن هرون الى الحضرة

بكتب ورسائل الى علي بن عيسى على رسمه ووجّه بتلك الكُتُب بعينها وقال له : تقول للوزير عني : قد سعى هذا الرجل على دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد ان أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندي سعيُه عليك . فلما وقف علي بن عيسى على جميع كُتُبه ورسائله تعجّب وقال له : تقول لاخي أبي القاسم : ان كنتَ تريد ان تفعل ذلك لتُريح نفسك من هذا الرجل الخائن المُستحلّ فالله يوفقك ويُحسن معونتك وان كنتَ تفعل هذا بسببي فوالله ما أشكُر أحداً كما أشكُر من يسعى في صرفي عن الوزارة فالحبس والنفي اسهَل مما اقاسيه منها .

وزوّر عبد الله بن علي عن الخادم كُتُباً على انها من بغداد الى محمد ابن خلف بانه «قد أحكم أكثر ما تحتاج اليه وانه سريع العود الى واسط» فسكنت نفس محمد بن خلف الى ذلك . وصار عبد الله بن علي الى محمد بن خلف وترضّاهُ وبذل له ان يحمل اليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول ما في نفسه عليه فظنّ محمد بن خلف ان ذلك صحيحٌ ودعا عبد الله بن علي ووا كلهُ وشاربهُ . (٢٨٥)

ولم يلبث الحسن بن هرون ان عاد من بغداد فبدأ بدار محمد بن خلف ووقف ببن يديه فقال محمد بن خلف : يا عاضّ قد بلغني انك شنّعتَ عليّ عند علي بن عيسى وذكرتَ له اني أطلب الوزارة مكانهُ وانك مع ذلك قد ضربتَ على حاشية الامير وغلمانهُ ووالله يا كلب لأضربنك خمسمائة سوطٍ ولآخذنّ منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرتك . والحسن بن هرون لا يزيد على ان يقول له : الله بيني وبين من أغرى مولاي ومنّ أنا عبده وغرسهُ . ومحمد بن خلف يشتمهُ الى ان قال له : لقيتَ الاميرَ . فقال الحسن

ابن هرون : ما لقيتُهُ بعد . فقال له : فامضِ الى لعنة الله فالقَهُ وعُد الىّ . فمضى الى ابن أبى الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن خلف عليه وما خاطبَهُ به لما لقيهُ بعد قدومه من بغداد .

فقال ابن أبى الساج لخازنه الذى يتسلّمُ من محمد بن خلف : الاموال المحمولة اليه التي ينفقُها فى رجاله وغلمانه ونفقاته : قد كنتَ أحضرتَنى مُنذ مدّة مالاً نصفه غلّة ودراهم بهرجة وخُراسانية وذكرت ان ابن خلف حملهُ اليك لتنفقهُ فى الاولياء[٢٨٦] وغيره وذكرتَ ان الامر مُبرفٌ فى فضل الصرف وانه كثير فعرّفنى الآن الحال فيما يحملُهُ اليك . فقال : الذي يحمله الآن شرٌّ من كلّ ما تقدّم وقد أخرجتُ من مائة الف درهم حملها اليوم الف وخمسمائة درهم جديد والفى درهم صحاح لاسيئّة واثنين وأربعين الف درهم غلّة ردية . وعظم عليه الامر فى فضل الصرف فى ذلك فقال له : فاذا حضر محمد بن خلف العشيّة فادخل الىّ واحمل المال كهيئته وعرّفني ان جميع غلمانى ورجالى قد فسدت نيّاتهم بهذا السبب . ففعل الخازن ذلك فقال ابن أبى الساج : يا أبا عبد الله أنت تعلم ان هذا المال لا يجوز لاحدٍ ان يقبض مثلَهُ واذا فوتُ رجالى شهراً وأعطيتهم مالا جيداً أو مُقارباً للجودة كان أصلح من هذا . فغضب محمد بن خلف وقال له : ما جرّأ هذا الكلب على خطابى بحضرتك فى هذا الباب الاّ لانه قد وقف على فساد رأيك فىّ وانما أفسدك علىّ من قدّر ان يتولّى كتابتك وهو هذا العلج الحسن بن هرون وأهوّن به وبهذا الخازن وبجميع غلمانك ورجالك علىّ وأنا عقدتُ لك هذه الحال وهذا الامر[٢٨٧] والآن فوالله لا نظرتُ فى شيء من أمرك فاعمل ما شئت . ونفض يده فى وجهه وخرج من مجلسه فجعل ابن أبى الساج يحلف عليه

ان يعود فلا يفعل ويحلف انه لا يرجع . فلما طال ذلك بينهما وبلغ ان يعطف الى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه : ضعوا أيديكم في قفا الكلب اللاحد الخنزير فاسمعوني صوتهُ بالصفع . فصُفع نحو من مائة صفعة وأخذ سيفهُ ومنطقتهُ . واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن علي وأحضر للوقت فوجّه به الى دار محمد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه . وكان عبد الله بن علي مشهورا بالعفاف والثقة وتقدم الى الحسن بن هرون بان يتقلّد كتابته مكانه واستحلفه ان يدخل الى الحجرة التي اعتُقل فيها ويقيّده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص بارياف[1] ففعل به الحسن بن هرون ذلك فقال له : يامحمد بن خلف اخبرني أغرّك اني أقول لك « يا مولاي » انما كنتُ أسخر منك أيّنا كان أبعد غوْرا وتدبيراً انا أم أنت ؟ وأخذ الحسن بن هرون خطّهُ بستمائة الف دينار بعد ان أهانهُ وصفعهُ وضربهُ بالمقارع فادّى نحو خمسين الف دينار (٢٨٨) الى ان رحل ابن أبي الساج من واسط الى الكوفة لمحاربة الهجري وحملهُ معه مُقيّداً وشُغل عنه بالحرب وأسر فافلت محمد بن خلف

﴿ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي وما استعملهُ من ترك الحزم واستهانته بالعدوّ حتى أسر وما اتفق عليه بعد الاسر حتى قُتل ﴾

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط الى الوزير أبي الحسن علي بن عيسى يلتمس منه حمل مال اليه ليصرفهُ فيما يحتاج اليه من اعداد الانزال والعُلوفات بين واسط والكوفة ويحتجّ بان أموال المشرق متأخّرة عنه وان الامر ليس يحتمل مع قرب مُوافاة الهجري بان ينتظر ورود مال من

(١) كذا في الاصل

الجبل ويقول انه لايُقنعه لِذلك أقل من مائة الف دينار . فعرض على بن عيسى كتابَهُ على المقتدر فتقدم بان يحمل من بيت مال الخاصّة سبعون الف دينار ويُنفَذ اليه

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هجر بنفسه يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان فنزل فى الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به الى يوم السبت ورحل من غد . وكتب (٢٨٩) السلطان الى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة الى الكوفة . وكتب علي بن عيسى الى عُمّال الكوفة باعداد الميرة والعُلوفات ليوسف. وسار يوسف من واسط يوم الاربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفا من عنده وكان حمل اليه المال

ولما قرُب أبو طاهر الهجرى من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عُمّال السلطان من الكوفة فاخذ أبو طاهر جميع ما أعِدّ ليوسف من المِيَر والعُلوفات وهو مائة كرّ دقيقاً والف كرّ شعيرا وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة ولحقَهُ وأصحابه شدة فقوى ومن معه بما صار اليهم . ووافى يوسف الى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوّال وقد سبقه أبو طاهر اليها بيوم واحد فحال بينها وبينه

وحكى عن أبي طاهر انه قال ان عسكره قرُب من عسكر يوسف فى الطريق بين واسط والكوفة ؟ وكان يوم ضباب فلم ير أحدُهما صاحبهُ وانه أحسّ به ولوشاء لأوقع به . ووجّه يوسف الى أبي طاهر يدعوه (٢٩٠) الى الطاعة فان أبى فان الوعد للحرب يوم الأحد . فحكى الرسول انه لما

صار اليه حُمل الى موضع فيه جماعة متشا كلو الزيّ وقيل له : تكلّم فان السيّد يستمع . ولم يعرف من هو منهم فادّى الرسالة فأجيب بانه غير مُستجيب لِما دعاهُ اليه ولا لِتاخير المُناجزة فكانت الحرب بينهما يوم السبت لِتسع خلون من شوّال سنة ٣١٥ على باب الكوفة . فيقال ان ابن أبي الساج لما عاين عسكر أبي طاهر ووقف على عِزّته ازرى عليه واحتقرهُ وقال : مَن هؤلاء الكلاب ؟ هؤلاء بعد ساعة في يدى . وتقدّم بان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاوُنا به وزحف كلّ واحد منهُما الى صاحبه .

فلما سمع الهجريّ صوت البوقات والدبادب والزَعقات عن عسكر ابن أبي الساج وكانت عظيمة جدّا التفت رجل منهم الي رفيق له وهو يُسايرهُ فقال له: ما هذا الزَجَل ؟ فقال له رفيقهُ : فَشَلٌ . فقال له : اجل . ما زادَه لفظة ورسم عسكر أبي طاهر ان لا تكون فيه بوقات ولا دبادب ولا صياح . وعبّى ابن أبي الساج رجالَه وانفرد هو مع غلمانه على عادة له فى الحرب وكان ابتداء الحرب بينهُما مذ ضحوة نهار يوم السبت الى وقت غروب (٢٩١) الشمس . وما قصّر ابن أبي الساج فى الثبات وأثخن أصحاب أبي طاهر بالنُشاب وجرح منهم خلقا فلما رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفا فى عمّارية له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتى فارس بالقرب من حيطان الحَيز نزل من العمّارية فركب فرساً له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسه وغلمانه عليه واشتبكت الحرب بينهُما [1] فأسر ابن أبي الساج اخر النهار وبه ضربه على جبينه بعد ان اجتهد به غلمانه ان ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيراً فى يد أبي طاهر مع جماعة من غلمانه بعد ان قُتل من أصحابه عددٌ

(١) وفى تاريخ الاسلام : وجرح من القرامطة بالنشاب المسموم نحو خمسمائة

كثيرٌ وانهزم الباقون .

ولما أُسر يوسف وقت المغرب حُمل الى معسكر أبي طاهر وضُربت له خيمة وفُرش له فيها ووكل به . وأحضر رجل مُعالج يعرف بابن السُبيعي فقال ابن السُبيعي هذا : لما دخلتُ اليه الى الخيمة التي حُبس فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فضّي وجُرُبانها ولبنتها من ديباج أحمر وقد تلوّنت بالدم الذي سال من الضربة التي في جبينه . ووجدت الدم قد جمد على وجهه فالتمست ماءً حارًّا فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر : والله ما ذاك عندنا ولا عندنا ما يُسخن فيه. وكانوا[٢٦٣] خلّفوا سوادَهم بالقُرب من القادسيّة وتجردوا للقتال فغسلتُ وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالجتهُ . وسألني عن اسمي وبأيّ شيءٍ اعرَف فذكرتُ له ذلك فوجدته يعرف أهلي أيّام كان بالكوفة وهو صبيٌّ مع أخيه الافشين وكان يتقلّد الكوفة . فعجبتُ من ذِكره وفهمه وقلّة اكتراثه بما هو فيه

وورد خبر الوقعة وأسر ابن أبي الساج على علي بن عيسى فراح الى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المُظفّر على إنهاء الخبر الى المقتدر بالله . وانتشر الخبر فدخلت الخاصّةَ والعامّةَ لأبي طاهر هيبةٌ عظيمةٌ ورهبة شديدة . وعملت الجماعة على الهرب الى واسط ثم الى الاهواز وابتدأ المنهزمون بالدخول الى بغداد وأخرج مونس المظفّر مضربه الى ميدان الاشنان وخرج على ان يمضي الى الكوفة . وورد كتاب العامل بقصر ابن هبيرة على عليّ بن عيسى بأن أبا الطاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لاثنى عشرة خلت من شوّال قاصدين عين التمر وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر . فبادر علي بن عيسى باستئجار خمسمائة سميريّة وجعل

فيها الف رجل ومعها عِدّة[٢٩٣] من شذاءات وطيارات وحوّلها من دجلة الى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجريّة لمنع الهجرى من عبور الفرات وتقدّم الى جماعةٍ من القوّاد بالمسير على الظهر من بغداد الى الانبار لضبطها .

فلما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومنَ بها من القوّاد خيلَ أبي طاهر مقبلةً من الجانب الغربي فبادروا الى قطع جسر الانبار وأقام أبو طاهر الى أن أمكنه العبور بالسفُن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحابُ السلطان الى أن حصلوا بالانبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القوّاد . فلمّا خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسرَ الانبار وعَبَرَ وخلّف سوادَهُ في الجانب الغربي وفيه ابن أبي الساج . ولما علم مَن في الشذا آت من أصحاب السلطان ان أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا اليه بالليل فضربوه بالنار فبقي أبو طاهر في جماعة من أصحابه في الجانب الشرقي من الفُرات وسواده في الجانب الغربي منه وحالت الشذا آت والطيّارات بينهم . ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر الى الانبار وقتله من بها من القُوّاد خرج نصر الحاجب ومعه[٢٩٤] الحجريّة والرّجالة المصافّيه وجميع من كان بقي ببغداد من القوّاد وبين يديه عَلَمُ الخلافة وهو شبيه باللواء أسودُ وعليه كتابة ببياض « محمد رسول الله »

وكان مونس قد صار بباب الانبار واجتمع مع نصر وكان عدد مَن معهُما من الفُرسان والرجّالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل . وخرج أبو الهيجاء ومن اخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا في أصحابه واعرابه وسار نصرٌ وسبق مونسا على قنطرة النهر المعروف بزُبارا بناحية عقرقوب على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونسٌ واجتمعا على النهر . وأشار

أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبارا وألحّ عليه في ذلك فلما رآه يتثاقل عن قبول رأيه قال له : أيها الاستاذ اقطعها واقطعْ لحيتي معها . فقطعها حينئذ

وسار أبو طاهر وممن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقي من الفرات قاصدين نهر زُبارا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان اخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير الى قنطرة نهر زُبارا . وتقدّم من رجّالته[٢٩٥] راجلٌ أسود يقال له صُبح فكان امام عسكره فما زال نُشّاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدم ولا يهوله وقد صار بالنُشّاب كالقُنفُذ فلما صار القنطرة ورآها مقطوعة رجع وما زال أصحاب أبي طاهر يمتحنون غورَ الماء في النهر فلما علموا انه ليس بخيض انصرفوا راجعين القهقرى من غير ان يولّوا ظهورهم وصاروا الى الحسينية فوجدوا الماء قد أحاط به لان نصرا ومونسا وجها قبل ذلك بمن بثق هنالك بُثوقا كباراً فصار ماء المخر محيطا بعسكر أبي طاهر . فاقام هنالك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابهُ الى الانبار ولم يجسر أحدٌ من أصحاب السلطان ان يتبعهُ أو يُصلح قنطرة زُبارا أو يعبُرها . وكان ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فانها لو كانت صحيحة لعبر أصحاب القرمطي عليها وما هالهم وفور عسكر السلطان ولانهزم أصحاب السلطان وملك القرمطي بغداد . وذلك ان أكثر أصحاب السلطان كرّوا الى بغداد منهزمين لمّا بلغهم وصول أبي طاهر الى النهر من غير ان يروهم أو يقع عينٌ عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبي الساج[٢٩٦] ولم يحدّث أحدٌ نفسه بعد ذلك ان يجوز له ان يثبت في وجهه .

وكان مع أبي طاهر جماعة من الأدلاّء فعدلوا به عن المخر وسار نحو الانبار ولما ولّي أبو طاهر وأصحابُهُ عن موضع العسكر بُرُبارا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبادر أصحاب الاخبار الى علي بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعه الى الانبار وبانه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول الى معسكر عسكره ولا الى نواحي بغداد. وطمع مونس في الظفر بسوادِه وباقي رجاله الذين خلّفهم في الجانب الغربي من الانبار وفي تخليص ابن أبي الساج فانفذ يلبق حاجبَهُ وجماعة من القوّاد ومن غلمان ابن أبي الساج في ستّة آلاف رجل وظنوا انه لا يتم لابي طاهر العبور الى خيلِه وسواده وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجاله ومشى مشيا طويلاً حتى خرج عن الانبار الى الصحراء التي تتصلُ بالفرات ثم عبر في زورق صيادٍ يقال انه دفع اليه الف دينار حتى عبر به الى سواده فلما حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلبق ومن معه[٢٩٧] فلم يثبت له يلبق وانهزم ومن معه وقتل جماعة من أصحابه. وبصر أبو طاهر في الوقت بابن أبي الساج وقد خرج من خيمته التي كان معتقلا فيها متطلعا الى الطريق لينظر ما يكون من حال الوقعة فوقع له انه أراد ان يهرب فدعا به الى حضرته وقال: أردت الهرب. ويقال ان غلمانه كانوا نادوه فقال له القرمطي: طمعتَ ان يخلّصك غلمانك. فأمر به فضربت عنقه بحضرته وضرب أعناق جماعةٍ كانوا في الأسر.

واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه في الجانب الشرقي من الفرات بالانبار فحصلوا معه في الجانب الغربي الذي يلي البرّية. وعاد يلبق منهزما مفلولا الى مونس المظفر

وحكى أبو القاسم ابن زنجى انه كان عدة أصحاب أبى طاهر الف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وانه عرف ذلك من رجل انبارىّ كان يقيم له ولرجاله الخبز وقد قيل انهم كانوا الفى وسبعمائة قال : وسمعت بعض مستأمنة أبى طاهر وقد سُئل عن السبب في سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم هم [٢٩٨] فقال : السبب فى ذلك ان أصحاب السلطان يُقدّرون ان السلامة فى الهرب فيقدمونه ونحن نقدّر ان السلامة فى الصبر فثبتنا ولا نبرح [١]

ورتب على بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارا المرتبين وسلم اليهم مائة طيار الى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتبا بخبر العدو فى كلّ ساعة . وكان السبب فى سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطى زُبارا مع كثرة العيارين والمتشبهة بالجند وتشوّفهم الى النهب ان على بن عيسى تقدّم الى نازوك بمواصلة الركوب والتطواف فى جميع جيشه كلّ يوم غدوةً وعشية فى الجانبين ففعل ذلك ثم تقدم اليه فى يوم مُوافاة أبى طاهر الى نهر زُبارا ان يُبكّر الى باب حرب بجميع جيشه ويُقيم فيه الى وقت العتمة وان يُواصل النداء فى الجانبين بانه : من ظهر من العيارين والمتشبهة بالجند ومن وُجد معه حديدٌ ضرب عنقهُ . فانجحر العيارون وأغلق أهلُ باب المحوّل ونهر طابق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم الى منازلهم . وأما وجوه الناس فاكثروا الزواريق وجعلوها فى [٢٩٩] الشوارع فى دجلة

(١) قال صاحب كتاب العيون . وحكي أن رجلا من أهل بغداد تقدم الى الاسود ولامه على تهجمه على ذلك الجمع العظيم فقال له . يارجل نحن نرى الصبر راحة وانتم ترون الفرار راحة فتعمدون عليه .

ونقلوا اليها أمتعتهم ومنهم من حدّرها الى واسط . ونقل قومٌ من المجبّرين أمتعتهم الى حلوان ليحمل الى خراسان مع الحاج ولم يكن عند أحد من الخواصّ والعوامّ شكٌّ في ان القرمطي يملك بغداد . وأقام نازوك في ذلك اليوم كما رسم له علي بن عيسى على ظهر دابّته من أول النهار الى ان مضى صدر من الليل لا ينزل هو ولا احد من اصحابه عن دوابّهم الا للصلوات وضربت له ولهم الخيم فنزلوها بالليل وكان ذلك سببا لسلامة البلد

وقصد القرمطي الى هيت وبادر هرون بن غريب وسعيد بن حمدان الى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطي الى هيت وصعدا الى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت فلمّا وصل القرمطي اليها قاتلوهُ بالمنجنيقات فقُتل من القرامطة جماعةٌ وانصرف أبو طاهر عنها . وورد الخبر بذلك الى بغداد فسكنت النفوس واطمأنّت القلوب وتصدّق المقتدر والسيّدة امّا بلغهُما خبر انصرافه بمائة ألف درهم . وكان مونس ونصر أحضرا جرائدَ جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر زُبارا مما يلي بغداد سوى [٣٠٠] الاعراب فوجدوهم اثنين وأربعين ألف رجل سوى غلمانهم وأسبابهم فانهم كانوا أضعاف هذه العدّة

وكان علي بن عيسى لما بلغه أسرُ ابن أبي الساج بادر في الوقت الى المقتدر وقال له : انّما جمعَ الخلفاء المتقدّمون الاموالَ ليقمعوا بها اعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الاسلام والمسلمين ولم يلحق المسلمين مُنذ قُبض النبي صلى الله عليه وسلم شيءٌ أعظم من هذا الامر لان هذا الرجل كافرٌ وقد أوقع بالحاج في سنة ٣١٢ فجرى مالم يُعهَد مثلُهُ وقد تمكّنت له هيبة في قلوب الاولياء والخاصّ والعامّ . وانما جمع المعتضد والمكتفي في

بيت مال الخاصة ماجمعوا لمثل هذه الحوادث والآن فلم يبق فى بيت مال الخاصة كبير شيء فاتق الله ياأمير المومنين وتخاطب السيدة فانها دينه فاضلة فان كان عندها مالٌ قد ذخرته لشدة تلحقها أو تلحق الدولة فهذا وقت إخراجه وان تكن الأخرى فاخرج أنت وأصحابك الى أقاصى خراسان فقد صدقتك ونصحتك . فدخل الى والدته ثم عاد فاخبر ان السيدة استرأنهُ وأمرت باخراج خمسمائة ألف دينار من مالها الى بيت (٣٠١) مال العامة لينفق فى الرجال . وسأل على بن عيسى عن مقدار مابقى فى بيت مال الخاصة من المال فعرّفهُ على بن عيسى ان فيه خمسمائة ألف دينار .

وتجرّد على بن عيسي لحفظ الاموال وتقدّم الاّ يُضيَّع منها درهمٌ واحدٌ فى قضاء الذمامات وجمع أموال النواحى وأنفذ المُستحثين الى العُمّال فاجتمعت له جملة أخرى . وتنصّح الى على بن عيسى رجل من التجار بانه وقف على خبر رجل شيرازى يتخبر للقرمطى ويكاتبهُ فانفذ معه جماعةً فقبض عليه وحُمل الى دار السلطان . وناظرهُ على بن عيسى بحضرة القاضى أبى عمر والتوّاد وقال : انا صاحب أبى طاهر وما صحبتُهُ الا على انه على حق وأنتَ وصاحبك ومن يتبعكم كفّار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضه من حُجّة وامام عدلٍ وامامنا المهدى فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمق الذين يدعون الى غائب منتظر . فقال له على بن عيسى : اصدقنى عمن يكاتب القرمطي من أهل بغداد والكوفة . قال : ولِمَ أصدقك عن قوم مؤمنين حتى اسلّمهم الى قوم كافرين فيقتلونهم (٣٠٢) لاأفعلُ ذلك أبداً . فأمر بصفعه بحضرته وضربه بالمقارع وقيّدهُ وغلّهُ بغلّ ثقيف وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه الى نازوك

وحبسهُ في المطبق فمات بعد ثمانية أيّام لانه امتنع من ان يأكل ويشرب حتى مات . وشغب الجند [١]

(ودخلت سنة ستّ عشرة وثلثمائة)

ودخل مونس المظفّر بغداد من الانبار ودخل بعد نصرٍ وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرّم وكان الجندُ قد شغبوا بالانبار لطلب الزيادة في أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم فزيد كلّ واحد منهم ديناراً وأتفق فيهم على الزيادة .

وورد الخبر بدخول أبي طاهر القرمطي الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا وقتل من أهلها جماعة . ثم سار الى الرَحْبة فدخلها بعد ان حارَب أهلها ووضع السيف فيهم بعد ان ملكهم وندب مونس المُظفّر للخروج اليهم بالرقة . وكان أهل قرقيسيا وجّهوا الى القرمطي يطلبون الامان منهم ووعدهم بجميل ثم أنفذ اليهم من نادى بقرقيسيا الاّ يظهر بها أحدٌ بالنهار فلم يجسر أحد بها ان يظهر . [٣٠٣] فعبرت سرية له الى الاعراب على جسر عقدهُ بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الاعراب رهبة شديدة وصاروا لا يسمعون بذكره الاّ تطايروا وجعل عليهم اتاوة الى هذه الايام وهي من كلّ بيت دينار في السنة ثم أصعد من الرحبة الى الرقة . وسار مونس المظفّر الى الموصل ومنها الى الرقة فانصرف أبو طاهر عن الرقة على طريق الفرات ووصل الى الرحبة فحمل ما معه من

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : شغبوا على المقتدر وطلبوا الزيادة وشتموه ونهبوا القصر الملقب بالثريا وصاحوا : أبطلت حجنا وأخذت أموالنا وجرّأت العدوّ وتنام نوم الجارية . فبذل لهم المال فسكنوا . وجددت على بغداد الخنادق وأصلحت الاسوار

الزاد وغيره فى زواريق وانحدر فى الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً . وكان أهلها قد نصبوا على سورها عرّادات ومنجنيقات فحاربوه وقتلوا من أصحابه [١] فانصرف عنها الى ناحية الكوفة وزاد الخبر بذلك فأخرج بنىّ بن نفيس وهرون بن غريب على مقدّمة نصر .

وجاءت خيل القرمطى ومعها ابن سنبر الى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر فخرج نصر الحاجب ومعه القوّاد والرجّالة المصافّية يريدون مُواقعة أبى طاهر وحُمّ نصر حمى حادّة فلم يمنعهُ ذلك من المسير الى سُورا . ووافى [٢٠٤] أبو طاهر الى شاطئ سورا وقت المغرب فلم يكن فى نصر نُهوضٌ للركوب لشدّة علته فاستخلف أحمد بن كيغلغ وانفذ معه الجيش فانصرف القرمطى قبل ان يلقاهُ أحمد بن كيغلغ . واشتدّت علّة نصر وجفّ لسانهُ من شدّة الحُمى فرُدّ الى بغداد فى عمارية ومات فى الطريق . فخرج شفيع المقتدرى برسالة المقتدر الى الجيش الذى كان مع نصر بانه قد جُعل الرئيس عليهم مكانَ نصرٍ هرون ابن غريب فدخل هرون بن غريب مع الجيش بغداد [٢]

﴿ ذكر الحال التى أدّت الى صرف على بن عيسى وتقليد أبى على ابن مقلة [٣] ﴾

(١) وفى تاريخ الاسلام : قتلوا أبا الدواد من خواص أصحابه (٢) وفي تاريخ الاسلام : ورجع القرمطى فبنى دارا سماها دار الهجرة ودعا الى المهدى وتفاقم الامر وكثر أتباعه وبث السرايا فهرب عمال الكوفة عنها . فسار هرون ابن غريب الى واسط فظفر بسرية لهم فقتلهم وبعث الى بغداد بأسارى وبمائة وسبعين رأساً واعلام بيض منكسة عليها مكتوب : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ففرح الناس واطمأنوا (٣) ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقصها فيقول : يامقلة أيها . فغلب عليها : ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠

لما رأى علي بن عيسى[1] اختلال النواحي في أيام وزارة الخاقاني والخصيبي ونقصان الارتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الانبار من حرب القرمطي وان زيادتهم بلغت مائتي وأربعين ألف دينار في السنة مضافةً الى النفقات المفرطة هالَهُ ذلك واستعظمهُ ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطي وتبين انحراف نصر الحاجب عنه وذلك لميل مونس اليه استعفى (٣٠٥) المقتدرَ من الوزارة فأمرَهُ بالصبر وقال له : أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله ولي عليك حقوقٌ . فواصَل الاستعفاء[2] فشاور المقتدر مونساً المُظفَّر واعلمَهُ انه قد سُمِّي له ثلاثة الفضل بن جعفر ابن حنزابة فلم يشر به لاجل من قُتل من آل الفرات وأبو علي ابن مقلة فلم يشر به لحداثته وقال : لا يصلح للوزارة الا شيخٌ له ذِكر وفيه فضل ومحمد بن خلف النيرماني فلم يشر به وعرفه انه جاهلٌ لا يحسن ان يتهجّى اسمَهُ وانه متهوّر وأشار بمداراة علي بن عيسى . ثم لقي مونس علي بن عيسى ورفق به وداراهُ فقال له علي بن عيسى : لو كنت مقيما بالحضرة لاستعنتُ بك وعملتُ ولكنك خارجٌ الى الرقة . وبلغ أبا علي ابن مقلة ذلك فجدّ في السعي وشاور المقتدر نصرا الحاجب في أمر الثلاثة فقال : اما الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعةٍ ومحلّ ولكنك بالامس قتلتَ عمَّهُ وبنو الفرات يدينون بالرفض وأما ابن مقلة فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف لما كان بينهما مما ذكرناه فيما تقدّم ففر المقتدر منه لما عرفهُ من جهله وتهوُّره . وواصَل ابن مقلة (٣٠٦) مداراة نصر الحاجب فأشار على المقتدر به وقال : يُقلد فان قام بالامر كما يجب والاّ فالصرفُ العاجلُ بين يديه . واضطرّ

(١) وزراه ٣١٦ — ٣١٤ (٢) وفي الاصل : الاستقصاء

المقتدر الى ان استوزر أبا على بن مقلة .

وكان ما مال به المقتدر الى أبى على ان أبا طاهر القرمطى لما قرُب من الانبار تشوّف الى علم خبره ولم يكن يكاتب بشئ من خبره غير الحسن بن اسمعيل الاسكافى عامل الانبار فلما عرف أبو على ابن مقلة الصورة طلب أطياراً وأنفذها الى الانبار وكُوتب عليها أخبارُ القرمطى وقتاً بعد وقتٍ فكان ينفذها الى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر السبيل الى تقريظ ابن مقلة وقال للمقتدر : ان كان هذه مُراعاتهُ لامورك ولا تعلُّق له بخدمتك فكيف يكون اذا اصطنعتهُ

﴿ ذكر القبض على علىّ بن عيسى وتقليد ابن مقلة ﴾

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاوّل سنة ٣١٦ أنفذ هرون ابن غريب للقبض على علىّ بن عيسى فصار هرون الى دار على بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطّلا فى الوقت فوجّه بأبى جعفر اليه لانه (٣٠٧) استحيا منه وعرّفه ما أمر فيه فلما أدّي اليه الرسالة قال له : أنا جالس متوقّع له . وكان قد لبس على بن عيسى خفّاً وعمامةً وطيلساناً وفى كمّه مُصحفٌ ومقراض وسأل هرون ان يصون حُرَمهُ وولدَهُ ففعل وحملهُ مع أخيه أبى على عبد الرحمن الى دار السلطان فسلّم على ابن عيسى الى زيدان القهرمانة واعتقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين .

فلما كان فى آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر أُحدر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان ولم يصل الى المقتدر وأقام عند نصر الحاجب فى دار السلطان . وجدّ محمد بن خلف فى طلب الوزارة

وضمن ثلثمائة الف دينار معجّلاً غير أموال النواحي فقلق أبو على ابن مقلة لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً . واجتمعت الألسُن على المقتدر بامضاء أمرهِ وبلذمّ لمحمد بن خلف فامضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء اذا تقلّدوا

وكان أبو الحسن [٣٠٨] على بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب الى أبي عبد الله البريدى يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ انه قد اجتمع فى بيت مال الاهواز من مال الاهواز وهو الف الف وخمسون الف درهم وانضاف الى ذلك ماحمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة الف درهم سوى ماحمله أبو على ابن رستم من مال أصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع الفى الف ومائتى ألف درهم . وكان فى أبي عبد الله البريدى حركة ورجلة يحتاج اليهما فى ذلك الوقت فكتب الى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأن المال حاصل . وكان ابن مابنداذ بتستر فوجّه اليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه فحمل فى الشذا آة الفى الف ومائتى الف درهم وكتب انه ان عادت الشذا آة حمل فيها باقى المال فصرف على بن عيسى قبل موافاة بقية المال .

وقد كنا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن على بن عيسى لميل مونس المُظفّر اليه فلمّا نكب على بن عيسى ادّعى نصر الحاجب [١] انه وجد رجلا يعرف بالجوهرى اقرّ انه صاحب القرمطى [٣٠٩] وانه جعله سفيراً بينه وبين على بن عيسى وحكى عنه ان على بن عيسى كان يكاتب القرمطى على يده .

(١) وزراء ص ٣١٦

وجمع بينه وبين علي بن عيسى حتى واجهه بذلك فقال له علي بن عيسى : بهتني وما خلق الله لما يقوله أصلا . وعاون أبو علي ابن مقلة نصرا الحاجب في هذه القصة الى ان كاد يتمّ المكروه على عليّ بن عيسى وهمّ المقتدر ان يضربه بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادّعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك في نفس ابنها وأزالت ما كان أمرّه به فيه

وأخذ أبو علي ابن مقلة خطوط العُمال والضُمناء بنحو مائة الف دينار وبلغ أباعبد الله البريدي وهو بالاهواز تقلُّد ابي علي ابن مقلة الوزارة وكان بينهما مُودة فانفذ اليه من وقته سفاتج بثلاثمائة ألف دينار من حمله الباقي بالاهواز بعد ما كان حمله . وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رُستم قد حملا الى علي بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم فوصلت بعد صرفه فقبضها ابن مقلة فمشى أمر أبي علي ابن مقلة بهذه الاتّفاقات . وكتب (٣١٠) أبو علي ابن مقلة كتاباً برفع كلّ الجنايات والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا في أعمالهم (١)

﴿ وفي هذه السنة وقعت حربٌ بين نازوك وهرون بن غريب الخال ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان سُوّاس هرون بن غريب وسُواس نازوك تغايروا على غُلام أمرد ووقع الشرّ بينهم وأخذ نازوك سُوّاس هرون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعدان ضربهم . فصار أصحاب هرون بن غريب الى مجلس الشرطة ووثبوا على أبي الجود خليفة نازوك وانتزعوا

(١) وأما من تقلد الدواوين وماقال في حق الوزير أبو بكر الصولي فليراجع صلة عريب : ١٣٥

أصحابهم من يده وركب نازوك الى المقتدر وشكى اليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر انكار رضيه نازوك فانصرف محفظا وجميع رجاله . وجمع هرون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك الى دار هرون بن غريب وأغلق هرون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هرون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح بابُ هرون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدت فوجه نازوك الى أصحابه بمن صرفهم . ثم ركب [٣١١] الوزير أبو على وممه مفلح الاسود لتوسط القصة فبدأ بابن الخال وأدى اليه رسالة المقتدر بالكف ثم صار الى نازوك فادى اليه مثل ذلك فسكنت القصة . واستوحش نازوك وأقام فى داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر فى ساقه تونة وقلعها وجعلها سببا فى ترك الركوب وبعد ثلاثة ايام صار اليه هرون بن غريب بدراعة فاصطلحا وأقام نازوك فى داره وصار هرون بن غريب الى البستان النجمى فاقام فيه ليبعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بامرة الامراء . فاشتد ذلك على أسباب مونس المظفر وكتبوا به اليه وهو بالرقة فاسرع الشخوص منها على طريق الموصل الى بغداد ووصل اليها ولم ينحدر الى المقتدر ولا لقيه وصاعد اليه الامير أبو العباس والوزير أبو على فسلما عليه وانحدر نازوك

﴿ ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر ﴾

وأقام هرون بن غريب فى دار السلطان منابذاً لمونس المظفر ودخل أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار الى مونس المظفر . وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر [٣١٢]

﴿ ودخلت سنة سبع عشر وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر فتنة نازوك وأبي الهيجاء التي أدت الى خلع المقتدر وذكر قتلهما ورجوع المقتدر بالله الى الخلافة ﴾

لما كان يوم السبت لثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر الى باب الشماسية وخرج الجيش معه . وركب نازوك من داره فى غلمانه وأصحابه فى السلاح فلما وصل الى الجسر وجده مقطوعا فاقام بمكانه الى ان أصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا الى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان اليه وسائر القوّاد ثم انتقلوا من باب الشماسية الى المصلى . وشحن المقتدر داره بهرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان فى دار السلطان وصاروا الى مونس وصرف مونس نحرير الصغير [1] عن الدينور وردها الى أبي الهيجاء مضافة الى أعماله

وراسل مونس المقتدر بان الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يصير الى الخدم والحرم من الاموال والضياع ولدخولهم فى الرأى والتدبير ويطالبون باخراجهم من الدار (٣١٣) وابعادهم وأخذ ما فى أيديهم فكتب المقتدر الى مونس رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم : أمتعنى الله بك ولا أخلانى منك ولا أرانى سوء فيك . تأملت الحال التى خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها وأقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا الا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى وملكي واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطلبها بكل سبيل بارك الله عليهم وأحسن اليهم وأعانني على صالح ما أنويه فيهم . وأما أنت يابا الحسن المظفر لاخلوت منك فشيخى وكبيرى

(١) توفى فى هذه السنة بالموصل وكان يتولى معونتها : صلة عريب ١٤٦

ومن لا أزول ولا أحول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به والايجاب له اعترض ما بيننا هذا الحادث ام لم يعترض وانتقض الامر الذي يجمعنا أم لم ينتقض وأرجوا الا تشك فى ذلك اذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها والقوة بالله . والذى خاض لاصحابنا[1] فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط رسومهم فى الخدمة ويمنعون منها ويبرّؤن من نعمهم ويحال بينهم وبينها الى ان يفرجوا عما في أيديهم من المال[٣١٤] والضياع ويردّوها الى حقوقها قول اذا تبيّنوه حق تبيّنه وتصفحوه كنهَ تصفّحه علموا انه قول جافٍ والبغى عليّ فيه غير مستتر ولا خاف. ولا يخارى موافقتهم واتباعى مسرّتهم ما اجبتهم الى التيسر فى أمر هذه الطبقة خاصة فاتقدم بقبض بعض اقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط ايغاراتهم واخراج من يجوز إخراجهُ من دارى ولا اطلق للباقين الدخولَ فى تدبيرى ورأيي وأوعز بمكاتبة العُمال فى استيفاء حقّ بيت المال فى ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انه قد لابَسَهُ الريبُ والشك وانظرُ بنفسى فى أمر الخاصّة والعامّة وأبلغُ فى إنصافها والإحسان اليها الغاية . ولا اعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتّة وانتصبُ لاثارة الاموال وجمعها ووضعها فى مواضعها واعيها من كلّ ما يثلمها وينتقضها واشمّرُ فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الاعداء قُرباً وبُعداً . وهذا انما قعدتُ عنه اعتماداً عليكم وتفويضا اليكم وثقة بانكم شركائى وسُهمائى والمخصوصون بخير أيّامى وشرّها وحلوها ومرّها . ولو علمتُ انه يُجعل ذلك ذنباً لى وجُرماً يتجنّى به عليّ لَكُنتُ أوّل شاخص الى

(١) لعله أصحابنا

كل [٣١٥] تعب واوّل مُبادِر نحوه من غير ابطاء عنه ولا ريث . فأما انتم فمعظم نعمكم منّي وما كنت لاغور عليكم فى شيء سمحت به لكم ورأيته فى وقته وأراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وانا بتثميره اولى وبتوفيره احرى والله المطّلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبّتي لايصالها الى اقصى امانيها [١] ونازوك فلست ادرى من اىّ شيء عتب ولا لاىّ حال استوحش واضطرب لانى لم اله على محاربة هرون بن غريب الخال ولم امنعه من الانتصار منه والاخذ بثاره عنده ولا امرت بمعاونة هرون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة اليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا غيرت له حالا ولا حزت له مالا ولا سمع منى ولا بلغه عنى ما يسوء موقعه وينفر منه والله يغفر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذى احفظه صرفه عن الدينور وقد كان يتهيأ إعادته اليها ان كان راغباً فيها فيسعف بمسئلته وان يستدعى تعويضه من الأعمال ماهو اعظم خطراً من الدينور فلا تقصر عن ارادته وما عندى له ولنازوك وللعصاة كلها الا التجاوز والابقاء والاغضاء وقبل هذا وبعده فلى فى اعناقكم بيعة قد [٣١٦] وكّدتموها على انفسكم دفعةً بعد دفعةٍ ومن بايعنى فانما بايع الله ومن نكث انما نكث عهد الله ولى ايضا عليكم نعمٌ واياد وعندكم صنائع وعوارف آمل ان تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها تشكروها وان راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتم الى مناز لكم واستوطنتموها واقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم بها واجريتم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه

(١) وردت خلاصه هذا الكتاب فى صلة عريب ١٤٠

فى الثقة بكم والايثار لكم والسكون اليكم والاشتمال عليكم لكم بذلك عهد الله ان عهده كان مسئولا . وان أبيتم الاّ مكاشفة ومخالفة واثارة فتنة وتجديد محنة فقد وليتكم ما توليتم واعتمدت سبيلى منكم وتبرأت الى الله ان امدّ باعي الى احد منكم ولجأت فى نصري ومعونتى وكفايتى الى الله عزّ وجلّ . ولم اخرج من منزلى ولم اسلم الحق الذى جعله الله لى الاّ كما خرج عثمان بن عفان عن داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقاته وانصاره وكان ذلك حجة فيما بين الله عز وجل وبينى ومعذرة وسببا (٣١٧) باذن الله لما أؤمّلهُ من الفوز فى الدنيا والآخرة . والله بصيرٌ بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبى الله ونعم الوكيل .

ولما وصلت هذه الرقعة الى مونس ووقف نازوك وابو الهيجاء على ماتضمّنت عدلوا الى مكاتبته باخراج هرون بن غريب عن بغداد فأجابهم الى ذلك وقلّد هرون الثغور الشاميّة والجزرية وخرج من يومه ومضى الى قطربلّ فأقام بها .

ولما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرّم دخل مونس المظفر والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهيةً لمرّة الجند . وظهر عند الناس ظهوراً بيّناً وارجفوا ارجافاً قوياً ان نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفر على الاستبدال به ونصب غيره فى الخلافة . فلمّا كان يوم الاربعاء لاثنى عشرة ليلة خلت من المحرّم خرج مونس الى باب الشمّاسيّة دفعةً ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبُجَيْ بن نفيس وجميع القوّاد والجيش وزحفوا الى دار السلطان .

﴿ ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله وتقليد القاهر بالله الخلافة ﴾

لما زحف القوم بأسرهم الى دار السلطان هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجّاب والحشم[٣١٨] والخدم والوزير أبو على ابن مقلة منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كله فى دار السلطان . فلما كان بعد عتمة بساعة أُخرج المقتدر ووالدتهُ وخالتهُ وخواصّ جواريه من الدار وأُصعد بهم الى دار مونس المظفر ودخل هرون بن غريب من قطربلّ سرًّا الى بغداد واستتر بها

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الى دار ابن طاهر ليحدر منها محمد بن المعتضد بالله فلم يفتح له كافور الموكّل بحفظ الدار وطالبهُ بعلامة من مونس فلم تكن معه فانصرف . وأصعد ونازوك بعدان أخذ العلامة وطرح فى طريقه النار فى دار هرون بن غريب وأحدر محمد بن المعتضد ووصل الى دار السلطان فى الثلث الاخير من ليلة السبت للنصف من المحرّم وسُلّم عليه بالخلافة وبايعهُ مونس والقوّاد ولقب القاهر بالله .

وأخرج مونس على بن عيسى من الحبس فى دار السلطان وأطلقهُ الى منزله وأحضر أبا على ابن مقلة وقلّده وزارة القاهر بالله وقلّد نازوك الحجبة مضافة الى ما اليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف الى ما كان الى أبى الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق[٣١٩] سُرّ من رأى وبُزُرْج سابُور والراذانيْن ودَقوقا وخانِيجان [كذا] والموصل أعمال المعاون بهَمَذان ونهاوَند والصَيْمَرة والسيروان وما سَبَذان وميرجانقَذق وارْزَن .

ووقع النهب فى دار السلطان ومضى بُنَىّ بن نفيس الى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستّمائة الف دينار فحملها الى دار السلطان .

وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرّم وأشهد على نفسه بذلك القضاة وسُلم الكتاب بذلك الى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف .

﴿ ذكر حزم استعمل وانتفع به ﴾

حدّث أبو الحسين ابن أبي عمر[1] ان أباه سلم الكتاب اليه بالخلع وقال له : يابُنَيَّ احفظْهُ واسترْهُ ولا يراه أحدٌ من خلق الله عندك . (قال) فقلت له : وما الفائدة في كتمانه وقد علم به الخلق ؟ (قال) فقال لي : وما الفائدة في اظهاره ومن أين تعلم ما يكون ؟ قال : فامتثلت أمره . فلما أعيد المقتدر بالله الى الخلافة بعد يومين أخذ القاضي أبو عمر ذلك الكتاب فسلمه الى المقتدر بالله من يده الى يده وحلف له على انه (٣٢٠) ما رآه أحد من خلق الله عنده غيري فحسن موقع ذلك من المقتدر جدًّا وشكرَه له وقلّده بعد مدة قضاء القضاة (قال) فقال لي : يا بنيَّ ماضرّنا كتمان الكتاب وستره شيئا

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غد وهو يوم الاحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة ووصل اليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن النهب وكتب أبو علي ابن مقلة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أنشأه الى الولاة في النواحي . وأمر نازوك الرجالة المصافية بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجّالته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثم تقدّم الى خلفاء الحجاب والبوّابين الاّ يدخل الدار الاّ من كانت له

(١) هو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الازدي مالكي المذهب توفي سنة ٣٢٨ وفي كشف الظنون انه صنف كتاب الفرج بعد الشدة . وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام : كان أبو عمر القاضي يقول : ما زلت مروعا من مسألة تحيتني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين

مرتبة فاضطربت الحجرية من ذلك وتكلّموا وصار ذلك سبباً لردّ المقتدر الى الخلافة.

﴿ ذكر السبب فى ردّ المقتدر الى الخلافة ﴾ (١)

فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من المحرّم بكّر الناس الى دار السلطان لانه يوم موكب ودولة جديدة فامتلأت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطىء دجلة (٣٢١) منهم وحضر الرجّالة المصافية بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم يتحدر مونس الى دار السلطان ذلك اليوم وأقام فى منزله. وارتفعت زعقات الرجّالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال فتقدّم الى غلمانه وأصحابه الاّ يعرضوا لهم. وزاد شغب الرجّالة وهجموا يريدون الصحن التسعينى فلم يمنعهم أحد لما كان نازوك تقدم به الى أصحابه ودخل منهم من كان على الشط من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق التسعينى وبين يديه أبو على ابن مقلة ونازوك وأبو الهيجاء فوجه بنازوك ليخاطبهم. وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته فلما برز الى الروشن ونظر اليه الرجالة أسرعوا نحوه فخافهم لانهم شهروا السلاح عليه فولّى منهم وعدا. وأطمعهم فى نفسه وعدوا خلفه وانتهى به الهرب منهم الى باب كان هو سدّه أمس

(١) وفى صلة عريب ص ١٤١ ان في المحبوسين في دار الخلافة الذين أخرجهم مونس كما تقدم الحسين بن روح بن بحر أبا القاسم النوبختى المتوفى سنة ٣٢٦. وقال في حقه الحافظ الذهبي انه كان وافر الحرمة مع أهل الشيعة فجرت له خطوب مع الوزير حامد ابن العباس وقبض عليه وسجن خمسة أعوام وأطلق لما خلعوا المقتدر من السجن. فلما أعيد الى الخلافة شاوروه فيه فقال: دعوه فبخطيئته جرى بلينا ما جرى

ذلك اليوم بالآجر والجصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا اليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله عجيبا وصاحوا : مقتدر يا منصور. فتهارب كل من فى الدار من الوزير والحجاب والحشم وسائر الطبقات حتى بقيت الدار خالية .

وصلب[٣٢٢] الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة . [ثم صار الرجّالة الى] دار مونس يُطالبون بالمقتدر بالله وبادر الخدم فى دار السلطان فغلقوا أبوابها وكان جميعهم خدم المقتدر وحاشيته وصنائعه وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلّق به القاهر وقال : يا أبا الهيجاء تُسلمنى ؟ فدخلت أبا الهيجاء الحمية والانفة فرجع معه وقال : والله لا اسلمتك وعاد فوجد الابواب مغلقة فدخلا دار السلم وارتفعت ضجة وتكبير فقال فائق وجه القصعة لبعض الخدم الصغار الرسائلية : انظرْ ماهذه الضجة . فمضى وعاد وقال : قُتل أبو الهيجاء . فقال له: انظرْ ويلك ما تقول . فاعادَ ذلك ثلاثاً فقال : أبو الهيجاء هو ذا لما ويلك . فقال الخادم : غلطت قُتل نازوك . فقال القاهر لوجه القصعة : افتحْ لى الباب لاخرج الى الشطّ . فقال : ان وراءه أبواباً كثيرة يتعذر منها الوصول الى الشطّ ولكن نفتحهُ على كلّ حالٍ . ففُتح فافضى بالقاهر المشى الى دَرَجة الدواليب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعدها ويده فى يد أبى الهيجاء ابن حمدان وأشرفا على دجلة فرأيا الرجّالة فى السلاح من نهر المُعلّى منتظمين متراصّين الى التاج والى باب الخاصة لا يحصيهم[٣٢٣] العدد فنزل مُبادراً فقال له أبو الهيجاء : امضِ يامولاى فَوَتُربة حمدانَ لافارقتُكَ أو أُقتل دونك . ومضيا حتى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس الى الرحبة فلقيا غلاماً لمقبل الخادم راكباً فلما رآهما ترجّل وقالا له : من أين جئتَ ؟ قال : من

باب النوبى . فنزع أبو الهيجاء سوادهُ ومنطقته ودفعها الى الغلام وقال له : اعطنى جُبتك . وكانت عليه جبة صوف مصرى فاعطاه اياها فلبسها وركب دابة الغُلام وترك القاهر مع الخدم وقال : يا مولاى قف بمكانك حتى أعود اليك . فلم يطلْ أبو الهيجاء حتى عاد فقال له القاهر : ماوراءك ؟ فقال : صرتُ الى باب النوبى فلقينى جعفر البوّاب فقلتُ له : افتح الباب . فقال : لا يمكننى لأن وراءه من الرجّالة والجيش من لا يحصى لانه قد جئ برأس نازوك الى هاهُنا . ثم قال للقاهر : هذا أمر من السماء فمُد بنا . ودخلا الفردوس فجالا فيه ثم خرجا الى القُرب من القلّاية ثم دخلا الصحن الحسنى الصغير ثم دخلا الى دار الأترجّة وخفّ من معهُما من الخدم وتأخّر هُناك فاتق وجه القصة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم : ادخُلوا اليهما فافرغوا من عدُوّ مولاكم . فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقِسى وبعضهم بدبابيس[٣٢٤] فلما رآهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرّد سيفهُ ونزع الجُبة الصوف التي كانت عليه فلفّها على يده وأسرع نحوهم فانجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم فى البركة وغشيهم فرموه ضرورةً فرجع ودخل بيت ساج فى بُستان دار الأترُجة فلما حصل فى البيت خرج من كان فى البركة من الخدم وصاروا الى قُرب البيت وأحسّ بهم فخرج اليهم بسيفه فولّوا بين يديه الى جانب من الصحن وفتحوا باباً من زاوية هذا الصحن فدخل منه خمارجويه[١] أحد أكابر الغلمان الحجرية ومعه قُوس ونُشّاب ومعه غلامان أسودان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم : أين هُو يا أصحابنا ؟ فقالوا : هو فى البيت الساج : فقال لهم : تحرشوا به حتى يخرُج . فشتموه فخرج كالجمل الهائج

(١) فى تاريخ الاسلام . خماجور

وقال : يا آل تغلب أأقتلُ بين الحيطان ! أين الكميتُ أين الدهماء ؟ فرماهُ خمارجويه بسهم أصابهُ تحت ثديه واتبعهُ بسهم آخر فأصاب ترقوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشكّ نخديه .

قال بُشرى وهو الحاكي لهذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيتُ أبا الهيجاء وقد ضرب السهم الذى[٣٢٥] شك نخديه فقطعهُ وجذب السهم الذى أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل اليه على وجهه فأسرع اليه أحد الأسودين فضرب يده اليُمنى فقطعها وفيها السيف وأخذ السيف وغشيهُ الأسود الآخر فحزّ رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مُبادراً به

وكان الرجّالة لما انتهوا الى دار مونس وسمع زعقاتهم قال : ما الذى يريدون ؟ فقيل له : يريدون المقتدر بالله . فقال : سلموه اليهم . فلما قيل للمقتدر « امض معهم الى الدار حتى تعود الى أمرك » خاف ان يكون حيلة عليه فامتنع فحمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس الى الطيار ومن الطيار الى درجة الصحن التسعيني فحين وضع رجله فى الدار صار الى دار زيدان القهرمانة وقال : ما فعل أبو الهيجاء ؟ فقيل : هو فى دار الآترجة . فدعا بدواة فابطأ بها الغلمان ولم يزل يطلبها حتى جاءوه بها فكتب له أماناً بخطه ودفعها الى بعض الخدم وقال : ويلك بادر به لئلا يحدث عليه حادثة . فلقى الخادمُ الخادمَ الذى معه الرأس فعاد معه فلما رآه قال له : ويحك[٣٢٦] ما وراءك . قال : عمر الله أمير المؤمنين . فقال : ويلك من قتله ؟ فقمزهُ مفلح الاسود فقال : لا أدرى من قتله ولا يعرف قاتلهُ فان اخلاط الرجالة قاتلوه . قال : فانا لله . واقبل يكرّرها وقال : ما كان

يدخل الىّ فى هذه الايام وأنا فى دار مونس من يسلينى ويظهر لى الغمّ حتى كانه بعض أهلى سواه هذا الى ماله ولاهله من الحقوق . وظهر فيه من الكآبة أمرٌ عظيمٌ

فبينما هو كذلك اذ ارتفعت ضجة فشغل عن أمر أبى الهيجاء وقال : ما هذا ؟ فجاءه خادمٌ يعدُوا وقال : محمد (يعنى القاهر بالله) وقد أُخذ وجىء به فاحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثم جذبه اليه وقبّل جبينه وقال له : يا أخى أنت لاذنب لك وقد علمتُ انك قهرت . والقاهر بارك يقول : نفسى نفسى الله الله ياأمير المؤمنين . فلما كرر ذلك قال له : وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجرى عليك سوء منى أبداً ولا وصل أحدٌ الى مكروهك وأنا حىٌّ ولا حرصنّ على انصرافك الى منزلك من دار ابن طاهر فى هذه الليلة فطِبْ نفساً ولا تجزع (١)

وأخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشهرا (٣٢٧) فى الشوارع ونودى عليهما « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته » وسكن الهيج وعاد أبو على ابن مقلة الى وزارته وكتب عن المقتدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له الى الولاة فى النواحى .

ولما تمكّن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أبا على ابن مقلة على وزارته أطلق للجند البيعة اما للرجالة فستّ نوائب وزيادة دينار لكلّ راجل وأمّا الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكلّ فارس ولما نفدت الاموال

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان بدر بن الهيثم القاضى ركب لتهنئة رجوع الخلافة الى المقتدر بالله وقال لابن مقلة : بين ركبتى هذه وركبة ركبتها مائة سنة لانى ركبت لتعزية يوفاة المأمون سنة ٢١٧ مع أبى وقد ركبت اليوم للتهنئة بعود المقتدر سنة ٣١٧ . وتوفى بدر بعد أيام وسنه مائة واثنى عشرة سنة

فى ذلك أخرج مافى الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك . ثم أطلق لهم بها العُهد بالاشرية على وكيل نصبهُ المقتدر وهو على بن العباس النوبختى [1] وأشهد على نفسه بتوكيله اياه فى البيع وشرط للمبتاعين فى كتب الأشرية ان يحملوا فى حقّ بيت المال فيما اشتروهُ على معاملة القطائع المعشورة ثم بيع منهم بالصلة فضل مابين المعاملتين فى املاك الرعيّة وهو فضل ما بين الاستان والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على علىّ بن العباس وحسبت عليهم الضياع والاملاك بأرخص الاثمان .

فحكى ثابت بن سنان انه حضر مجلس [٣٢٨] الوزير أبى على ابن مقلة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل مابين المعاملتين بالصلة ولا كان لاصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع وكان الناس مجتمعين عليه وهو يُوقّع اذ استُؤذن لعلىّ بن عيسى عليه فاذن له فلمّا رآه قام له قياماً تاماً وأجلسهُ معه على دستهِ وأقبل عليه وترك ما كان فيه . فلما سأله عن خبره رأى الناس مُمسكين عليه فقال له : يشتغل الوزير أيّده الله بشُغله . واقبل أبو على ابن مقلة على الناس يُوقّع لهم فلمّح على بن عيسى خرجاً قد اخرج بعبرة ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالاضافة الى ما اشتريت نزراً يسيراً فقال : لااله الاّ الله بلغ الامر الى هذا ؟ فترك ابن مقلة ما كان فى يده وأقبل عليه فقال : حدّثنى شيخنا أبو القاسم رحمه الله (يعنى عيسى بن داود) [2] ان المتوكل على الله لمّا غضب على بختيشوع

(١) توفى سنة ٣٢٩ : ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٩　(٢) أما داود فقد قال الصفدى في كتابه الوافي بالوفيات : داود بن الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهريار أبو محمد الكاتب أصله من فارس كتب للمستعين وصنف كتاب التاريخ وأخبار الكتاب وكتاب الامم السالفة جامع كبير وكتاب رسائله وهو جد الوزير أبي الحسن على بن عيسى

المُتطبّب أنفذ الى داره لاحصاء ما فى خزائنه فوجد فى خزانة كسوته رقعةً فيها ثبتُ ما اشتراه من الضياع وهو بيضعة عشر الاف الف درهم فقد آل أمرها الى ان تُباع بهذا القدر النزر . فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة الى شُغله وقام على بن عيسى لينصرف [٣٢٦] فقام له الوزير أبو على كما قام لبجوله

وفى هذه السنة خلع على أبى على ابن مقلة وكُنّى وكُتب الى جميع النواحى .

وفيها قلد أبو عُمر قضاء القضاة وكتب عهده .

وفيها اوقع القرمطى بالحاجّ في البيت الحرام بمكة وقتل أميرها

﴿ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاجّ وتخريبه مكة ﴾

كان منصور الديلمى بَذْرَقَ بالحاجّ فى هذه السنة فسلموا فى طريقهم فلمّا وصلوا الى مكة [١] وافاهم أبو طاهر الجنابى الى مكة يوم التروية فقتل الحاجّ في المسجد الحرام وفى بِجاج مكة وفى البيت قتلاً ذريعاً . وقلع الحجر الاسود وقتل ابن مجلب [٢] أمير مكة وعرّى البيت وقلع الباب واصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرزاب [٣] فتردّى الرجل على رأسه ومات وأخذ أموالَ الناس وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن باقيهم فى مَصارعهم فى المسجد الحرام وغيره من غير ان يصلى عليهم وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف الى بلده وحمل معه الحجر الاسود

وكان للجراح بنون جماعة منهم داود وابراهيم ومحمد ومخلد وكتب منهم داود ومحمد لابراهيم بن العباس الصولى (وترجمته موجودة فى ارشاد الاريب ١ : ٢٦٠) وكتب له الحسن بن مخلد بن الجراح : وتوفي داود سنة ٢٩١ (١) زاد صاحب كتاب العيون : وأميرها يومئذ محمد بن اسمعيل المعروف بابن مجلب . هكذا هذا عن تاريخ أبن الجزار الذى وردت ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٨١ (٢) وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة هو : ابن محارب (٣) في صلة عريب ١٣٧ : المزاب

(وفيها قلد ابنا رائق [١] شرطة بغداد مكان نازوك [٢])

﴿ ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلثمائة [٣٣٠] ﴾

وشغب الفرسان وتهددوا بأمور عظيمة فأحضر المقتدر قوادهم وخاطبهم بجميل ووعدهم باطلاق أرزاقهم في الشهر الجديد فانصرفوا وسكنوا . وشغب الرجالة فأطلقت أرزاقهم .

وفى شوال منها خلع المقتدر على الامير هرون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران اليه . وفى ذى القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الامير أبى العباس وركب معه الوزير ومونس المظفر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه

وفيها صرف ابنا رائق عن الشرطة وقلدها أبو بكر محمد بن ياقوت

﴿ وفي هذه السنة كان هلاك الرجالة المصافية [٣] ﴾

﴿ ذكر السبب فى هلاكهم ﴾

كان قد عظم الامر فى تسعب الرجالة المصافية وادلوا بأنهم كانوا السبب في ردّ المقتدر الى الخلافة بعد ماخلع وثقل مالهم واحتدّت مطالبتهم وكثر شغبهم وزاد تعديهم وبلغ مالهم فى كلّ شهر من شهور الاهلة مائة وثلاثين الف دينار . فاتفق ان شغب الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناوشهم الرجالة فقتل منهم جماعة . واحتجّ [٣٣١] السلطان على الفرسان بأن المال

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٠ هما ابراهيم ومحمد وكانا يلقبان بخديجة وأم الحسين

(٢) زاد صاحب التكملة : وفيها فتح هرون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومائتى الف درهم (٣) ليراجع صلة عريب ص ١٤٨

منصرفٌ الى الرجالة فحاربوهم حتى طردوهم من دار السلطان وركب محمد بن ياقوت فنادى فيهم الا يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم . وهدمت دُور عرفاء الرجّالة وركب فى ذلك ابنُ ياقوت وجدّد النداء فيهم ثم ظفر بنفر منهم فضربوا وشهروا وقبضت أملاك الرجالة المصافية وهدمت دُورهم . ثم هاج السودان بباب عمّار فركب محمد بن ياقوت والقوّاد الحجرية فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار . وكانت لابى العلاء سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرّقين ثم اجتمع منهم جماعة من البيضان من رجّالة المصافية وغيرهم فكثر عددهم وانحدروا الى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلا من الفرسان يعرف بنصر الساجى وطردوا عمّال السلطان بواسط . فانحدر اليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم رايَة بعد ذلك

﴿ وفيها قبض على الوزير أبى على ابن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب فى القبض عليه ﴾

كان المقتدر متّهماً لابن مقلة لميلة [٣٣٢] مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يظهر له الجميل وانحرف عنه ياقوت لميل مونس اليه . واتفق ان خرج مونس المظفر الى أوانا متنزهاً وانحدر أبو على ابن مقلة الى دار السلطان فتغنّم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه . وكان محمد بن ياقوت معادياً له فلما قبض عليه أنفذ الى داره بالليل من أحرقها [١]

(١) أما هذه الدار فقد قال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن مقلة سنة ٣٢٨ وروى الحسين ابن الحسن الواتق وكان يخدم في دار ابن مقلة مع حاجبه ان فاكهة ابن مقلة لما ولى الوزارة الاولة كانت تشترى له في كل يوم جمعة بخمسمائة دينار وكان لابد له ان يشرب

وكان المقتدر قد عمل على ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكراهته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي علي ابن مقلة فاغتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلة وكان السفير علي بن عيسى فكان يداريه الى ان سكنه وقال : ما ذنب وزيرك في شفاعة مونس له . ولم يزل به حتى انصرف عن رأيه . وكان المقتدر من محبته لان يستوزر الحسين بن القاسم استحضره وبيته عنده وخلع عليه ووعده ان يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة . فلما اتصل ذلك بمونس غلظ عليه ان يتفرّد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال : لا يصلح للوزارة . فتردّدت الرسائل بينه وبين (٣٣٣) المقتدر على لسان علي بن عيسى فاستشار المقتدر علي بن عيسى

بعد الصلاة من يوم الجمعة ويصطبح يوم السبت . وحكي انه رأى الشبكة التي كان أفرخ فيها ابن مقلة الطيور الغريبة قال : فعمد الى مربع عظيم فيه بستان عظيم عدة جربان شجر بلا نخل فقطع منه قطعة من زاوية كالثابورة فكان مقدار ذلك جريبين بشباك ابريسم وعمل في الحائط بيوتا تأوى اليها الطيور وتفرخ فيها . ثم أطلق فيها القماري والدباسي والنوبيات والشحور والزرياب والهزار والببغ والفواخت والطيور التي من أقاصي البلاد من المصوتة ومن المليحة الريش مما لا يكسر بعضه بعضا فتوالدت ووقع بعضها على بعض وتولدت بينها أجناس . ثم عمد الى باقي الصحن فطرح فيه الطيور التي لا تطير كالطواويس والحجل والبط وعمل منطقة أقفاص فيها فاخر الطيور وجعل من خلف البستان الغزلان والنعام والابل وحمر الوحش . ولكل صحن أبواب تفتح الى الصحن الآخر فيرى من مجلسه سائر ذلك

وذكر أيضا ان محمد بن عبد الملك الهمذاني قال في تاريخه ان أبا علي بن مقلة حين شرع في بناء داره التي من جملتها البستان المعروف بالزاهر على دجلة جمع ستين منجما حتى اختاروا رقناً لبنائه (قال) فأحرقت هذه الدار بعد ستة أشهر فلم يبق فيها جدار . وراجع أيضا صلة عريب ١٥٤

فأشار بردّ أبي على ابن مقلة موافقةً لمونس وذلك بعد ان سأله ان يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدرُ : هـذا غير ممكن فاذكرْ سِواهُ . فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبـد الرحمن بن عيسى فمال المقتدر الى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلة وما ظهر من عداوته له فأمر باحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر وكانت مدّة وزارة أبي على محمد ابن على بن مقلة سنتين وأربعة أشهر

﴿ ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي على وتقلّد سليمان بن الحسن لها ﴾

أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدرُ بالله اليه فى ذلك اليوم وعاد من غدٍ وهو يوم الخميس فوصـل وخلع عليه وتقدّم المقتدر الى على بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمـال والدواوين وبمُعـاضَدَة سليمان والأ يتراخى فى ذلك فصار يصل مع سليمان الى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفهُ ولا يعمل شيئاً الاّ بموافقته على بن عيسى (٣٣٤)

﴿ وفيها قُبض على البريديين وصُودروا ﴾

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال : كان أبي يكتب لاحمد بن نصر القُشورى وكان أحمدُ يطمع أن يُجعَل مكان أبيه نصر ويُستحجَب قال : فبينما نحن بين يدى أحمـد بن نصر بالأهواز وكان يتولّى أعمال المعاون بها اذ ورد عليـه توقيع من المقتدر بالله بخطّه مع ركابىّ يعرفه سراً يقول فيه : يا أحمد قد عرفتَ ذنبك الذى جنيتهُ وحرمت به نفسك رأيي وقد تيسرّ لك تلافيه بامتثال أمرى فيما أضمّنهُ توقيعي هذا اقبض على البريديين الثلاثة

وحصلهم في دارك واياك أن تفرج عنهم الا بتوقيع يرد عليك بخطي كهذا الخط الذى فى هذا التوقيع وثق منى بالعود لك اذا فعلت ذلك الي ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك . قال : فاقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر فى الوقت الى دار ابى عبد الله وأنفذ حاجبهُ أبا يعقوب الى دار أبي يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل الى دار أبي الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طيارتهم . وكان الخبر قد سبق اليهم فاظهروا أنهم يريدون مسجد (٣٣٥) الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنهم ساروا الى البصرة فقامت قيامته من ذلك

وأنفذ أبا يعقوب والغلمان وراءهم فاتفق ان عصفت الريح على البريديين فمنعتهم عن السير ولحقهم الطلبُ فأخذوا

وبذل أبو عبد الله لأبي يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله ان يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى وردّهم وحصلوا في دار أحمد بن نصر . ولم تمض خمسة أيام حتى ارتفعت ضجة فقال لى أحمد بن نصر : أخرج فأعرف ما سبب هذه الضجة قال : وكان سلّم اليهم داره الشطية واعتزل فى حجرة فخرجتُ مبادراً فرآنى أبو عبد الله فقال : قُل له وبشّرهُ أن الفرج قد أتى وان هذا كتاب الوزير بالاطلاق وإقرارى وان انظر فى الاعمال . وأعطانى الكتاب وبادرتُ به الى أحمد بن نصر فقرأهُ وخرج اليه والى أخويه وقال : هذه نعمة يلزمنى فيها الشكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خط أمير المؤمنين الىّ بما رسمهُ وأريد خطاً مثلهُ بما ينقضهُ . فتغيرت وجوهُ الاخوة

من ذلك واضطربوا حتي ظهر على وجوههم ما فى قلوبهم ثم أخذوا فى مُداراته ومسئلته الرفق (٣٣٦)

فلما كان من الند شغب الرجّالة بالاهواز تعصّباً لهم وقالوا : لا بدّ من إطلاقهم. وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصرية وعدّه كثيرة من السودان والغلمان الحجرية فجمعهم ثم حلف بالطلاق أنه ان هجم على داره أحدٌ منهم قتلهم وأخذ رؤس الثلاثة وحملها الي الخليفة وقال : هـذا كتاب مُزوّر والا فلِمَ لا يقع تثبيت وانما ضربتُم علىّ الرجّالة وراسلتموهم فى حمل السلاح وأخذكم من منزلى لئلا يظهر ما زوّرتموه وتتعجّلون الخروج والهرب. فلما رأوا المَصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم له وراسلوا الرجّالة فى الانصراف بعد أن حلفوا أنهم يتبرّءوا بالتعصب لهم وأقاموا بمكانهم

ووافى بعد عشرة أيام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخطّ فتسلمهم وحملهم وعلم أنهم كانوا زوّروا واحتالوا وتأكّدت الوحشة بينهم وبين أحمد بن نصر القشوري ولم يزالوا عليها حتى فرق بينهم الدهر

ولما ورد البريديون الحضرة نوظروا على المُصادرة فقال أبو زكريا يحيي بن سعيد السوسى وكان فى الوقت عدواً لهم : بكرتُ الى أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخى وقلتُ له : الأهواز (٣٣٧) خطة القاسم أبيك وهى دارك ودار أخيك وأنتم تتصرّفون فيها منذ ستين سنة فلِم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة وهلّا سعيتَ على سحقهم وسحبهم حتى لا يبقى لهم جناح يطيرون به ؟ فقال : يا أبا زكريا ما الذى تقدّره فى مصادرتهم التى تؤدّيهم الى هذه الحال ؟ فقلتُ : معظما ثلثمائة ألف دينار

يزهق الله به نفوسهم. فقال لى: يا أخ قم بنا حتى نعبر الى دار الوزير. (وكان يومئذٍ أبو القاسم سليمان بن الحسن) فخرجت معه فنزلنا الطيّار فلما وصلنا وتوسّطنا الدار وجدنا أبا القاسم الكلوذانى فى جانب منها والبريديين بين يديه والكُتّاب فقال لى أبو جعفر: ترى أن نقضى حقّه ونُعرّج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نُخاطب الوزير به بحسبه؟ فقلت: صواب. فعد لنا الى أبى القاسم وجلسنا عنده فقال لأبى جعفر: قد فصلنا أمرَ أصحابنا وأنت وجهُ الحضرة وتاجُها وحُرُّها وهم اخوتك وما أحقك بمعونتهم فقال: ان أيسَر مايكون لهم أيّدهم الله مُشاركتهم فى المحنة فأما المعونة فما أقنعُ من نفسى بها فعلى كم انفصلَ أمرُهم؟ فقال: على تسعة الآف ألف درهم. قال أبو زكريا:[٣٣٨] فنظر الىّ أبو جعفر وقد بُهتُّ. ونهضنا فقال: يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك. فقلتُ: هذا الأمر يُراد والله ما يتلكون هذا المال فانى أعرف بمكاسبهم ولكن لأبى عبدالله نفس أبية وهمة علية فعرفت نفسه على سلطانه فأعطاه أكثر مما اطمع فيه ومما سعى به أعداؤه متربصاً بالأيام والأوقات ومتوقعاً الدوائر وان يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب فى تجديد الصنيعة عنده وما كل أحد يغرر هذا التغرير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شرّهُ. قال أبو زكريا: وعدلتُ مذ ذلك اليوم الى مداراته وخدمته واستصلاحه

وتقدّم المقتدر بالله الى سليمان بن الحسن وأبى الحسن على بن عيسى بمناظرة أبى على ابن مقلة فاختارا لذلك أحمد بن محمد بن صالح العكبرى وانفذه الى دار السلطان فناظرهُ ولم يزد على توبيخه ومواقفته على قبيح

آثاره . فالتمس أبو علي ابن مقلة أن يكون المناظر له علي بن عيسى فاجتمع الوزير سليمان وعلى بن عيسى على مناظرته فى دار الحجبة بحضرة ياقوت الحاجب فاغلظ له سليمان فى الخطاب [٣٣٩] والتخطئة والاحتقار ونسبهُ الى التضريب بين السلطان وأوليائه الى أن قرّر على بن عيسى أمرهُ على مائتي ألف دينار على جمل يُعجّل منها النصف ويودّى الباقي فى نجوم المصادرات وكانت تلك النجوم انما هى رسمٌ لا يطالب من يؤخذ خطه بها . فكتب مونس المظفر الي المقتدر يشفع لابن مقلة ويسئله ان يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً فى يد مرشد الخادم فأجابه الى ذلك

(ودخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة)

وفى هذه السنة استوحش مونس المظفر زيادة استيحاش .

﴿ ذكر السبب فى استيحاش مونس وخروجه ﴾

كان محمد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً الى الحسين بن القاسم ومونس المظفر وأسبابه يميلون الى سليمان لمكان على بن عيسى وتقدّمهم به وينحرفون عن الحسين بن القاسم وقوى أمرُ محمد بن ياقوت وقلّد مع الشرطة الحسبة واستضمّ رجالا وقويت بهم شوكتهُ فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن [٣٤٠] الحسبة وتقليد ابن بطحاء [١] ففعل ذلك .

(١) وأما أبو اسحق ابراهيم بن البطحاء فقد وردت في تاج العروس (٦ : ٣٧٨) رواية من تاريخ الخطيب فى ترجمة المتقى بالله : اجتمعت فى أيامه اسحاقات وانسحقت خلافة بنى العباس في زمانه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التى كان بها فخرهم . وذلك انه كان يكنى أبا اسحق ووزيره القراريطى كان يكنى كذلك وكان قاضيه أبو اسحق الخرقى ومحتسبه أبو اسحق بن بطحاء وصاحب شرطته أبو اسحق بن أحمد بن أمير خراسان

وتقدّم مونس الى أصحابه بالاجتماع اليه فلما فعل ذلك جمع باقوت وابنُهُ الرجال فى دار السلطان وفى دار محمد بن ياقوت . وقيل لمونس ان محمد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارقهُ أصحابه حتى أخرجوه الى باب الشمّاسيّة وخرجوا معه . وصار اليه على بن عيسى فعرّفه خطأ هذا الرأى وأشار عليه بأن يعود الى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره .

وطالب بصرف محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوت عن الحجبة وابعادهما عن الحضرة فوجّه المقتدر قاضى القضاة أبا عمر وابنهُ الحسن وابن أبى الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب الى مونس برسالة يرفق فيها ويسئلهُ الرجوع الى داره . فقال قاضى القضاة : الوجه ان يكتب رُقعة بما حمّلناه من الرسالة نرجع اليها ونثنى الكلام على معانيها فانا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون . فقال الوزير : وما معنى هذا ؟ فقال على بن عيسى : هذا هو الصواب . وكُتب بذلك رُقعة .

وقعد الوزير وعلى بن عيسى فى دار السلطان ينتظران عودَ الجماعة فعادوا وذكروا انهم (٣٤١) لم يصلوا الى مونس وانهم اجلسوا فى الحديدى ورسلهم مونس فى إعلامهِ بما وردوا فيه فذكروهُ له فصار اليهم كتابُهُ يخاطبونهم خطاباً جميلا عنه . فبينما هم كذلك اذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يفترسونهُ وقالوا : لا نرضى الاّ باخراج ياقوت وابنيه . وتكلموا بكلام قبيح فراح فى آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلى بن عيسى ومن

وكانت داره القديمة في دار اسحق بن ابراهيم المصعبي وكان الدار نفسها لاسحق بن كنداج ودفن في دار اسحق في تربته بالجانب الغربي

معهما من خدم الخاصة الى باب الشماسية فشافهوا مونساً بالرسالة فلم يبعد [١] عليهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم في الحديدى . فخرج ياقوت في تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابناه فلما كان من غد ذلك اليوم وعرفت المونسية ان ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا عن الوزير والجماعة وانصرفوا الى منازلهم

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب الى أبي طاهر محمد بن عبد الصمد بالانضمام اليه وانضم اليه وخاطبه بالاستاذية وقلّد المظفر بن ياقوت أصبهان وتقلّد ابنا رايق ابراهيم ومحمد مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدّة . وكان علي بن خلف [٢] (٣٤٢) بن طاب متضمناً أموال الضياع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا فقطعا الحمل عن السلطان الى ان ملك علي بن بُوَيه الديلمي فارس يوم السبت سنة ٣٢٢

وفيها دخلت قوافل الحاجّ من مكة سالمين مع مونس الورقاني فاستبشر الناس بتمام الحج وانفتاح الطريق وضربت له القبابُ ببغداد

وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن [٣]

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان سليمان أضاق اضاقة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلّح وانصلت الرقاع ممن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان ابن الحسن وأبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني فشق [٣] من ذلك وجزع جزعاً عظيما وحملا الى دار السلطان . وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد

(١) لعلهم يعتد (٢) راجع صلة عريب ١٦١ (٣) امله فشق عليه والاصل غير واضح ٣١٩

الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوذانى فاضطر المقتدر الى تقليده وكانت مدة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج اليه [٣٤٣] مفلح برسالة المقتدر بأنه قد قلده وزارته ودواوينه ولم يوصله اليه وتقدم اليه بأن يحضر اليه يوم الاثنين ليخلع عليه . فخاف الكلوذانى من حيلة تتم للحسين بن القاسم فى تقلده الوزارة لانه بلغه ان الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفر وقال : لا يؤمن ان يحتج الخليفة فى تأخر الخلع على الكلوذانى بانه لم تعد له الخلع . وأشار بأن يوجه مونس بخلع من عنده الى دار السلطان ليخلعها عليه ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبى القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى يوم الاثنين وخاطبه بتقليده الوزارة والدواوين وتقدم اليه بأن يقلد الحسين بن القاسم ديوانا جليلا ليظهر ويزول عنه الاراجيف بالوزارة . ووصل على بن عيسى بوصول الكلوذانى فأمره المقتدر بحضرة الكلوذانى بأن يجري على عادته فى الاشراف على الامور والحضور معه وعرّفه انه قد أفرده بالنظر في المظالم دون الكلوذانى فركب الكلوذانى فى الخلع من دار السلطان الى داره فأخذ خط سليمان بن الحسن بمائتى الف دينار

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر [٣٤٤] من الشام وأبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله من نواحى جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح منصرفاً الى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلده الكلوذانى مكرها وانقطعت بتقليده موادّ كانت تصل الى الكلوذانى

وأبي الفياض من أرزاق قوم لا يحضرون وتسبيبات باسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبب للغلمان والوكلاء فى الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويتاع ببعضه ما يحتاج اليه وأشياء تشبهُ هذه ولم تنبسط يد الكاوذانى على قوم لعناية مونس المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققا بمفلح الاسود فأوصلهُ مفلح الى المقتدر وجعلهُ واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة . وكان ابن قرابة ذكر له ان الوزراء كانوا يرتفقون بها وان الضمناء قد بذلوا ان يرفقوا به الخليفة ليصرفه فى مُهمّ نفقاته لشدّة الاضاقة . وكان ابن قرابة يظهر للمقتدر ولمفلح الاسود انه يمشي أمر الوزارة وان الوزراء لا يتمُّ أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكاوذانى ويقرضه عن (٣٤٥) بنى البريدى وغيرهم بربح درهم فى كلّ دينار فاقرضهُ مائتى ألف دينار مشى بها أمرُ الكاوذانى وعمال المصادرات

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت بين هرون بن غريب وبين مرداويج بنواحى همذان وان هرون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره الى حلوان . ونزل هرون بدير العاقول

وفيها قصد لشكرى الديلمى أصبهان وحاربهُ أحمد بن كيغلغ فانهزم أحمد وملكَ لشكري اصبهان وهذا لشكرى من أصحاب أسفار بن شيرويه فلما قصد هرون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن اليه لشكرى ثم لما انهزم ابن الخال انهزم لشكرى بانهزامه الى قنسرين فلما تأهّب ابن الخال ثانياً وجُهِّزت اليه العساكرُ من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكرى الى نهاوند من الدينور مع جماعة من الغلمان لحمل مالٍ اليه ورسم أن يحمل المال

الى همذان ويقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكرى الى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها فى مدة أسبوع وأثبت جنداً ثم خرج الى الكرج ففعل مثل ذلك [٣٤٦] واتصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه وسار حتى وقع الى اصبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلغ

﴿ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلغ بعد هزيمته ودخول ﴾
﴿ أصحاب لشكرى أصبهان ﴾

حكى أبو الحسن الماذروخى أنه كان باصبهان فى الوقت وان أحمد بن كيغلغ انهزم أقبح هزيمة ثم لجأ الى بعض القرى فى ثلاثين نفساً معه وراء حصنها. ودخل أصحاب لشكرى اصبهان ونزلوا فى الدور والخانات والحمامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال: ما هذه؟ فقيل: شرذمة من الكيغلغية. فركب فى الوقت يريدها فلما قرب منها أسرع أحمد بن كيغلغ اليه بعد أن علم أنه هو فتناوشا وكاد لشكرى يستأسره فخرج أهل تلك القرية فزعقوا به فضعفت نفس لشكرى وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد بسيفه ضربة قدّ المغفر والخوذة ونزل السيف فى رأسه فقتله وخر لشكرى ساقطاً فنزل أحمد اليه وحزّ رأسه وعرف أصحابه الخبر فطاروا [٣٤٧] هاربين وكان فتحاً طريفاً واتفاقا عجيباً وكانت سنّ أحمد بن كيغلغ ومئذ تجاوز سبعين سنة.

وفيها صُرف الكلوذانى عن الوزارة وقلّدها الحسين بن القاسم

﴿ ذكر السبب فى تقلّد الحسين بن القاسم الوزارة وما تمّ له من الحيلة فيها ﴾

كان أبو القاسم ابن زنجى يحكي فى توصُّل الحسين بن القاسم الى الوزارة خبراً طريفاً ويقول : كان أبو على الحسين بن القاسم يُعرف بأبى الجمال وكان لى صديقاً يسكن اليَّ ويستدعيني الى الموضع الذى كان مُستتراً فيه ويشاورنى فالزمني بذلك حقاً وحُرمة فاجتهدتُ فى السعى له والتوصُّل بكلّ سبب وحيلة الى أن تقلَّد الوزارة . فكان من أنجع ما عملتُهُ أن رجلا بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمنى ويبيت عندى ويخرج الىّ بسرِّه ويحدثني أنه يظهر كتباً ينسبها الى دانيال بخط قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مُقطَّعة اذا جُمعت فُهمت واستوى له بذلك جاه وقامت له به سوقٌ . ووصلت اليه جُملة من القاضى أبى عُمر وابنه أبى الحسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به (٣٤٨) لأنه عرَّفهُ أنه وجد فى الكتب أنه من ولد جعفر بن أبى طالب فجاز ذلك عليه ووصل اليه منه برٌّ كثير . فانفتح لى ان سألتُهُ إثبات فصل فى كتُب يكتبُها بشرح ما استلهُ فأجابنى الى ذلك فوصفتُ له الحسين بن القاسم واقتصرتُ من وصفهِ على ذكر قامته وآثار الجدرى فى وجهه والعلامة التي فى شفته العليا وخفة الشعر هُناك وانه ان وزر للثانى عشر من خلفاء بنى العباس استقامت أموره كلُّها وعلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا فى أيامه . ودفعت النسخة الى الدانيالى وواقفني على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويجعل هذا الباب فى تضاعيفها فسألتُهُ تقديم ذلك ولم أزل أطالبهُ حتى أعلمني أنه لا يستوي على ما يريد حتى لا يشك فى قِدَمه وعتقه فى أقلّ من عشرين يوماً وانه يحتاج أن يجعلهُ فى التبن أياما ثم يجعله في الخُفّ ويمشى فيه أياماً وانه يصفّر ويعتق . فلما بلغ المبلغ الذي

قدّر صار الىّ وهو معه وأرانيه فوقفتُ على الفصل ورأيتُ دفترآ لولا ما عرفتهُ من الأصل فيه لحلفتُ على أنه قديمٌ (٣٤٩) لا شك فيه . ومضى بذلك الى مفلح فقرأه عليه فى جملة أشياء قرأها فقال له مفلح : أعِد علىّ هذا الفصل . فأعاده ومضى مفلح الى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضرهُ اياه فقال له : منَ تعرف بهذه الصفة ؟ وأقبل المقتدر يكرّرها فذكر مفلح أنه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف انساناً يوافق هذه الصفة صفته فقال مفلح : لستُ أعرفُ بهذه الصفة الاّ الحسين بن القاسم الذى يقال له أبو الجمال . فقال له المقتدر : ان جاءك صاحبٌ له برقعةٍ فخذها منه وان حملك رسالة فمرّ فنيها واكتمْ مايجرى فى أمره ولا تعلم أحداً به . وخرج مفلح الى الدانيالى فقال له : هل تعرف أحداً بهذه الصفة ؟ فأنكر ان يعرف ذلك وقال : انما قرأتُ ما وجدتهُ فى كتب دانيال ولا علم لى بغير ذلك .

وانصرف الىّ فحدثنى بهذا الحديث فقمتُ من فورى الى الحسين بن القاسم فاعدتهُ عليه فسر به غاية السرور وابتهج نهاية الابتهاج وظهر فى وجهه استبشارٌ عظيم وقال لى : اعلم ان أبا بشر الكاتب (٣٥٠) كان أمس عند مفلح برسالة لى اليه فانصرف كاسف البال ظاهر الانخزال مغموما بما شاهدهُ من اعراضهِ عنه فغمنى ذلك . فقلتُ : الآن يتبين لناصدقُ الدانيالى من كذبه ابعثْ بأبى بشر فى غد الى مفلح برسالة منك فانه سيتبين له فيما يعامله به صحة ما حكاهُ من بطلانه . فدعا أبا بشر النصرانى كاتبه وحمّله اليه رسالة ووكّد عليه فى البكور اليه فلما كان من غد آخر النهار مضيت اليه اتعرّفُ خبره وما جرى فدعا أبا بشر وقال له : اعِد عليه خبرك . فأعلمنى

انه دخل اليه وفى مجلسه جماعة فرفعهُ عليهم فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه يحدثه ثم استدناهُ وسأله سرًّا عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال « تقرأ عليه سلامى وتعرّفه تكفُّلى بأمره وقيامى به » وكلاما فى هذا المعنى وان ينفذ اليه رُقعة ليوصلها وينوب معه . قال لى أبو بشر : وانصرفت وأنا فى نهاية قوة النفس والثقة بالله عزّ وجل وبتمام ما يسفر فيه . فاعلمتُ الحسين ان الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثرهُ .

قال : [٣٥١] ثم ان الدانيالى طالبنى بالمكافأة فطيبتُ نفسهُ واستمهلته الى ان تقلّد الحسين الوزارة فاذكرته حق الرجل فقلّده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار فى كل شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسهُ فيجلسه الى جانبهِ لمسوَرته ثم مضت أيّام فقال : لا يقنعنى ما أجرى لى . وسأل زيادة فكلّمتُ الحسين بن القاسم فى أمرهِ فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب برسم الفقهاء . وكان ما ذكرتهُ من حديث الدانيالى من أوكد الاسباب فى تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين فى أمرهِ .

وانضاف الى هذا الخبر الذى أخبر به أبو القاسم ابن زنجى ان الكلوذانى عمل عملاً لما يحتاج اليه من مُهمّ النفقات وأخذ خطّ صاحبى ديوان الجيش والنفقات باعمال أُخر مفردة عملوها لما يحتاج اليه بزيادة مائتى الف دينار على ما عمل هو حتى تبين للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة الف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له : ليس لى معوّلٌ الاّ على ما يطلقه أمير المؤمنين [٣٥٢] لانفقهُ . فعظم ذلك على المقتدر فلما بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذى عملهُ الكلوذانى كتب رُقعةً الى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير

ان يطلب منه شيئا وانه يستخرج سوى ذلك الف الف دينار يكون فى بيت مال الخاصة . فاتفذ المقتدر رُقعته الى الكلوذانى وقال : هـذه رُقعة فلان ولستُ اسومك الاستظهار بالمال وما أريد منك الا القيام بالنفقات فقط . فقال الكلوذانى : قد يجوز ان يتمّ لهذا الرجل مالم يتمّ لى . وسأله تقليد من ضمن هذا الضمان فاعفاه من الامر . فلمّا وقف المقتدر على تبلح الكلوذانى وحصل في نفسه مابذله الحسين بن القاسم عمل على ان يستوزرهُ وعلم شدة كراهية مونس المظفر لذلك فراسلهُ على يد مفلح بأن يجتهـد في إصلاح اعدائه . فابتـدأ الحسين ببنى رائق فكان يمضى بنفسـه الى كاتبهم ابراهيم النصرانى ويضمن لهم الضمانات حتى صـلحوا له ثم فعـل ذلك بأبى نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطفن بن يعقوب كاتب مونس وقال له : ان تقلّدتُ الوزارة فانتَ قلّدتنيها . فأشار عليه بملازمة [٣٥٣] أبى على يحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق ففعل ذلك وكان يلبق قد سمع انه متّهم فى دينه شريرٌ فجمع أبو على الطبرى بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكلّ يمين يحلف مسلم ومعاهدٌ انه مكذوبٌ عليه فى كلّ ما يطعن به عليـه فى دياتهِ أوّلا ثم فى عداوتهِ لمونس وخاصتهِ وأصحابه لا ينوى لاحد من الناس سوءاً ولا يأخذ الاموال الا من بقايا صحيحة على تجار ملإٍ كسروا مال السلطانِ من أثمـان الغلاّت ومن ضُمناء قد ربحوا ربحاً عظيما . وضمن الحسين ليلبق ضياعا جليلة كـذلك لـكاتبـه فسمى له يلبق وسأل مونساً فى أمرهِ وسـأل مونس المقتـدر فتقرّرت الوزارة له وبلغ ذلك الـكلوذانى فواصل الاستعفاء .

واتفق ان دخـل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل فى ماه الـكوفة

وحلوان وهـذه نواح لم يتغلب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخرت فطالبوا الكاوذاني وأصرهم الكاوذاني بالرجوع لينفق فيهم هُناك فلم يسمعوا ورجود بالآجُرّ وهو مُنصرف فى طيّاره . فجعل ذلك حجة وأغلق بابَهُ وحلف على انه لا ينظر فى أعمال [٣٥٤] الوزارة فكانت مدّة وزارته شهرين وثلاثة أيّام .

وكتب المقتدر الى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب اليه وجوه الكتاب والعمال والقوّاد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار اليه مع قاضي القضاه أبى عمر محمد بن يوسف وابنه والقاضى ابن أبى الشوارب [١] وكتب عن المقتدر بخبر تقليده الوزارة الى خراسان وجميع النواحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان . فعدل عن الجلوس للتهنئة وتشاغل بالنظر فى أمر المال وما يحتاج اليه فى نفقة العيد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لانهما كانا يتوليان ديوان المشرق وزمامَهُ وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العُمّال والضُمناء بسبعين ألف دينار . وصار اليه على بن عيسى آخر النهار فهنأهُ وقد كان الحسين شرط لنفسه الا ينظرُ علي بن عيسى فى شيء من الامور ولا يجلس للمَظالم فأجيب الى ذلك

وتبسط كاتب بني زاقش وكلّ منَ كان سعى له فى الوزارة فى طلب الأموال حتى قبضوا علي شذاةٍ وردت من الأهواز [٣٥٥] فيها مال الأهواز واصبهان وفارس فكتب الحسين الوزير الى المقتدر يشكو هذه

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب كذا فى تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٢٢ وفى صلة عريب ص ١٣٩ هو الحسين بن عبد الله

الحال فلم يُنكِر كلّ الإنكار فوقع الاتفاق بين الحسين وبين ابني رائق على أن يأخذوا من المال النصفَ ويفرجوا عن الباقي ففعلوا ذلك

وكانت دِمنَة جارية المقتدر حظيّةً عنده وكانت تُوصِل رِقاع الحسين الى مولاها وتقوم بأمرهِ فحمل اليها جملة عظيمة من المال وبعث الى ابنها وهو الأمير أبو أحمد اسحق أيضاً جملة [1] واستأذن المقتدر أن يستكتب له أبنَهُ القاسم بن الحسين فأذن له فى ذلك وضمن لِدمنة أن تحمل الى ابنها فى كلّ يوم مائة دينار وتدفَعُ عن صرفهِ

واختصّ به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدّم له جُملة من المال عن الضّمناء بربح درهم فى كلّ دينار على رسمهِ . واختصّ به من القُوّاد جعفر بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وقلّدهُ أعمال الحرب والخراج والضياع بحلوان ومرج القلعة وماه الكوفة والبسّة القباء والسيف والمنطقة وتسمى بالأمارة وخوطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كُوَر [356] المشرق وينتزعها من يد مرداويج وكان قداحتجن أموال السلطان من بقايا ضمانٍ كانت عليه فى أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضياع والخراج الخاصّة والعامة وكانت جملة عظيمة . وكان تقلد كرمان فى بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارِفُهُ أنه ما أنفق منها درهماً واحداً وانفقت له أشياء تجرى هذا المجرى. وتجرّد الحسين بن القاسم لاخراج على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن الى مصر والشام فراسل المقتدر على بن عيسى فى ذلك ودفع عنه مونس

(١) قال صاحب التكملة انه كان يخدمها ويخدم ابنها في كل يوم بمائة دينار . وابنها هو والد الخليفة القادر بالله

المُظفر وقال : هـذا شيخٌ يُرجَع الى رأيه ويُعتضد بمكانه . الى أن تقرّر أمرُه على أن يخرج الى الصافية فخرج [1]

وابتدأ مونس فى الاستيحاش والتنكر فى يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجّة

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعةٍ من القُوّاد على التدبير عليه . وبلغ الحسين تنكُّر مونس له وأنه عزم على كبسه بجماعةٍ من خواصه فى الليل للقبض عليه [٣٥١] فتنقل فى مدّة عشرة أيام فى نحو عشرة مواضع وكان لا يُعرّف له دارٌ ولا موضع يلقاهُ فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين الا اذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام فى دار الخليفة . وراسل مونس المظفر المقتدر بالله فى صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه الى صرفه والتقدُّم اليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه ونفيه الى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وتردّدت بينهما فيه رسائل . وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبى العباس من داره بالمُحرّم والخروج به الى مصر والشام ليعقد له الأمر فى الخلافة هُناك وأشار بردّ الأمير أبى العباس الى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك . ووقف الامير أبو العباس على ما فعلهُ الحسين ابن القاسم فحقده عليه فى نفسه الى أن أفضت اليه الخلافة فنزل به من المكروه ما سنشرحهُ فى موضعه ان شاء الله

وكتب الحسين بن القاسم الى هرون بن غريب وهو بدير العاقول

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٥ انه أخرج الي ديرقنا

بعد هزيمته من بين يدى مرداويج بالمبادرة الى الحضرة فزادت وحشة مونس بهذه الاحوال وصحّ عنده أن الحسين بن القاسم [٣٥٨] فى تدبير عليه فخرج من داره لخمس خلون من المحرّم وجلس فى حديدى وامتدّ الى باب الشماسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هُناك . وكتب مونس الى المقتدر بأن مفلحاً الاسود مُطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وان نفسه لا تسكن الا بانفاذ مفلح اليه ليُقلّدهُ اجلّ الاعمال ويخرج فكتب المقتدر بأن مفلحاً خادمٌ يثق به فى خدمته وانه ليس ممّن يُدخل نفسهُ فيما ظنّهُ به . وبلغ مونساً أن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجريّة فى دار السلطان وانه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وان هرون بن غريب قد قرُب من بغداد فأظهر الغضب وسار الى الموصل . ووجّه يُشرى خادمه ليؤدى رسالة الى المقتدر فلما حصل يُشرى فى دار السلطان بحضرة الحسين ابن القاسم قال له الحسين : هات الرُقعة التى معك . فقال له : ليس معى رُقعة وانما معى رسالة . قال : فتذكرها . فقال : قد أمرتُ الا أذكرها الا للخليفة . فوجّه الحسين الى المقتدر بالله وعرّفهُ ذلك فوجّه المقتدر الى يُشرى يأمره أن يؤدي الرسالة الى الحسين فقال يشرى : حتى أمضى واستأذن صاحبى [٣٥٩] فى ذلك واعود . فشتمهُ الحسين وشتم صاحبهُ وأمر به فقُبض عليه وضربه بالمقارع وقال : لا أرفع عنك الضرب أو تكتب خطك بثلثمائة ألف دينار . فكتب وأمر به الى الحبس ثم وجه للوقت الى داره وقبض على أمرأته وصادرها وحمل ما فيها . ولما بلغ مونساً ما جرى على خادمه بشرى امتدّ واصعد ومعه من كان برسمه من قوّاده وأصحابه وكتب الحسين بن القاسم الى من كان معه من القوّاد والغلمان

بالانصراف عنه والمصير الى باب السلطان فانصرف عنه جماعة منهم [1] ومضى مونس في خواصه وغلمانه مسرعاً الى الموصل . ووقع الحسين بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفردلها ديواناً سماه ديوان المخالفين وردّهُ الى محمد بن جني

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ اليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكنّى ويلقّب عميد الدولة وان يضرب لقبهُ على الدنانير والدراهم ففعل ذلك وخلع عليه يوم الاثنين لاربع بقين من المحرّم وانشأ في ذلك كتابا نفذ الي جميع الاعمال والاطراف . وصرف قوما وقلّد قوماً فكان فيمن قلّد [٣٦٠] أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدى وذلك بمسئلته فقلّده أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون الف دينار وقع بتسبيبها على مال الاهواز . فلمّا وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم الايقى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتى يحتاج الى ان يسبب على غيرها وتقدم باخراج الجماعات والحسبانات اليه وتقدّم الى كلّ واحد من أصحاب المجالس ان يخرج اليه ماعنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات اليه وهو ينظر فيها وفى أعمال كُتّاب المجالس ويضيف من عمل الى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة الى بعد العتمة الى ان انتظم العملُ على ما أراد . ثم احضر أبا يوسف البريدى ووافقه عليه ولم يتهيأله انكارشيء مما أخرجه فاعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للاولياء وان يثبت لحفظ

(١) وفي صلة عريب ص ١٦٧ كان ممن رجع عنه أبو دلف القاسم بن دلف ومحمد بن القاسم بن سيما

السور الف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات الراتبة ويحمل اليه بعدذلك كله ستين الف دينار الى بيت المال[٣٦١] بالحضرة. فصار الفضل بن جعفر بالخطّ الى الوزير الحسين بن القاسم متبجحا به وعرضه عليه وعرّفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتى تقرّر على ما كتب به خطّهُ.

فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذى قدّره الفضلُ وتبين منه تكرُّه له وظنّ انه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله فلما تبين الفضلُ الصورةَ راسل المقتدر بما فعله فوقع ذلك عنده احسن موقع وشاع ماعمله فى الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم. واتصل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد ان يضع منه فواقف ابن جبير على مهارته فى المجلس والغضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتى تكلّم بما لم تجر العادة بمثله والحسين ممسكٌ عن الجميع لا يكفّ أحدهما عن الآخر فلما تبين أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال: ليس المكلم لى أنت بل المكلم غيرك. فلما ولى خارجا عرفَ الحسين الخطأ فيما جرى فقال لابى عبد الله زنجى: ان أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ ان يخرج على هذه الجملة فأحبّ ان تلحقه وترضيه وتردّه. فبادر اليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتى[٣٦٢] ردّه واعتذر اليه الحسين من خطاب ابن جبير له. وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقى ديوانه شاغراً الى ان يئس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوذانى الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له فى طلب الوزارة حتى تمّ له كما سنذكرهُ.

ولما لم[1] يعد مونس الى بغداد وجّه الحسين الى ابن مقلة فصادره وكان معتقلا فاعطى خطّهُ بمائتى الف دينار وأنفذ الى على بن عيسى وهو بالصافية يستحضره وأطمع المقتدر من جهته فى مائتى الف دينار فلما وصل الرسول الى الصافية وجد بها هرون بن غريب وكان هرون شديد العناية بعلى بن عيسى فمنعه من حمله وقال : انا اخاطب أمير المؤمنين فى أمره. فلما وقف الحسين على عناية هرون بعلى بن عيسى أمسك عنه .

ولما وصل هرون بن غريب الى دار السلطان وصل اليه فى خلوة وانصرف الى داره فقصدهُ الوزير وابنا رائق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره. فخاطب المقتدر فى أمر على بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه فى أمر أبى على ابن مقلة فحط من مُصادرته خمسين ألف دينار وأمر بحمله اليه . ثم لم يستصوب ذلك [٣٦٣] وخاف ان يكاتب مونسا أو يُراسله فسأل ابنُ مقلة هرونَ ان يُعاود الخطاب فى بابه ويستحلفه بايمان مغلظة الاّ يكاتب ولا يراسل مونسا ولا أحدا من أسبابه ففعل ذلك وحُمل اليه قال : فحدّثنا أبو على ابن مقلة فى وزارته للراضى انه أخذ فى استماحة الناس وأدى المال كلّه بما وصل اليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وانه اشترى بها ضياعا باسم عبد الله بن على النفّرى [٢] ووقفها على الطالبين .

وكتب الحسين الى ياقوت بالقبض على الخصيبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفة على بن محمد بن روح بالخبر اليه فخرج من يومه من شيراز مستتراً حتى وافى بغداد واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وكان الفضل بن

(١) بالاصل ولما يعد (٢) وفى التكملة «المقرى»

جعفر مستترا عنده أيضا فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمد بن ياقوت من الاهواز . وقُبض على محمد ابن المعتضد بالله وعلى أبي أحمد ابن المكتفي بالله وحدرا الى دار السلطان واعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة في التوسعة على محمد بن المعتضد وفي اكرامه وأهدت اليه عدّة من الجواري .

وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب (٣٦٤)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

اشتدت الاضاقة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة ٣٢٠ شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة لِتمام نفقات سنة ٣١٩ الخراجيّة . وعرف هرون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقليد الخصيبي الوزارة وكتب له أمانا فظهر نفوطب في تقلد الوزارة فذكر انه لم يبق للسلطان في النواحي من مال سنة ١٩ شيء وقد بقي منها نحو ثلاثة أشهر وان الحسين قد استسلف من مال سنة ٢٠ قطعةً وافرةً وانه لا يفرّ السلطان من نفسه . فاشار عليه هرون ان يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الاصول في يد الحسين ليضبط الاموال مُستأنفا فرضي الحسين بذلك وتقلّد الخصيبي دواوين الازمّة وأجرى عليه وعلى كُتّابه الفي وسبعمائة دينار في كل شهر وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الارجاف

ثم ان الحسين بن القاسم عمل أعمالا أخذ فيها (٣٦٥) خطوط أصحاب الدواوين الاصول والازمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الاموال من النواحي وما يُرجى حصولهُ منها . وقدّر النفقات تقديراً مُتقاربا للارتفاع فسكن بذلك قلب المقتدر فسلّم المقتدر ذلك العمل الى الخصيبي وأمره بتتبّعه فوجد

الخصيبي الحسين بن القاسم قد احتال بان أضاف الى ما يقدّر حصوله من النواحي أموال نواحٍ قد خرجت عن يد السلطان بتغلّب من تغلّب عليها مثل الديلم على أعمال الرى والجبل ومونس على أعمال الموصل وديار ربيعة وما لم يُحمل من ديار مُضَر ومن مصر والشام منذ أربع سنين وذلك جملة عظيمة وأسقط من النفقات الزيادات التى زادها هو للجند والحاشية وغيرهم ولم يُسقط من الاموال التى يقدّر حصولها من النواحى ارتفاع ماباع من الضياع فعمل الخصيبي عملاً عرضهُ على المقتدر فامر المقتدر ان يواقف عليه الوزير فاجتمع الكُتّاب وأمره المقتدر بمُناظرتهم . فلما خاطبوه أخذ فى التشنيع عليهم وانهم سعوا به وقال : فى أى شيء غالطتُ السلطان ؟ أليس هذه خطوط الضمناء ؟ فقالوا : معاذالله ان يقول (٣٦٦) أحد فى الوزير ذلك ولكن العمل أخرج بما اضطرّ الوزير أيّده الله الى التسبيب به على مال سنة ٣٢٠ من الاموال المستحقة فى سنة ١٩ وقد رفع الضمناء الى ديوان الزمام أعمالاً لِما أطلقوه من مال سنة ٢٠ وما كانوا ضمنوا اطلاقهُ من مال هذه التسبيبات عند ادراك الغلات ولهذا احضرنا . فقال الحسين : أفتعلم كم مبلغه ؟ فقال: نعم . وأحضر عملا كان عملهُ يبلغ ذلك فوجد ان الذى سُبّب على مال السواد والاهواز وفارس لسنة ٣٢٠ قبل افتتاحها بشهور أربعون ألف ألف درهم وان الذى يبقى الى آخر سنة ٢٠ على الضمناء الى افتتاح سنة ٣٢١ عشرون ألف ألف درهم . وقد كان قيل فى العمل ان هذا ما لم يجر به فى قديم الدهر ولا حديثه رسمٌ بمثله .

فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد ان يقطع المجلس بالمشاغبة وقال : يكتب فى الاعمال التى عملت ما لم يعمله أحد من الوزراء قط ثم

يُعرض عليّ . فقال هشام : هذا غلط كتب على سبيل السهو وليس مما يزيد في المال ولا ينقص منه . وضُرب على تلك الحكاية وقال : انما احضرنا لننظر في أمر المال (٣٦٧) ونصدق الوزير عنه. فعدل الى الخصيبي يُهاتره فترك الحجة فنهض الخصيبي عن المجلس لما ظهرت الحجة على الحسين وصار مع الضمناء ومع أبي جعفر ابن شيرزاد الى هرون بن غريب فشرحوا له ما جرى . وأعيد المجلس كهيئته الى المقتدر ثم شافه الخصيبي بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحلّ أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر

﴿ وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر ﴾ (١)

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا في شهر ربيع الآخر فركب في الخلع وركب معه القوّاد وخواصّ المقتدر . وسلم المقتدر الحسين بن القاسم الى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فاجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أدّاها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقليده الاشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك . ثم ظهر انه أراد ان ينقُب الموضع الذي كان فيه وقال الخصيبي : هذا رجل في جنبه للسلطان مالٌ عظيمٌ وليس يصلح ان يخرج وان يدبر شيأً من الاعمال . فتأخر أمره وصودر أيضا ثم تسلمه الوزير فبقي عنده مدة ثم أبعده الى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار والتمس (٣٦٨) ان يُقاطَع عن الاعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هرون بن غريب باسره فقرّرهُ على ان يسلم الى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان

(١) هذه الترجمة زدناها

ويُقلّد باقي الاعمال ويحمل عنها مالا وكُتب له العهد وأنفذ اليه اللواء ومعه خِلَعٌ

ثم ان المقتدر همّ بتقليد أبي علي ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هرون بن غريب فكره ذلك لِمَيل أبي علي الى مونس فاجتمع مع الوزير أبي الفتح وألزما . أبا عبد الله البريدي مائة الف دينار وسلّم ابنُ مقلة اليه فمشى أمر الوزير أبي الفتح وحمل ابن مقلة الى شيراز مع رشيق الايسر

وفيها مات أبو عمر القاضي فاغرى أبو بكر ابن قرابة بورثته اغراءً شديداً وقال للمقتدر : ينبغي لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فانه من ورائها والا حضَرَ من يتقلّد قضاء القُضاة ويُوفّر هذا المال من جهته . فرسم المقتدر لهرون بن الخال أن ينفذ كاتبه وللوزير أن يضمّ اليه ثقتهُ حتى يصيرا مع ابن قرابة الى أبي الحسين ابن أبي عُمر ويخاطبه بحضرتهما . فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو علي أحمد بن نصر البازيار فلمّا حصلوا عند أبي الحسين القاضي وجدوا عنده عالماً من الناس مُعزّين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا [٣٦٩] كما يحسُن أن يعمل في المصائب فقال ابن قرابة : ما لهذا حضرنا قُم يا أبا الحسين معنا حتى نخلو . فنهض واستوفى عليه ابنُ قرابة استيفاء شديداً فقال أبو الحسين : ان نعمتي ونعمة والدي من أمير المؤمنين المقتدر ولستُ ادخر دونه شيئاً . وسأل أن يمهل يومهُ حتى يُحصّل أمرَهُ ويبكر فيصدقُ عنه وكان شهر رمضان فلمّا جنّه الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الافطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه الى الافطار فغسل يده وسمّى وأكل ومصيبتهُ طرية وأنها

ليومه ولكنه ليستكفي شرّهُ [1] فلما انقضى الافطار قال له : يا سيدى قد جئتك مستسلماً اليك فدبّرني بما تراه . فقال له : قم فامض بسلام وما بك حاجة الى أن توصيني ولا تفكر في أمرك فاني أفصلُهُ وأعملُ فيه مايرضيك . وكان على مائدة أبي بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف أبنا البريدى فلما فرغوا من الاكل قرّب البريديان من القاضى أبي الحسين كالمتوجعين له ووصفا مُشاركتهما اياه واستصوبا قصدهُ أبا بكر وإفطارهُ معه وقالا له : أنت مقبل . وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال : ان احتجت اليها فخُذها وافتد نفسك وان أوجبت الصورة أن تستتر [٣٧٠] فانفقها في استتارك فلم ينفد حتى يأتيك الفرج. ولم يحتج أبو الحسين الى الاستتار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون واخوانه أحسن مُعاونة فقلّدهُ قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمرهُ

ثم ان المقتدر وصف لابن قرابة الاضافة فقال له: يا أمير المؤمنين لِمَ لا يُعاونك هرون بن الخال وعنده آزاج مملوة مالا . فاعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال . يا أمير المؤمنين ان كنتُ أملكُ ما قال فلستُ أبخلُ عليك به لاني أسلمُ بسلامتك وفي جيشك أنفقهُ واليك مَعادهُ وابن قرابة معه من المال مالا يحتاج أبداً اليه وأنا استخرجُ لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذي يجمعني واياه فلم يُترك عليه وأنا أودّيها من مالِهِ اليك . فقال له : اذهب فتسلمه . فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما اشفى به على التلف حتى قتل المقتدر بالله فتخلص ولا عجب من أمر الله .

(١) وفي التكملة : فأكل قاصداً لاستكفاء شره .

وكان قد وقع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عملٌ بما صار اليه من الربح فى الاموال التى قدّمها عن الضُمناء وبقايا مُصادرته فى أيام عبد الله الخاقانى وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعهُ من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات [٣٧١] ألف الف دينار فصح له من هذه الجملة تسعون ألف دينار . ثم شغل الوزير وهرون بورود الخبر عليهما بانحدار مونس من الموصل وكان هرون قيّده وسلّمه الى حاجبه وعِدّة من غلمانه ليخرجوه الى واسط فقتل المقتدر فى ذلك اليوم فهرب من كان مُوكلا به وبقى معه غلامان كان هو اشتراهُما لِابن الخال فعُنيا به وصارا معه الى فُرضة جعفر وأدخلا الى مسجدٍ وأحضرا حداداً وحلاّ قيوده وأطلقاه فمشي الى منزله بسويقة غالب ووهب لهُما خمسمائة دينار

وحكى ثابت بن سنان [١] فى كتابه أن اباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبى بكر ابن قرابة مودّة . فصرنا اليه لنُهنئه بخلاصه فقال لوالدى : يا أبا سعيد قد اجتمع لى فيك المحبة والعقل وجودة الرأى وأريد أن أستشيرك فى أمرى . فقال له أبى: قل فانى امحضك النصيحة . فقال : أنت تعلم انى كنت فى بحارمن التخليط وكانت علىّ تبعاتٌ فيما كنتُ أدخلُ فيه وأُقدّمهُ من مالى عن الضمناء لم يكن على أحد مثلها وقد غسلت هذه النكبة وما ادّيتُ فيها من المصادرة دون ما كنتُ فيه وقدحصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون الف دينار خالصة وحصل لى من البساتين [٣٧٢] والمستغلات بعد ذلك ماليس لاحد مثلهُ ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لاحد مثلهُ ومن

(١) ترجمته موجودة فى ارشاد الاريب ٢ : ٣٩٧

الرقيق والخدم الروقة والغلمان والكراع ما ليس لاحد مثله ولى بعد ذلك كله ثلثمائة ألف دينار صامت لا احتاجُ اليها . وبيني وبين هذا الوزير (يعني أبا على ابن مقلة وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس) مودّة وكيدة فهل ترى لى اذا قدم ان اقتصر على لقائه فى الاوقات لعمارة الحال بيني وبينه ولا أداخله ولا اعاوده ما كنت فيه أو اعاود وارجع الى التخليط ؟ فقال له والدى : ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وانما يشاور فى المشكل من الامر فأما الواضح فيستغني فيه عن الرأى. انظر أعزك الله فان كان ذلك التخليط أمر لك ما تحب فارجع اليه وان كان انما امر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده. ومع هذا فان الانسان انما يكدُّ ويكدح ويتعرّض للمكاره ليحصل له بعض ماحصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح الصيانة وحسن العافية. فسمع ذلك كله [و] قال : قد علمت والله انك قد نصحتَ وبالغتَ ولكن لى نفساً مشؤمة لا تصبر (٣٧٣) وسأعاود ما كنت فيه . فقال له والدى : خار الله لك . وانصرفنا فقال لى والدى : يابنيّ ما رأيت قط اجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله الا مقتولاً أو فقيراً بأسوأ حال .

فكان الامر على ما قدّر وادّاه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فازال نعمته وقبض أملاكه وهدمت داره وأراد قتله حتى زال أمر القاهر ثم عاد أيضاً الى التخليط ومضى الى البريديين لما خالفوا السلطان ثم مضى الى أبى الحسين أحمد بن بويه لما غلب على الاهواز ثم وقع أسيراً لما انصرف الامير أبو الحسين من نهر ديالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى ان يخدم ناصر الدولة أبا محمد ابن حمدان برزق مائة دينار فى كل شهر فكثرت

فى عينه وكان ينفق مثلها كلّ يوم ومات بالموصل ونعوذ بالله من الجهل والادبار

﴿ ودخلت سنة عشرين وثلثمائة ﴾

﴿ فيها انحدر مونس من الموصل الى بغداد وقتل المقتدر بالله ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس فلما تمّ له الانصراف الى الموصل كتب الحسين بن القاسم الى داود وسعيد ابنى (٢٧٤) حمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فانه عاص . وكان مونس يكتب فى طريقه الى رؤساء العرب فى ديار ربيعة بأن السلطان أنفذه لمحاربة بنى حمدان يريد بذلك ان يقعدهم عنهم (١) فامتنع داود من لقاء مونس لإحسانه اليه فانه كان عظيما جدًّا فما زال أهله به حتى فثؤوا رأيه وقالوا له : نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ما عمله أبو الهيجاء بالامس نريد ان نعمل لنا حديثاً ثالثا . وما زالوا به حتى استجاب على تكرُّهٍ شديدٍ وقال : ياقوم بأىّ وجه القى مونساً مع احسانه العظيم الىّ؟ وكان يعدّدها ثم يقول : والله ما آمن ان يجيئني سهمٌ عائرٌ فيقع فى هذا الموضع منى (يعني حلقه) فيقتلنى . (قال) فوالله ماهو الا ان لقيه مونس حتى أتاه السهم العائر فوقع فى موضع أصبعه فذبحه ولم يقتل غيره .

وكان بنو حمدان فى ثلاثين ألفاً ومونس فى ثمانمائة رجل فانهزموا وقتل داود وكان مونس اذا قيل له : قد أقبل داود لمحاربتك . يعجب ويقول : ياقوم يلقانى داود وفى حجرى طُهَر ولى عليه من الحق ماليس لوالده . فلما ملك

(١) وأما ما جرى بين مونس وبنى حمدان فليراجع صلة عريب ص ١٦٩ وفيها قصة الواقعة رواها الفرغانى يعنى أبو محمد عبد الله بن أحمد فى تاريخه المواصلة بتاريخ الطبرى

مونس أموال بني حمدان وغلاتهم وضياعهم (٣٧٥) واستولى على أعمال الموصل خرج اليه الناس من الاولياء ارسالا وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر . فانحدر مونس وبلغ الجند بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأنفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمى مضرب الدم الى باب الشماسية . ووافى مونس وأصحابه الى باب الشماسية [١] وكان المقتدر قد وجّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل الى سر من رأى ثم أنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في الفي فارس ومعه الغلمان الحجرية [الى المعشوق] . ثم أنفذ مونساً الورقائي على سبيل الطلائع فلما قرب مونس أقبلوا يراجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكبرا فلما قرب مونس من عكبرا انكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت الى البردان فلما نزل مونس عكبرا انكفأت الجماعة الى باب الشماسية فعسكروا هناك واضطرب الامور وتقاعد الضمناء والعمال بحمل الاموال . واجتهد المقتدر بهرون ان يشخص الى حرب مونس فتقاعد واحتجّ بان معظم أصحابه ممن انضمّ اليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربته مرداويج (٣٧٦) في المشرق أو من استأمن اليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وانهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب وليس يثق باحد منهم لانه يعلم انهم يستأمنون ويسلمونهُ ودافع بالخروج الى ان صار أصحاب مونس بباب الشماسية بازاء عسكر محمد ابن ياقوت . فجاء محمد بن ياقوت الى الوزير الفضل بن جعفر فانحدر الى

(١) وفي صلة عريب ص ١٧٥ : كتب مونس الى المقتدر كتباً سرّ بها المقتدر ولكن راجعه الفوّاد عن رأيه فيه

المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له : ان الرجال لا يقاتلون الاّ بالمال وان أخرج استغني عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً الى الهرب أو الاستتار . وقال له : ان الوزير أطلق مالا لم يعمّ . وسألوه ان يحتال مائتي ألف دينار من جهته وجهة والدته ليصرف في المهمّ فعرّفه انه لم يبق له ولا للسيدة حيلة في مال يطلق وتقدّم الشذآت والطيارات لينحدر هو وحرمه الى واسط ويسلم البلد الى مونس ويكتب من واسط الى من بالبصرة والاهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه . فقال له محمد بن ياقوت : اتق الله يا أمير المؤمنين في جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد بغير حرب . وجعل يفثأه عن رأيه (٣٧٧) ويشير بان يخرج بنفسه الى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له : ان رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك . فقال له المقتدر : أنت والله رسول ابليس . ثم أمر هرون على لسان الوزير الفضل ابن جعفر ان يخرج ووبخه فمضى اليه ووافقه على ان يخرج يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوّال الى دار السلطان . وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التي توارثها الخلفاء وبيده القضيب وبين يديه الامير أبو علي ابن المقتدر والانصار ومعهم المصاحف المنشورة والقرّاء يقرؤون القرآن وحوله جميع الحجرية رجالة بالسلاح وخلفه جميع القوّاد مع الوزير . واشتق بغداد الى الشمّاسيّة وكثر دعاء الناس له جدًّا وسار في الشارع الاعظم الى المعسكر . فلما وصل اليه أشير عليه ان يقوم الى موضع عال بعيد عن موضع الحرب واشتدّت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيما بالراشديّة لم يحضر الحرب وثبت محمد بن ياقوت وهرون بن

غريب واشتبكت الحرب . وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان الى المقتدر بالله برسالة هرون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب وقال له : ان [٣٧٨] رآك أصحاب مونس استأمنوا . فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافي البصري فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه ثم حضر محمد بن أحمد القراريطي كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول الى المقتدر بالله فأوصل اليه وهو واقفٌ على ظهر دابته فقبل الارض وقال له : يا أمير المؤمنين القوّاد وعبدك محمد بن ياقوت يقول « يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنفسك الى الموضع فان الناس اذا رأوك انقلوا » فلم يبرح وبقي واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الاسود وجماعة من الغلمان الخاصّة . فهم على تلك الحال اذ وافت رسالة القوّاد المحاربين فتقدم بعضها بأن ينادى بين يديه « من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير » فنودى بذلك . ثم جاءته رقعة فسلمت اليه فقرأها ثم استدعى مفلحاً والقراريطي فسارّهما ثم استدعى الوزير فسارّهُ وأجابه بشيء ما سمع به ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من القواد تؤدى اليه ويسمع الناس ان الرجال فى الحرب يقولون « نريد ان نرى مولانا حتى نرمي بأنفسنا على هؤلاء الكلاب » ولم يزل [٣٧٩] القراريطى وغيره يسهلون عليه ويسئلونه المسير حتى سار مع مفلح ومن بقي معه . وتخلف الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشط وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا من قبل ان يصل المقتدر الى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب حرباً شديداً محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد .

ولقي على بن يلبق المقتدر وهو فى الطريق لم يصل الى المعركة فى

صحراء منبسطة فلما وقعت عينه عليه ترجل وعليه سلاحه وقال : مولاى أمير المؤمنين . وقبل الارض ثم قبل ركبته . ووافى البربر من أصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربهُ رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها الى الارض وقال : وبحكم أنا الخليفة . فقال البربرى : اياك اطلب . وأضجعه فذبحه بالسيف [1] وكان معه رجل من خاصاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه حتى سراويله وترك مكشوف العورة الى أن مر به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حفر له فى الموضع ودفن حتى عفا أثره [2] (٣٨٠)

ونزل يلبق وعلى ابنه فى المضارب وأنفذ للوقت الى دار السلطان من يحفظها وانحدر مونس من الراشدية الى الشماسية فبات بها ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق على الظهر الى المدائن . فكان ما فعلهُ مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله اياه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تسكن أنفسهم تحدثهم به من الغلبة على الحضرة وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ ذلك وتفاقم حتى انتهى الى مانشرحه فيما بعد ان شاء الله.

---

(١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولى : قتل المقتدر البربرى وقيل كان غلاماً ليلبق وكان بطلا شجاعا تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف . ثم حمل على المقتدر وضربه بحربة أخرجها من ظهره فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه وهو يسوق حمل الشوك الى قنارالحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من تحته فمات فخطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك . (٢) وفي تاريخ الاسلام : ذكر المسبحي ان العامة لم تزل تصلي على مصرع المقتدر وبني فى ذلك المكان مسجد

وحكي ثابت حكاية فى تبذير المقتدر للاموال ما رأيت ان أثبته مشروحاً لئلا يغترّ أحدٌ من الملوك ومدبّرى أمر المملكة بكثرة الاموال فيترك تثميره ويعدل عن التعب به الى الراحة اليسيرة فانه حينئذٍ يتدر ولا يلحق . ويكون مثله مثل البئق الذى ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط .

قال صاحب الكتاب : ولقد وعظتُ انا بذلك بعض مدبّرى الملك فأكثرتُ عليه فتبسم تبسم المدلّ بكثرة الذخائر والاموال [٣٨١] فما أتت عليه سنتان حتى رأيته فى موضع الرحمة حيث لا ينفعه الرحمة . وسأشرح خبره وحالهُ اذا انتهيتُ اليه بمشيئة الله .

فأما المقتدر فانه أتلف نيفاً وسبعين الف الف دينار سوى ما أنفقه فى موضعه وأخرجهُ فى وجوهه وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه ولم يكن فى ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد فان القاسم بن عبيد الله قال للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحدٌ واحدٌ من ولد العباس من المال انه لم يكن فيهم من خلّف أكثر مما خلّفه هرون الرشيد فانه خلّف فى بيت المال ثمانية وأربعين الف الف دينار . وهذه نسخة لما أثبته بعض كتاب أبى الحسن ابن الفرات لما وزره المقتدر بالله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى كان فى بيت مال الخاصّة لما تقلّد المقتدر الخلافة : أربعة عشر الف الف دينار . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة ٢٩٩ فارتفع من مال الخراج والضياع العامة والمعروف بالامراء فى كلّ سنة : ثلاثة وعشرون الف الف درهم وثمانمائة الف درهم . منها من مال فارس : ثمانية عشر الف الف درهم . ومن مال كرمان : خمسة آلاف الف درهم [٣٨٢] يكون ذلك

في مدّة احدى وعشرين سنة آخرها سنة ٣٢٠ الخراجية بعد وضع ثمانمائة الف درهم كانت تنكسر في كلّ سنة من مال البقايا :أربعمائة الف الف درهم وثلاثة وثمانين الف درهم. واذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان الى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف الف في السنة ومبلغه في هذه السنين :ثلاثة وثمانين الف الف درهم .كان الباقي بعد ذلك أربعمائة الف الف درهم قيمتها ثمانية وعشرون الف الف دينار

ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيّام المعتضد : ثلاثة آلاف الف وستمائة الف دينار

وأخذ المقتدر من أموال علي بن محمد بن الفرات في مصادرته ومصادرات كتّابه وأسبابه : أربعة آلاف الف وأربعمائة الف دينار.منها في الدفعة الأولى : الفي الف وثلاثمائة الف دينار. وفي الدفعة الثانية :الف الف ومائة الف دينار . وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة : تسعمائة الف دينار . وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الاقطاع والايغار في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حسابا [٣٨٣] في السنة :مائتي وخمسين الف دينار .أربعة آلاف الف ومائتي وخمسون ألف دينار .

وما صحّ مما أخذ لابي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين: الفي الف دينار

وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حسابا في السنة :مائه وعشرين الف دينار .الفي الف وثمانمائة الف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه الى ان ردّت على ولده الفى الف ومائتى ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن على المادرائيين فى أيام وزارة أبى على الخاقانى ووزارات ابن الفرات الثلاث وأيام أبى القاسم الخاقانى وأبى العباس الخصيبى وأبى الحسن على بن عيسى الثانية وأبى على ابن مقلة: الف الف وثلاثمائة الف دينار .

وما أخذ من أموال على بن عيسى وابن الجوارى وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين: الفى الف دينار .

وما أخذ من تركة الراسبى: خمسمائة الف دينار .

وما اخذ من تركة ابراهيم المسمعى :ثلاثمائة الف دينار

وما حصل من ثمن المبيع فى أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر: ثلاثة آلاف الف دينار

وما حصل من أموال أمّ موسى [٣٨٤] وأخيها واختها وأسبابها: الفى الف دينار

فصار الجميع من العين : ثمانية وستين الف الف وأربعمائة وثلاثين الف دينار. وضم من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع منذ سنة ٣١٧ الى آخر سنة ٣٢٠ حسابا فى السنة على التقريب : تسعمائة الف دينار. ثلاثة آلاف الف وستّمائة الف دينار

الباقي بعد ذلك مما حصل فى خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل الى بيت مال الخاصة فى أيام المعتضد والمكتفى من أموال الضياع والخراج بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة

وثلاثين ألف دينار. وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفي يستفضل في كلّ سنةٍ من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يُصرف في أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة معما كان يحصّلهُ في بيت مال الخاصة : ألف ألف دينار .

وكان سبيل المقتدر ان استفضل مثلها فيكون مبلغهُ في خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين الى آخر سنة عشرين [٣٨٥] تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار. خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشر ألف ألف دينار. وبقي بعد ذلك ما بُذر وأتلف نيّف وسبعون ألف ألف دينار

وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً

خلافة القاهر بالله ابي منصور

﴿ محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلثمائة ﴾

لما قُتل المقتدر بالله وحمل رأسه الى بين يدى مونس بكى وقال : قتلتموه والله لنقتلنّ كلنا فأقلُّ مايكون أن تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصدٍ منكم ولا أمر به وأن تنصبوا في الخلافة ابنهُ أبا العباس فانه تربيتي واذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدّته والدة المقتدر واخوته وغلمان